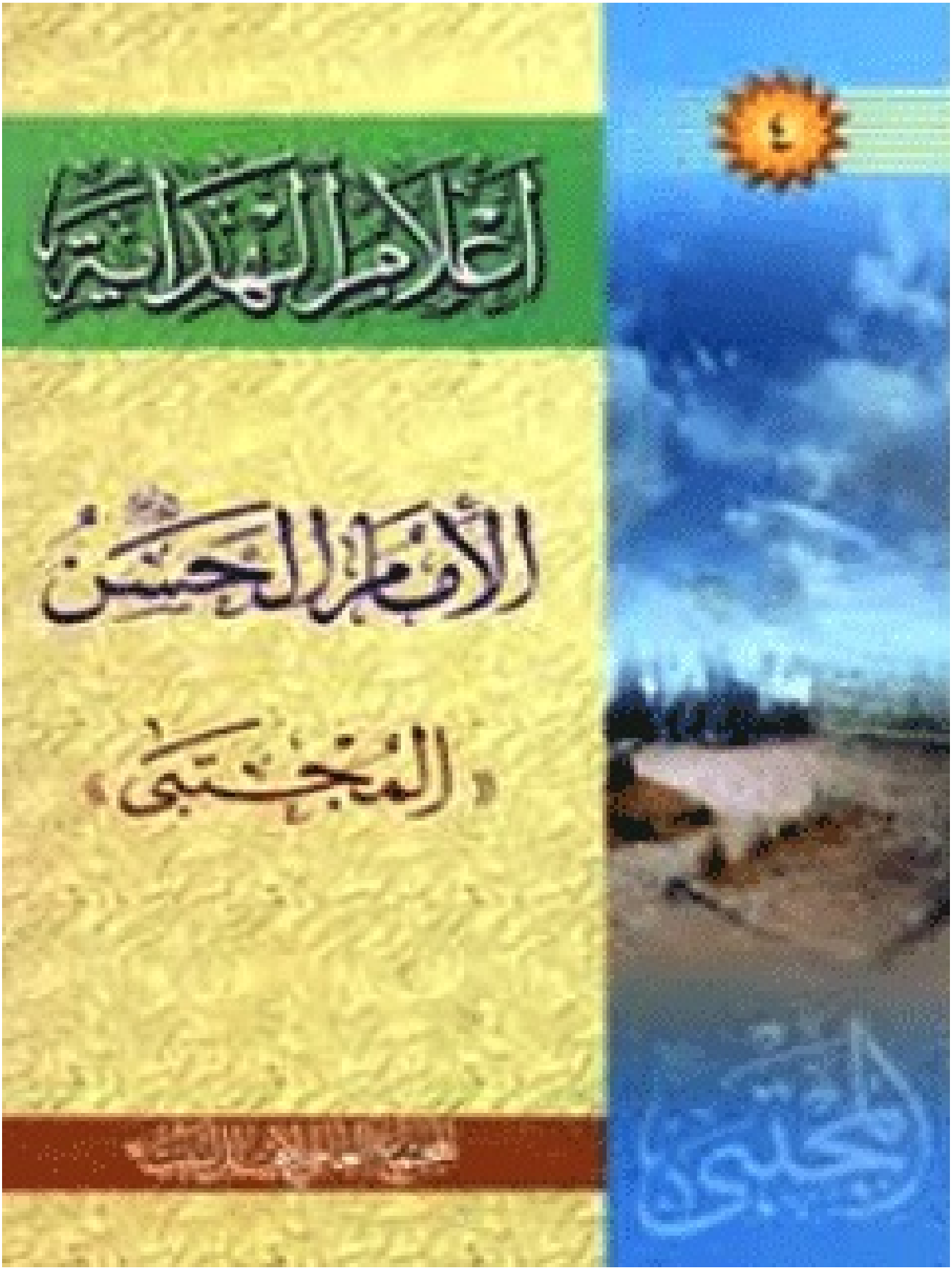

# أعلام الهداية

٤

# الإمام الحسن

## «المجتبى»

بسم الله الرحمن الرحيم

# أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

كاتب:

منذر حكيم

نشرت فى الطباعة:

موسسه فرهنگی تبیان

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
اعلام الهداية الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
مقدمة المجمع العالمى لأهل البيت ----- ۱۱
الامام الحسن المجتبى فى سطور ----- ۱۴
انطباعات عن شخصية الإمام الحسن المجتبى ----- ۱۶
مكانة الإمام المجتبى فى آيات الذكر الحكيم ----- ۱۶
مكانة الامام لدى خاتم المرسلين ----- ۱۷
مكانة الامام لدى معاصريه ----- ۱۸
مكانة الامام لدى العلماء والمؤرخين ----- ۱۹
من فضائل الامام المجتبى و مظاهر شخصيته ----- ۲۰
عبادته ----- ۲۰
حلمه و عفوه ----- ۲۱
كرمه و جوده ----- ۲۱
تواضعه و زهده ----- ۲۲
نشأة الإمام الحسن المجتبى ----- ۲۲
تاريخ ولادته ----- ۲۲
كيفية ولادته ----- ۲۳
سنن الولادة ----- ۲۳
رضاعه ----- ۲۳
كنيته و ألقابه ----- ۲۳
نقش خاتمه ----- ۲۳
حليته و شمائله ----- ۲۴

مراحل حیاة الإمام المجتبی ----- ۲۴
الامام المجتبی فی ظل جده و أبیه ----- ۲۵
الامام الحسن فی عهد الرسول الأعظم ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
یوم المباهلة و مداليله ----- ۲۶
شهادة الحسنین علی کتاب لثقیف ----- ۲۸
حضور الحسنین بیعة الرضوان ----- ۲۸
الحسن و الحسین إمامان ----- ۲۹
الامام الحسن فی عهد الخلفاء ----- ۲۹
فی عهد أبی بکر و عمر ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
الحسنان و فدک ----- ۲۹
اعتراضه علی أبی بکر ----- ۳۰
الامام الحسن و أسئلة الأعرابی ----- ۳۰
الامام الحسن فی الشوری ----- ۳۰
فی عهد عثمان ----- ۳۱
الامام الحسن فی وداع أبی ذر ----- ۳۱
هل اشترک الإمام الحسن فی الفتوح؟ ----- ۳۱
الامام الحسن و حصار عثمان ----- ۳۳
هل جرح الإمام الحسن أثناء دفاعه عن عثمان؟ ----- ۳۵
هل کان الإمام الحسن عثمانیا ----- ۳۵
الامام الحسن فی عهد الدولة العلویة ----- ۳۶
البیعة لامیرالمؤمنین بالخلافة ----- ۳۶
استنجاد الامام علی بالکوفة ----- ۳۸

ایفاد الإمام الحسن ----- ۳۹
التقاء الفریقین فی البصرة و خطاب الامام الحسن ----- ۴۰
الامام علی فی الکوفة بعد حرب الجمل ----- ۴۱
خطاب الإمام الحسن ----- ۴۱
تهیؤ الإمام علی لجهاد معاویة ----- ۴۱
فی معرکة صفین ----- ۴۲
املکوا عنی هذا الغلام ----- ۴۲
الامام الحسن والتحکیم ----- ۴۳
وصیة الامام أمیرالمؤمنین إلی ابنه الحسن ----- ۴۳
النهروان و مؤامرة قتل أمیرالمؤمنین ----- ۴۵
فی لیلة استشهاد الامام أمیرالمؤمنین ----- ۴۵
الامام الحسن بجوار والده الجریح ----- ۴۶
آخر وصایا أمیرالمؤمنین ----- ۴۷
الامام علی ینص علی خلافة ابنه الحسن ----- ۴۸
الی الرفیق الاعلی ----- ۴۸
تجهیزه الامام الشهید و دفنه ----- ۴۸
عصر الإمام الحسن المجتبی ----- ۴۸
مواقف الإمام و إنجازاته ----- ۵۱
من البیعة الی الصلح ----- ۵۱
خطبة الإمام الحسن یوم شهادة أبیه ----- ۵۱
بیعة الإمام الحسن ----- ۵۲
الامام الحسن یقتص من قاتل أمیرالمؤمنین ----- ۵۲
جهاد الامام الحسن ----- ۵۲
تحرک معاویة نحو العراق و موقف الإمام ----- ۵۴

استنکار الموقف المتخاذل ----- ۵۴
الاتجاهات المتضادة فی جیش الإمام ----- ۵۵
طلائع جیش الإمام الحسن ----- ۵۶
خیانة قائد الجیش ----- ۵۶
توالی الخیانات فی جیش الإمام ----- ۵۷
محاولات اغتیال الإمام ----- ۵۹
موقف الإمام الحسن ----- ۶۰
فی الصلح و أسبابه و نتائجه ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
اتمام الحجة ----- ۶۰
القبول بالصلح ----- ۶۱
بنود معاهدة الصلح ----- ۶۱
اسباب الصلح کما تصورها النصوص عن الإمام الحسن ----- ۶۲
تحلیلان لأسباب الصلح ----- ۶۳
زبدة المخض ----- ۶۶
ما بعد الصلح حتی الشهادة ----- ۶۶
الاجتماع فی الکوفة ----- ۶۶
المعارضون للصلح ----- ۶۷
قیس بن سعد بن عبادة ----- ۶۷
حجر بن عدی ----- ۶۸
عدی بن حاتم ----- ۶۸
المسیب بن نجبة و سلیمان بن صرد ----- ۶۸
الی یثرب ----- ۶۹
مرجعیة الإمام الحسن العلمیة والدینیة ----- ۶۹

اشاره ----- ۶۹
مدرسة الإمام و نشاطه العلمی ----- ۶۹
مرجعیته الاجتماعیة ----- ۷۰
اشاره ----- ۷۰
عطفه علی الفقراء ----- ۷۰
الاستجارة به ----- ۷۰
مرجعیته السیاسیة ----- ۷۰
رفض الامام مصاهرة الامویین ----- ۷۱
من مواقف الإمام الحسن مع معاویة و بطانته ----- ۷۱
مع معاویة فی المدینة ----- ۷۱
فی دمشق ----- ۷۳
مصیر شروط الصلح و شهادة الإمام الحسن ----- ۷۵
اخلال معاویة بالشروط ----- ۷۵
تآمر معاویة علی الإمام الحسن ----- ۷۶
کیف استشهد الإمام الحسن ----- ۷۷
وصایاه الأخیرة ----- ۷۷
الی الرفیق الأعلی ----- ۷۹
تجهیز الإمام و تشییعه ----- ۷۹
دفن الإمام و فتنة عائشة ----- ۷۹
تراث الإمام المجتبی ----- ۸۰
نظرة عامة فی تراث الإمام المجتبی ----- ۸۰
فی رحاب العلم والعقل ----- ۸۱
فی رحاب القرآن الکریم ----- ۸۱
فی رحاب الحدیث النبوی والسیرة الشریفة ----- ۸۲

فی رحاب العقیدة ---- ۸۳
فی رحاب ولایة أهل البیت ---- ۸۴
البشارة بالإمام المهدی المنتظر ---- ۸۵
فی رحاب الأخلاق والتربیة ---- ۸۵
فی رحاب المواعظ الحکیمة ---- ۸۶
فی رحاب الفقه و أحکام الشریعة ---- ۸۷
فی رحاب أدعیة الإمام المجتبی ---- ۸۸
فی رحاب أدب الإمام المجتبی ---- ۸۹
پاورقی ---- ۹۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۰۶

# اعلام الهداية الامام الحسن المجتبى (عليه السلام)

## اشارة

عنوان : أعلام الهداية : الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

پديدآورندگان : امام دوم حسن بن على (ع)(توصيف گر)

حكيم، منذر، ۱۳۳۲-(پديدآور)

نوع : متن

جنس : كتاب

الكترونيكى

زبان : عربى

صاحب محتوا : موسسه فرهنگى و اطلاع رسانى تبيان موسسه فرهنگى و اطلاع رسانى تبيان

توصيفگر : سرگذشت نامه هاى فردى

سيره ائمه اطهار ( ع )

وضعيت نشر : قم: موسسه فرهنگى و اطلاع رسانى تبيان، ۱۳۸۷

ويرايش : -

خلاصه :

مخاطب :

يادداشت : ,ملزومات سيستم: وينـدوز ۹۸+ ؛ بـا پشتيبـانى متـون عربى؛ + IE۶شيوه دسترسـى: شـبكه جهانى وبعنوان از روى صـفحه نمايش عنواندادە هاى الكترونيكى

شناسه : oai:tebyan.net/۳۵۸۵۸

تاريخ ايجاد ركورد : ۱۳۸۸/۱۱/۲۲

تاريخ تغيير ركورد : -

تاريخ ثبت : ۱۳۸۹/۷/۴

قيمت شىء ديجيتال : رايگان

## مقدمة المجمع العالمى لأهل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصرى العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التى خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة اُخرى.

قال تعالى:

(قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدى) [الانعام (۶): ۷۱].

(والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة (۲): ۲۱۳].

(والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل) [الاحزاب (۳۳): ۴].

(ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم) [آل عمران (۳): ۱۰۱].

(قل الله يهدى للحقّ أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتّبع أ مّن لا يهدّى إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون) [يونس (۱۰): ۳۵].

(ويرى الذين اُوتوا العلم الذى اُنزل إليك من ربّك هو الحقّ ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) [سبأ (۳۴): ۶].

(ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله) [القصص (۲۸): ۵۰].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هى الهداية الحقيقية، وهو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله فى فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ)[الذاريات (۵۱): ۵۶]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كى تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحى الإلهى، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّى مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضىء، كما أفصحت نصوص الوحى ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلاّ ـ يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق فى الأرض إلاّ ـ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكل لا يقبل الريب ـ قائلاً: (إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد)[الرعد (۱۳): ۷].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتى تتلخّص فى:

۱ ـ تلقّى الوحى بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّى الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهى لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً:

(الله أعلم حيث يجعل رسالته)[الانعام (۶): ۱۲۴] و (الله يجتبى من رسله من يشاء) [آل عمران (۳): ۱۷۹].

۲ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التى تتمثّل فى «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: (كان الناسُ اُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[البقرة (۲): ۲۱۳].

۳ ـ تكوين اُمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها فى الحياة، وقد صرّحت

آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنوانى التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة) [الجمعة (۶۲): ۲] والتزكية هى التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التى تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة)[الاحزاب (۳۳): ۲.

۴ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع فى الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتى تسمّى بالعصمة.

۵ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية فى نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسىٍّ يتولّى إدارة شؤون الأُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها فى الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التى تعبّر عن الكفاءة النفسية التى تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطىء بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا فى سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفانى فى مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق فى أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

۱ ـ تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة والبقاء.

۲ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.

۳ ـ تكوين أُمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة.

۴ ـ تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسىٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء.

۵ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة فى قيادته (صلى الله عليه وآله).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضرورى:

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدى العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة فى الخلق والسلوك كالرسول (صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها فى كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهىّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التى تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّانى فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الاُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعى الرسالىّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التى تتحكّم فى سلوك القيادة والاُمة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الاُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاّء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين فى أمر الله، والتامّين فى محبّته، والذائبين فى الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانىّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التى دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وتنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدى المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام الحسن بن على المجتبى (عليه السلام) ثانى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو المعصوم الرابع من أعلام الهداية، والذى تمثّلت فى حياته كلّ جوانب الشريعة روحاً وعملاً وسلوكاً، إنه سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة وأَحد اثنين انحصرت بهما ذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. فكان مثلاً أعلى، ونبراساً مضيئاً، يشعُّ إيماناً وطهراً ونقاءً.

ولا بدَّ لنا من ذكر كلمة شكر لكلّ العاملين الذين بذلوا جهداً فى إخراج هذا المشروع، لا سيما لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإتمام الكتب الاُخرى من هذه السلسلة، وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسة

## الامام الحسن المجتبى فى سطور

الإمام أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب المجتبى، ثانى أئمة أهل البيت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيّد شباب أهل الجنة بإجماع المحدّثين، وأحد اثنين انحصرت بهما ذريّة رسول الله، وأحد الأربعة الذين باهى بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران، ومن المطهّرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، ومن القربى الذين أمر الله بمودّتهم، وأحد الثقلين الذين من تمسّك بهما نجا ومن تخلّف عنهما ضلّ وغوى.

- نشأ فى أحضان جدّه رسول الله (عليه السلام) وتغذّى من معين رسالته وأخلاقه ويسره وسماحته، وظلّ معه فى رعايته حتى اختار الله لنبيه دار خلده، بعد أن ورّثه هديه وأدبه وهيبته وسؤدده، وأهّله للإمامة التى كانت تنتظره بعد أبيه، وقد صرّح بها جدّه فى أكثر من

مناسبة حينما قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، اللهمّ إنّى أُحبّهما فأحبّ من يحبّهما».

- لقد اجتمع فى هذا الإمام العظيم شرف النبوّة والإمامة، بالإضافة الى شرف الحسب والنسب، ووجد المسلمون فيه ما وجدوه فى جدّه وأبيه حتى كان يذكّرهم بهما، فأحبّوه وعظّموه، وكان مرجعهم الأوحد بعد أبيه، فيما كان يعترضهم من مشاكل الحياة وما كان يستصعبهم من أُمور الدين، لا سيما بعد أن دخلت الأُ مّة الإسلامية حياة حافلة بالأحداث المريرة التى لم يعرفوا لها نظيراً من قبل.

- وكان الإمام الزكى المجتبى فى جميع مواقفه ومراحل حياته مثالاً كريماً للخُلق الإسلامى النبوى الرفيع فى تحمّل الأذى والمكروه فى ذات الله، والتحلّى بالصبر الجميل والحلم الكبير، حتى اعترف له ألدّ أعدائه ـ مروان بن الحكم ـ بأنّ حلمه يوازى الجبال. كما اشتهر (عليه السلام) بالسماحة والكرم والجود والسخاء بنحو تميّز عن سائر الكرماء والأسخياء.

- وبقى الإمام المجتبى بعد جدّه فى رعاية أُمّه الزهراء ـ الصدّيقة الطاهرة ـ وأبيه سيّد الوصيّين وإمام الغرّ المحجّلين، وهما فى صراع دائم مع الذين صادروا خلافة جدّه (صلى الله عليه وآله) وما لبث أن طويت هذه الصفحة الثانية من حياته بوفاة أُمّه الزهراء (عليها السلام) وقد حفّت بأبيه على بن أبى طالب (عليه السلام) النكبات، ولا زال يشاهد كلّ هذه المحن ويتجرّع مرارتها وهو فى سن الطفولة، لكنّه كان يقوم بأكثر ممّا ينتظر من مثله، من حيث وعيه وإحساسه بالأوضاع العامة وتطوّراتها، ومن هنا كان يتمتّع بتقدير المسلمين واحترامهم له بعد ما شاهدوا مدى اهتمام نبيّهم به.

- وأشرف الإمام (عليه السلام) على الشباب فى خلافة عمر، وانصرف مع أبيه الى تعليم الناس وحلّ مشاكلهم.

- لقد وقف الإمام الحسن الزكى الى جانب أبيه (عليه السلام) فى عهد عثمان، وعمل مخلصاً لأجل الإسلام، واشترك مع أبيه فى وضع حدٍّ للفساد الذى أخذ يستشرى فى جسم الأُمّة والدولة الإسلامية أيام عثمان، ولقد كان الإمام علىّ (عليه السلام) ـ كغيره من الصحابة ـ غير راض عن تصرفات عثمان وعمّاله، ولكنّه لم يكن راض بقتله، فوقف هو وابناه موقف المصلح الحكيم، ولكنّ بطانة عثمان أبت إلّا التمادى فى إفساد الأمر والتحريض غير المباشر على قتله، بينما بقى الإمام يعالج الموقف فى حدود ما أنزل الله تعالى.

- لقد كان الحسن بن علىٍّ السبط الى جانب أبيه (عليهما السلام) فى كلّ ما يقول ويفعل، واشترك معه فى جميع حروبه، وكان يتمنّى على أبيه أن يسمح له بمواصلة القتال وخوض المعارك عندما يتأزّم الموقف، فيما كان أبوه شديد الحرص عليه وعلى أخيه الحسين (عليهما السلام) خشية أن ينقطع بقتلهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبقى الحسن (عليه السلام) الى جانب والده إلى آخر لحظة، وكان يعانى ما يعانيه أبوه من أهل العراق، ويتألّم لآلامه وهو يرى معاوية يبثّ دعاته ويغرى القادة من جيش أبيه بالأموال والمناصب حتى فرّق أكثرهم، وأصبح الإمام علىّ (عليه السلام) يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، فاستُشهد (عليه السلام) وبقى الحسن ابن على (عليهما السلام) بين تلك الأعاصير بين أهل الكوفة المتخاذلين وفلول الخوارج المارقين وتحدّيات أهل الشام القاسطين.

- وبعد أن نصّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على خلافة ابنه الحسن الزكى وسلّمه مواريث النبوّة؛ اجتمع عليه أهل الكوفة وجماعة المهاجرين والأنصار، وبايعوه بالخلافة، بعد أن طهّره الله من كلّ نقص ورجس، بالإضافة الى توفّر جميع متطلّبات الخلافة فيه من العلم والتقوى والحزم والجدارة، وتسابق الناس الى بيعته فى الكوفة والبصرة، كما بايعه أهل الحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التى كانت تدين بالولاء والبيعة لأبيه (عليه السلام) وحين بلغ نبأ البيعة معاوية وأتباعه بدأوا يعملون بكلِّ ما لديهم من مكر وخداع لإفساد أمره والتشويش عليه.

- واستلمَ الإمام الحسن السلطة بعد أبيه، وقام بأفضل ما يمكن القيام به فى ذلك الجوّ المشحون بالفتن والمؤامرات، فأمّر الولاة على أعمالهم وأوصاهم بالعدل والإحسان ومحاربة البغى والعدوان، ومضى على نهج أبيه (عليه السلام) الذى كان امتداداً لسيرة جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله).

- وبالرغم ممّا كان يعلمه الإمام الحسن من معاوية ونفاقه ودجله وعدائه لرسالة جدّه وسعيه لإحياء مظاهر جاهليته... بالرغم من ذلك كلّه فقد أبى أن يعلن الحرب عليه إلّا بعد أن كتب اليه المرّة بعد المرّة يدعوه الى جمع الكلمة وتوحيد أمر المسلمين، فلم يُبقِ له فى

ذلك عذراً أو حجةً.

لقد راسل الإمام الحسن معاوية وهو يعلم أنه لا يستجيب لطلبه، وأنّه سيقف منه موقفاً أكثر وقاحةً من مواقفه السابقة مع أبيه أمير المؤمنين، لا سيما وقد حصد نجاحاً مؤقّتاً فى مؤامراته ضدّ أبيه. إنّ الإمام (عليه السلام) كان يعلم أنّ معاوية سيقف موقف القوة إن لم يجد للمكر سبيلاً، ولكنّ الإمام المجتبى كان عليه أن يُظهر للعالم الإسلامى كلّ ما يضمره هذا البيت الأُموى تجاه النبىّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) من حقد وعداء وكيد للإسلام والمسلمين.

- واطمأنّ معاوية الى أنّ الأُمور ممهّدة له باعتبار علاقته المتينة مع أكثر قادة الإمام الحسن (عليه السلام)، كما حاول إغراء الإمام بالأموال والخلافة من بعده وتضليل الرأى العام، ولكنّ موقف الإمام لم يتغيّر لتهديده ووعوده، وأدرك معاوية صلابة الإمام (عليه السلام) على موقفه المبدئى، فأعدّ العدّة لمحاربته، واطمأنّ معاوية الى أنّ المعركة ستكون لصالحه، وسيكون الحسن (عليه السلام) والمخلصون له من جنده بين قتيل وأسير، ولكنّ هذا الاستيلاء سوف يفقد الصيغة الشرعية التى كان يحاول أن يتظاهر بها لعامة المسلمين، ولذلك حرص معاوية على أن لا يتورّط فى الحرب مع الإمام الحسن (عليه السلام) معتمداً المكر والخداع والتمويه وشراء الضمائر وتفتيت جيش الإمام (عليه السلام)، ولم يكن للإمام بدّ من اختيار الصلح بعد أن تخاذل عامة جيشه وأكثر قادته، ولم يبقَ معه إلّا فئة قليلة من أهل بيته والمخلصين من أصحابه، فتغاضى عن السلطة دفعاً للأفسد بالفاسد فى ذلك الجوّ المحموم، فكان اختياره للصلح فى منتهى الحكمة والحنكة السياسية الرشيدة تحقيقاً لمصالح الإسلام العليا وأهدافه المُثلى.

- وتعرّض الإمام الحسن السبط (عليه السلام) للنقد اللاذع من شيعته وأصحابه الذين لم يتّسع صبرهم لجور معاوية، مع أنّ أكثرهم كان يدرك الظروف القاسية التى اضطرّته الى تجنّب القتال واعتزال السلطة، كما أحسّ الكثير من أعيان المسلمين وقادتهم بصدمة عنيفة لهذا الحادث لِما تنطوى عليه نفوس الأُمويّين من حقد على الإسلام ودعاته الأوفياء، وحرص على إحياء ما أماته الإسلام من مظاهر الجاهلية بكلّ أشكالها.

- ولكنّ الإمام بصلحه المشروط فسح المجال لمعاوية ليكشف واقع أُطروحته الجاهلية، وليعرّف عامة المسلمين البسطاء مَن هو معاوية؟ ومن هنا كان الصلح نصراً ما دام قد حقّق فضيحة سياسة الخداع التى تترّس بها عدوّه.

ونجحت خطّة الإمام حينما بدأ معاوية يساهم فى كشف واقعه المنحرف، وذلك فى إعلانه الصريح بأنّه لم يقاتل من أجل الإسلام، وإنّما قاتل من أجل المُلك والسيطرة على رقاب المسلمين، وأنّه سوف لا يفى بأىّ شرط من شروط الصلح.

بهذا الإعلان وما تلاه من خطوات قام بها معاوية لضرب خط علىٍّ (عليه السلام) وبنيه الأبرار وقتل خيرة أصحابه ومحبّيه كشف النقاب عن الوجه الأُموى الكَريه، ومارس الإمام (عليه السلام) مسؤولية الحفاظ على سلامة الخط بالرغم من إقصائه عن الحكم، وأشرف على قاعدته الشعبية فقام بتحصينها من الأخطار التى كانت تهدّدها من خلال توعيتها وتعبئتها، فكان دوره فاعلاً إيجابياً للغاية، ممّا كلّفه الكثير من الرقابة والحصار، وكانت محاولات الاغتيال المتكرّرة تشير الى مخاوف معاوية من وجود الإمام (عليه السلام) كقوة معبّرة عن عواطف الأُمّة ووعيها المتنامى، ولربّما حملت معها خطر الثورة ضد ظلم بنى أُمية، ومن هنا صحّ ما يقال من أنّ صلح الإمام الحسن (عليه السلام) كان تمهيداً واقعياً لثورة أخيه أبى عبدالله الحسين (عليه السلام).

وتوّج الإمام المجتبى (عليه السلام) جهاده العظيم هذا والذى فاق الجهاد بالسيف فى تلك الظروف العصيبة، باستشهاده مسموماً على يد ألدّ أعدائه، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً.

## انطباعات عن شخصية الإمام الحسن المجتبى

### مكانة الإمام المجتبى فى آيات الذكر الحكيم

لم تتّفق كلمة المسلمين فى شىء كاتّفاقهم على فضل أهل البيت وعلوّ مقامهم العلمى والروحى وانطوائهم على مجموعة الكمالات التى أراد الله للإنسانية أن تتحلّى بها.

ويعود هذا الاتّفاق الى جملة من الأُصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت (عليهم السلام) من خلال النصّ على تطهيرهم من الرجس، وأنّهم القربى الذين تجب مودّتهم كأجر للرسالة التى أتحف الله بها الإنسانية جمعاء، وأنّهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعة لله وخافوا عذاب الله وتحلّوا بخشية الله، فضمن لهم الجنّة والنجاة من عذابه.

والإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) هو أحد أهل البيت المطهّرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنصّ آية المباهلة التى جاءت فى حادثة المباهلة مع نصارى نجران، وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث فى سورة آل عمران فى الآية ۶۱ قوله تعالى:

(فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) [۱] .

وروى جمهور المحدِّثين بطرق مستفيضة أنّها نزلت فى أهل البيت (عليهم السلام) وهم: رسول الله وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين، والأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

وتضمّن هذا الحدث تصريحاً من الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنّهم خير أهل الأرض وأكرمهم على الله، ولهذا فهو يباهل بهم، واعترف أُسقف نجران أيضاً قائلاً: «إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله» [۲] .

وهكذا دلّت القصة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم وسموّ مكانتهم وأفضليتهم، وأنّهم أحبّ الخلق الى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم فى فضلهم أحد من العالمين.

ولم ينصّ القرآن الكريم على عصمة أحد غير النبى (صلى الله عليه وآله) من المسلمين سوى أهل البيت (عليهم السلام) الذين أراد الله أن يطهّرهم من الرجس تطهيراً [۳] ، ولئن اختلف المسلمون فى دخول نساء النبىّ فى مفهوم أهل البيت فإنهم لم يختلفوا فى دخول علىٍّ والزهراء والحسنين فى ما تقصده الآية المباركة [۴] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم السرَّ الكامن فى وجوب مودّتهم والالتزام بخطّهم، وترجيح حبّهم على حبّ من سواهم بنص الكتاب العزيز [۵] ، فإنّ عصمة أهل البيت (عليهم السلام) أدلّ دليل على أنّ النجاة فى متابعتهم حينما تتشعّب الطرق وتختلف الأهواء، فمن عصمه الله من الرجس كان دالاً على النجاة وكان متّبعه ناجياً من الغرق.

ونصّ النبى (صلى الله عليه وآله) ـ كما عن ابن عباس ـ بأنّ آية المودّة فى القربى حينما نزلت وسأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابة التى أوجبت على المسلمين طاعتهم قائلاً: إنّهم علىّ وفاطمة وابناهما [۶] .

ولا يتركنا القرآن الحكيم حتى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل فى سورة الدهر التى نزلت لبيان عظمة الواقع النفسى الذى انطوى عليه أهل البيت والإخلاص الذى تقترن به طاعتهم وعباداتهم بقوله تعالى: (إنّما نُطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً- إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً- فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً- وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً) [۷] .

لقد روى جمهور المفسّرين والمحدّثين أنّ هذه السورة المباركة نزلت فى أهل البيت (عليهم السلام) بعدما مرض الحسنان، ونذر الإمام صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن برئا، فوفوا بنذرهم أيّما وفاء، وفاءً فيه أروع أنواع الايثار، حتى نزل قوله تعالى: (إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً- عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً- يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً.) [۸] فشكر الله سعيهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم فى الآخرة، وبما حباهم من الإمامة للمسلمين فى الدنيا حتى يرث الأرض ومن عليها.

## مكانة الامام لدى خاتم المرسلين

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين (عليها السلام) بأوصاف تنبئ عن عظيم منزلتهما لديه، فهما:

أ ـ ريحانتاه من الدنيا وريحانتاه من هذه الاُمّة [۱۷] .

ب ـ وهما خير أهل الأرض [۱۸] .

ج ـ وهما سيّدا شباب أهل الجنة [۱۹] .

د ـ وهما إمامان قاما أو قعدا [۲۰] .

هـ ـ وهما من العترة (أهل البيت) التى لا تفترق عن القرآن الى يوم القيامة، ولن تضلّ اُ مّةٌ تمسّكت بهما [۱۳] .

و ـ وهما من أهل البيت الذين يضمنون لراكبى سفينتهم النجاة من الغرق [۱۴] .

ز ـ وهما ممّن قال عنهم جدّهم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض من الاختلاف» [۱۵] .

ح ـ وقد استفاض الحديث عن مجموعة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسنين: «اللهمّ إنّك تعلم أنّى اُحبُّهما فأحبَّهما [۱۶] ، وأحبّ من يحبّهما» [۱۷] .

وعن سلمان أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «الحسن والحسين ابناى، من أحبّهما أحبّنى، ومن أحبّنى أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضنى ومن أبغضنى أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار» [۱۸] .

ط ـ وعن أنس: أنّ رسول الله سئِل أىّ أهل بيتك أحبّ اليك؟ قال: «الحسن والحسين» وكان يقول لفاطمة: «اُدعى لى ابنىَّ فيشمّهما ويضمّهما اليه»! [۱۹] .

ى ـ وروى أبو حازم عن أبى هريرة قوله: رأيت النبىّ (صلى الله عليه وآله) يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ الرجل التمرة [۲۰] .

## مكانة الامام لدى معاصريه

أ ـ عن جابر عن النبى (صلى الله عليه وآله): «أنّ الله خلقنى وخلق علياً نورين بين يدى العرش، نسبّح الله ونقدّسه قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلمّا خلق الله آدم أسكننا فى صلبه، ثم نقلنا من صُلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا فى صلب إبراهيم، ثم نقلنا من صُلب إبراهيم الى صلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا فى صلب عبدالمطّلب، ثم افترق النور فى عبدالمطّلب، فصار ثلثاه فى عبدالله وثلثه فى أبى طالب، ثم اجتمع النور منّى ومن علىّ فى فاطمة، فالحسن والحسين نوران من نور ربّ العالمين» [۲۱] .

ب ـ وقد قال معاوية لِجلسائه: من أكرم الناس أباً واُمّاً وجدّاً وجدّةً وعمّاً وعمّةً وخالاً وخالةً؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد الحسن بن على وقال: هذا أبوه على بن أبى طالب، واُمّه فاطمة ابنة محمد، وجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته هالة بنت أبى طالب، وخاله القاسم بن محمّد (صلى الله عليه وآله) وخالته زينب بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) [۲۲] .

ج ـ ولمعاوية اعتراف آخر أمام عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه بعد أن أكثروا الفخر، وأراد أن يرغم اُنوفهم، فأحضر الإمام الحسن بن على (عليه السلام)، ولمّا دحض مقالتهم التى أرادوا فيها تنقيص بنى هاشم قال معاوية بعد أن خرج الإمام من عنده: أفأُفاخر رجلاً رسول الله (صلى الله عليه وآله) جدّه، وهو سيّد من مضى ومن بقى، واُمّه فاطمة سيّدة نساء العالمين؟ ثم قال لهم: والله لئن سمع أهل الشام ذلك أنّه للسوءة السوداء... [۲۳] .

د ـ ووفد مقدام الى معاوية، فقال معاوية: أعلمت أنّ الحسن بن على توفّى؟ فرجّع المقدام [۲۴] ، فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟ فقال: ولِمَ لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله فى حجره وقال: «هذا منّى وحسين من علىّ رضى الله عنهما» [۲۵] .

هـ ـ وقال عبدالله بن عمر: أهل العراق يسألون عن الذباب يقتله المحرم، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال النبىّ (صلى الله عليه وآله): «هما ريحانتاى من الدنيا [۲۶] أو ريحانتاى من هذه الاُ مّة» [۲۷] .

و ـ وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت الحسن إلاّ فاضت عيناى، وذلك أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخل فمه فى فمه ثم يقول: «اللهم إنّى اُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه» يقولها ثلاث مرّات [۲۸] ، وقال: لا أزال اُحبّ هذا الرجل ـ يعنى الحسن ـ بعد ما رأيت رسول الله يصنع به ما يصنع [۲۹] .

ز ـ وحينما بادر ألدّ أعدائه ـ مروان بن الحكم ـ الى حمل جثمانه الطاهر واستغرب منه الحسين (عليه السلام) قائلاً له: أتحمل جثمانه وكنت تجرّعه الغصص؟! قال مروان: كنت أفعل ذلك بمن كان يوازى حلمه الجبال [۳۰] .

ح ـ وقال عنه أبو الأسود الدؤلى: وإنّه لهو المهذّب، قد أصبح من صريح العرب فى غرّ لبابها وكريم محتدها وطيب عنصرها [۳۱] .

ط ـ وقال عمرو بن اسحاق: ما تكلّم أحد أحبّ إلىّ أن لا يسكت من الحسن بن على وما سمعت منه كلمة فحش قطّ [۳۲] .

ى ـ وقال عبدالله بن الزبير: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن على (عليه السلام) فى هيبته وسموّ منزلته [۳۳] .

ك ـ وعندما وقف أخوه محمد بن الحنفية على قبره ليؤبّنه قال: لئن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء؟! غذّتك بالتقوى أكفّ الحق، وأرضعتك ثدى الايمان، ورُبّيت فى حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخيّة بفراقك، رحمك الله أبا محمد [۳۴] .

ل ـ وأبّنه أبو عبدالله الحسين بن على (عليه السلام) قائلاً: «رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحق مظانّه، وتؤثر الله عند التداحض فى مواطن التقية بحسن الرويّة، وتستشفّ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف، نقيّة الأسرّة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غَرْوَ فأنت ابن سلالة النبوّة، ورضيع لبان الحكمة، فإلى رَوْح وريحان وجنّةِ نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حُسن الأسى عنه» [۳۵] .

## مكانة الامام لدى العلماء والمؤرخين

أ ـ قال الحافظ أبو نعيم الإصبهانى ـ وهو من أعلام القرن الخامس ـ عن الإمام الحسن المجتبى: سيّد الشباب، والمصلح بين الأقارب والأحباب، شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبيبه، سليل الهدى، وحليف أهل التقى، خامس أهل الكساء، وابن سيّدة النساء، الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما [۳۶] .

ب ـ وقال ابن عبدالبرّ عنه: لا أسود ممّن سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيّداً، وكان رحمة الله عليه حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبةً فيما عند الله، وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى وما يضرّنى أن آلى أمر اُ مّة محمد (صلى الله عليه وآله) على أن يهراق فى ذلك محجمة دم [۳۷] .

و ـ وقال الحافظ ابن كثير الدمشقى عنه: وقد كان الصدّيق يجلّه ويعظّمه ويكرمه ويحبّه ويتفدّاه وكذلك ابن الخطاب، وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم عليه، وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطّمونها مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما [۳۸] .

د ـ وقال الحافظ ابن عساكر الشافعى عنه: هو سبط رسول الله وريحانته وأحد سيِّدَىْ شباب أهل الجنة... [۳۹] .

هـ ـ وقال الحافظ السيوطى: سبط رسول الله وريحانته وآخر الخلفاء بنصّه... وهو خامس أهل الكساء... [۴۰] .

و ـ وعن محمد بن اسحاق: أنه ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن [۴۱] ، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمرّ الناس، ولقد رأيته فى طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلاّ نزل ومشى، وحتى رأيت سعد بن أبى وقّاص يمشى [۴۲] .

ز ـ وقال محمد بن طلحة الشافعى عنه: كان الله قد رزقه الفطرة الثاقبة فى ايضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه النظرة الصائبة لإصلاح قواعد

الدين ومبانيه، وخصّه التى درّت لها أخلاق مادتها بصور العلم ومعانيه [۴۳] .

ح ـ وقال سبط ابن الجوزى عنه: كان من كبار الأجواد، وله الخاطر الوقّاد، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبّه حبّاً شديداً [۴۴] .

ط ـ وقال عنه ابن الأثير: وهو سيّد شباب أهل الجنة، وريحانة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وشبيهه، سمّاه النبيّ الحسن... وهو خامس أهل الكساء [۴۵] .

## من فضائل الامام المجتبى و مظاهر شخصيته

### عبادته

أ ـ روى المفضّل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه: «أنّ الحسن بن على بن أبى طالب كان أعبد الناس فى زمانه، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله ـ تعالى ذكره ـ شهق شهقةً يغشى عليه منها.

وكان إذا قام فى صلاته ترتعد فرائصه بين يدى ربّه عزّوجلّ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم [۴۶] وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله عزّوجل (يا أيّها الذين آمنوا) إلّا قال: لبّيك اللهمّ لبّيك، ولم يُرَ فى شىء من أحواله إلّا ذاكراً لله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجةً وأفصحهم منطقاً...» [۴۷] .

ب ـ وكان (عليه السلام) إذا توضّأ؛ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له فى ذلك فقال: «حقٌّ على كلّ من وقف بين يدى ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله».

ج ـ وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: «ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسىء، فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم» [۴۸] .

د ـ وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس وإن زحزح [۴۹] .

هـ ـ وعن الإمام محمد بن على الباقر (عليه السلام): «أنّ الحسن (عليه السلام) قال: إنّى لأستحى من ربّى أن ألقاه ولم أمشِ الى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه» [۵۰] .

و ـ وعن على بن جذعان: أنّ الحسن بن على (عليه السلام) خرج من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات، حتى أن كان ليعطى نعلاً، ويمسك نعلاً ويعطى خفّاً ويمسك خفّاً [۵۱] .

وللإمام المجتبى (عليه السلام) أدعية شتّى رُويت عنه، وهى تتضمّن مجموعةً من المعارف والآداب، كما تحمل أدب التقديس لله تعالى والخضوع له والتذلّل بين يديه، ونشير الى نموذج منها:

قال (عليه السلام): «اللهمّ إنّك الخَلَفُ من جميع خَلقِك، وليس فى خلقِكَ خَلَفٌ مثلُكَ، إلهى من أحسنَ فبرحمتكَ، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذى أحسنَ استغنى عن رَدفك ومعونتك، ولا الذى أساء استبدل بك وخرج من قدرتك، الهى بك عرفتك، وبك اهتديتُ الى أمرك، ولو لا أنتَ لم أدرِ ما أنتَ، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره صلّ على محمد وآل محمد، وارزقنى الإخلاص فى عملى والسعة فى رزقى، اللهمّ اجعل خير عملى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيّامى يوم ألقاك، إلهى أطعتك ولك المنّة علىَّ فى أحبّ الأشياء اليك: الإيمان بك والتصديق برسولك، ولم أعصك فى أبغض الأشياء اليك: الشرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لى ما بينهما يا أرحم الراحمين» [۵۲] .

وعن ابن كثير: أنّ الحسن كان يقرأ كلّ ليلة سورة الكهف فى لوح مكتوب، يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو فى الفراش [۵۳] .

لقد تغذّى الإمام الحسن (عليه السلام) بلباب المعرفة وبجوهر الإيمان وبواقع الدين، وانطبعت مُثُلُه فى دخائل نفسه وأعماق ذاته، فكان من أشدّ الناس إيماناً، ومن أكثرهم إخلاصاً وطاعةً لله [۵۴] .

## حلمه و عفوه

لقد عُرف الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) بعظيم حلمه، وأدلّ دليل على ذلك هو تحمّله لتوابع صلحه مع معاوية الذى نازع علياً حقّه وتسلّق من خلال ذلك الى منصب الحكم بالباطل، وتحمّل (عليه السلام) بعد الصلح أشد أنواع التأنيب من خيرة أصحابه، فكان يواجههم بعفوه وأناته، ويتحمّل منهم أنواع الجفاء فى ذات الله صابراً محتسباً.

وروى أنّ مروان بن الحكم خطب يوماً فذكر على بن أبى طالب (عليه السلام)، فنال منه والحسن بن على (عليهما السلام) جالس، فبلغ ذلك الحسين (عليه السلام) فجاء الى مروان فقال: يا ابن الزرقاء! أنت الواقع فى علىّ؟!، ثم دخل على الحسن (عليه السلام) فقال: تسمع هذا يسبّ أباك ولا تقول له شيئاً؟!، فقال: وما عسيتُ أن أقول لرجل مسلّط يقول ما شاء ويفعل ما يشاء.

وذُكر أنّ مروان بن الحكم شتم الحسن بن على (عليه السلام)، فلمّا فرغ قال الحسن: إنّى والله لا أمحو عنك شيئاً، ولكن مهّدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشدّ نقمةً منّى.

وروى أنّ غلاماً له (عليه السلام) جنى جنايةً توجب العقاب، فأمر به أن يُضرب، فقال: يا مولاى «والعافين عن الناس»، قال: عفوت عنك، قال: يا مولاى «والله يحب المحسنين»، قال: أنت حرٌ لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك [۵۵] .

وروى المبرّد وابن عائشة: أنّ شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلّم عليه وضحك، فقال: «أيها الشيخ! أظنّك غريباً؟ ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسَوْناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا الى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله فى أرضه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلىّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إلىّ... [۵۶] .

## كرمه و جوده

إنّ السخاء الحقيقى هو بذل الخير بداعى الخير، وبذل الإحسان بداعى الإحسان، وقد تجلّت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها وأسمى معانيها فى الإمام أبى محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) حتى لُقّب بكريم أهل البيت.

فقد كان لا يعرف للمال قيمةً سوى ما يردّ به جوع جائع، أو يكسو به عارياً، أو يغيث به ملهوفاً، أو يفى به دين غارم، وقد كانت له جفان واسعة أعدّها للضيوف، ويقال: إنّه ما قال لسائل «لا» قَطّ.

وقيل له: لأىّ شىء لا نراك تردّ سائلاً؟ فأجاب: «إنّى لله سائل وفيه راغب، وأنا أستحى أن أكون سائلاً وأردّ سائلاً، وإنّ الله عوّدنى عادةً أن يفيض نعمه علىَّ، وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعنى العادة» [۵۷] .

واجتاز (عليه السلام) يوماً على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ويدفع لكلب كان عنده لقمة أُخرى، فقال له الإمام: ما حملك على ذلك؟ فقال الغلام: إنّى لأستحى أن آكل ولا أُطعمه.

وهنا رأى الإمام فيه خصلة حميدة، فأحبّ أن يجازيه على جميل صنعه، فقال له: لا تبرح من مكانك، ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى الحائط (البستان) الذى هو فيه، وأعتقه وملّكه إيّاه [۵۸].

وروى أنّ جارية حيّته بطاقة من ريحان، فقال (عليه السلام) لها: أنت حرّة لوجه الله، فلامه أنس على ذلك، فأجابه (عليه السلام): «أدّبنا الله فقال تعالى: (وإذا حُيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها) [۵۹] وكان أحسن منها إعتاقها» [۶۰].

ومن مكارم أخلاقه أنّه ما اشترى من أحد حائطاً ثمّ افتقر البائع إلّا ردّه عليه وأردفه بالثمن معه.

وجاءه فقير يشكو حاله ولم يكن عنده شيء فى ذلك اليوم فعزّ عليه الأمر واستحى من ردّه، فقال (عليه السلام) له: إنّى أدلّك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير يا ابن رسول الله ما هو؟ قال (عليه السلام): اذهب الى الخليفة، فإنّ ابنته قد توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزيةً بليغة، فعزّه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال: يا ابن رسول الله حفّظنى إيّاها، قال (عليه السلام): قل له: «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك»، وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء الى الخليفة فعزّاه بها، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة، ثم قال له: أكلامك هذا؟ فقال: لا، وإنّما هو كلام الإمام الحسن، قال الخليفة: صدقت فإنّه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أُخرى [۶۱].

لقد كان (عليه السلام) يمنح الفقراء برّه قبل أن يبوحوا بحوائجهم ويذكروا مديحهم، لئلا يظهر عليهم ذلّ السؤال [۶۲].

## تواضعه و زهده

إنّ التواضع دليل على كمال النفس وسموّها وشرفها، والتواضع لا يزيد العبد إلّا رفعةً وعظمةً، وقد حذا الإمام الحسن (عليه السلام) حذو جدّه وأبيه فى أخلاقه الكريمة، وقد أثبت التاريخ بوادر كثيرة تشير الى سموّ الإمام فى هذا الخلق الرفيع، نشير الى شيء منها:

أ ـ اجتاز الإمام على جماعة من الفقراء قد وضعوا على الأرض كسيرات وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يابن بنت رسول الله الى الغذاء، فنزل (عليه السلام) وقال: «إنّ الله لا يحبّ المستكبرين»، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم الى ضيافته وأطعمهم وكساهم [۶۳].

ب ـ ومرّ (عليه السلام) على صبيان يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم فأجابهم الى ذلك، ثم حملهم الى منزله فمنحهم برّه ومعروفه، وقال: «اليد لهم لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعمونى، ونحن نجد ما أعطيناهم» [۶۴].

ورفض الإمام جميع ملاذّ الحياة ومباهجها متّجهاً الى الدار الآخرة التى أعدّها الله للمتّقين من عباده، فمن أهمّ مظاهر زهده: زهده فى الملك طلباً لمرضاة الله، ويتجلّى ذلك إذا لاحظنا مدى حرص معاوية على الملك واستعماله لكلّ الأساليب اللاأخلاقية للوصول الى السلطة، بينما نجد الإمام الحسن (عليه السلام) يتنازل عن الملك حينما لا يراه يحقّق شيئاً سوى إراقة دماء المسلمين.

ومن جملة مظاهر زهده أيضاً: ما حدّث به مدرك بن زياد أنّه قال: كنّا فى حيطان ابن عباس، فجاء ابن عبّاس وحسن وحسين فطافوا فى تلك البساتين ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقى، فقال الحسن: يا مدرك! هل عندك غذاء؟ فقلت له: نعم، ثم انطلقت فجئته بخبز وشيء من الملح مع طاقتين من بقل، فأكل منه، وقال: يا مدرك! ما أطيب هذا؟، وجيء بعد ذلك بالطعام وكان فى منتهى الحُسن، فالتفت (عليه السلام) الى مدرك وأمره بأن يجمع الغلمان ويقدّم لهم الطعام، فدعاهم مدرك فأكلوا منه ولم يأكل الإمام منه شيئاً، فقال له مدرك: لماذا لا تأكل منه؟ فقال (عليه السلام): «إنّ ذاك الطعام أحبّ عندى» [۶۵].

## نشأة الإمام الحسن المجتبى

### تاريخ ولادته

أصحّ ما قيل فى ولادته أ نّه ولد بالمدينة فى النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وكان والده (عليه السلام) قد بنى بالزهراء فاطمة (عليها السلام) وتزوّجها فى ذى الحجة من السنة الثانية، وكان الحسن المجتبى (عليه السلام) أوّل أولادها [۶۶] .

## كيفية ولادته

عن جابر: لمّا حملت فاطمة (عليها السلام) بالحسن فولدت كان النبى (صلى الله عليه وآله) قد أمرهم أن يلفّوه فى خرقة بيضاء، فلفّوه فى صفراء، وقالت فاطمة (عليها السلام): يا علىّ سمّه، فقال: ما كنت لأسبق بإسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فجاء النبىّ (صلى الله عليه وآله) فأخذه وقبّله، وأدخل لسانه فى فمه، فجعل الحسن (عليه السلام) يمصّه، ثم قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألم أتقدّم اليكم أن لا تلفّوه فى خرقة صفراء؟! فدعا (صلى الله عليه وآله) بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى الصفراء، وأذّن فى اُذنه اليمنى وأقام فى اليسرى، ثم قال لعلىّ (عليه السلام): ما سمّيته؟ قال: ما كنت لأسبقك بإسمه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما كنت لأسبق ربّى بإسمه، قال: فأوحى الله عزّ ذكره الى جبرئيل (عليه السلام) أنّه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط اليه فاقرأه السلام وهنّئه منىّ ومنك، وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل على النبى وهنّأه من الله عزّوجلّ ومنه، ثم قال له: إنّ الله عزّوجل يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر، قال: لسانى عربى، قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن [۶۷] .

وعن جابر عن النبى: أنّه سمّى الحسن حسناً لأنّ بإحسان الله قامت السماوات والأرضون [۶۸] .

## سنن الولادة

وعقّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده عن الحسن بكبش فى اليوم السابع من ولادته، وقال: «بسم الله، عقيقة عن الحسن، اللهمّ عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره، اللهمّ اجعلها وقاءً لمحمد وآله، وأعطى القابلة شيئاً، وقيل: رجل شاة، وأهدوا منها الى الجيران، وحلق رأسه ووزن شعره فتصدّق بوزنه فضة ورقاً [۶۹] .

## رضاعه

وجاء عن اُمّ الفضل زوجة العباس ـ عمّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) ـ أنّها قالت: قلت: يا رسول الله! رأيت فى المنام كأنّ عضواً من أعضائك فى حجرى، فقال (صلى الله عليه وآله): خيراً رأيتِ، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه، فوضعت فاطمة الحسن (عليه السلام) فدفعه اليها النبىّ (صلى الله عليه وآله) فرضعته بلبن قُثَم بن العبّاس [۷۰] .

## كنيته و ألقابه

أما كنيته فهى: «أبو محمّد» لا غير.

وأما ألقابه فكثيرة، وهى: التقىّ والطيّب والزكىّ والسيّد والسبط والولىّ، كلّ ذلك كان يقال له ويطلق عليه، وأكثر هذه الألقاب شهرة «التقىّ» لكن أعلاها رتبة وأولاها به ما لقّبه به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث وصفه به وخصّه بأن جعله نعتاً له، فإنّه صحّ النقل عن النبى (صلى الله عليه وآله) فيما أورده الأئمة الأثبات والرواة الثقات أنّه قال: «إبنى هذا سيّد»، فيكون اُولى ألقابه «السيّد».

## نقش خاتمه

عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام): ثم كان فى خاتم الحسن والحسين (عليهما السلام): «حسبى الله».

وعن الرضا (عليه السلام): كان نقش خاتم الحسن (عليه السلام) «العزّة لله» [۷۱].

## حليته و شمائله

عن جحيفة أنّه قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان الحسن بن على يشبهه.

وعن أنس أنّه قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحسن بن علىّ (عليه السلام) [۷۲].

ومن هنا وُصِف الإمام الحسن بن على بأنه كان أبيض مشرّباً حمرةً، أدعج العينين [۷۳]، سهل الخدّين، دقيق المسرُبَةِ [۷۴]، كثّ اللحية، ذا وفرة [۷۵] كأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس [۷۶]، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر [۷۷]، حسن البدن [۷۸].

لقد كان الحسن بن علىّ (عليهما السلام) خير الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالةً، وتوفّرت له جميع عناصر التربية المثلى، وانطبعت حياته منذ ولادته ببصمات الوحى الإلهى والإعداد الربّانى على يدى خاتم الأنبياء وسيّد الأوصياء وسيدة النساء.

فالحسن ابن رسول الله جسماً ومعنىً، وتلميذه الفذّ، وربيب مدرسة الوحى التى شعّت على الناس هدىً ورحمة.

## مراحل حياة الإمام المجتبى

تولّى الإمام الحسن السبط (عليه السلام) منصب الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه المرتضى (عليه السلام) فى الواحد والعشرين من رمضان سنة ۴۰ هجرية وهو فى السابعة والثلاثين من عمره المبارك. وقد عاش خلال هذه المرحلة مع جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ما يزيد على سبع سنوات ومع أبيه المرتضى (عليه السلام) فترة إمامته البالغة ثلاثين سنة تقريباً. وعاصر خلالها كلاًّ من الخلفاء الثلاثة وشارك بشكل فاعل فى ادارة دولة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

واستمر بعد أبيه يحمل مشعل القيادة الربّانية حتى الثامن والعشرين أو السابع من شهر صفر سنة ۵۰ هجرية، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة [۷۹].

اذن تنقسم حياة هذا الإمام العظيم الى شطرين أساسيين:

الشطر الأول: حياته قبل إمامته (عليه السلام) وينقسم هذا الشطر الى ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: حياته فى عهد جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

المرحلة الثانية: حياته فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان.

المرحلة الثالثة: حياته فى دولة أبيه أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)

الشطر الثانى: حياته بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) وهو عصر امامته (عليه السلام). وينقسم هذا الشطر الى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الأُولى: وتبدأ من البيعة له بالخلافة حتى الصلح.

المرحلة الثانية: وهى مرحلة ما بعد الصلح حتى استشهاده (عليه السلام).

ونحن نبحث المراحل الثلاث الأُولى فى الفصل الثانى من الباب الثانى، ونفرد البحث عن الشطر الثانى بباب مستقل، بعد أن نسلّط الأضواء الكافية على طبيعة عصر الإمام (عليه السلام) ومميزاته وخصائصه؛ لنخرج برؤى موضوعية ومنطقية عن سلامة مواقف الإمام (عليه السلام) سواء قبل الصلح وبعده، ولنرى ما حقّقه هذا الإمام الهمام والشجاع الصابر، ونلاحظ كيف استطاع أن يؤدى دوره الكبير فى أخطر مرحلة من مراحل تأريخنا الإسلامى بمواقفه الرسالية ومنطلقاته المبدئية، وكيف استطاع أن يصل الى الأهداف الرسالية التى جعلها الله تعالى على عاتقه كإمام معصوم يراد منه تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية الكبرى.

## الامام المجتبى فى ظل جده و أبيه

### الامام الحسن فى عهد الرسول الأعظم

#### اشاره

ولد الإمام الحسن (عليه السلام) فى حياة جدّه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعاش فى كنفه سبع سنوات وستّة أشهر من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلّتها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغّرة عن شخصية الرسول حتى ليصبح جديراً بذلك الوسام العظيم الذى حباه به جدّه، حينما قال له: «أشبهت خلقى وخلقى» [۸۰].

والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو الذى تحمّل مسؤولية هداية ورعاية الأُمّة، و مسؤولية تبليغ الرسالة وتطبيقها وحماية مستقبلها وذلك بوضع الضمانات التى لا بدّ منها فى هذا المجال، وهو المطّلع ـ عن طريق الوحى ـ على ما ينتظر هذا الوليد الجديد من دور قيادى هامّ، والمأمور بالإعداد لهذا الدور، وذلك ببناء شخصية هذا الوليد بناءً فذّاً يتناسب مع المهام الجسام التى تؤهله للاضطلاع بها على صعيد هداية الأُمّة وقيادتها.

إن كلمة الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام الحسن (عليه السلام): «أشبهت خَلقى وخُلقى» تعدّ وسام الجدارة والاستحقاق لذلك المنصب الإلهى الذى هو وراثة الرسالة وخلافة النبى (صلى الله عليه وآله) بعد خلافة وصيه على بن أبى طالب (عليه السلام).

وإنّ إحدى مهامّ الرسول (صلى الله عليه وآله) خلق المناخ الملائم لدى الأُ مّة التى يفترض فيها أن لا تستسلم لمحاولات الابتزاز لحقّها المشروع فى الاحتفاظ بقيادتها الإلهية، وأن لا تتأثر بعمليات التمويه والتشويه لطمس الركائز التى تقوم عليها رؤيتها العقائدية والسياسية التى حاول الإسلام تعميقها وترسيخها فى ضمير الأُمّة.

ومن هنا نعرف الهدف الذى كان يرمى اليه النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى تأكيداته المتكررة على ذلك الدور الذى كان ينتظر الإمام الحسن وأخاه (عليهما السلام) منها قوله (صلى الله عليه وآله): «إنّهما إمامان قاما أو قعدا» [۸۱] و«أنتما الإمامان، ولأُمّكما الشفاعة» [۸۲].

وقوله (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام): «أنت سيّد، ابن سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم» [۸۳].

وقوله (صلى الله عليه وآله) فى الإمام الحسن (عليه السلام): «هو سيّد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأُ مّة، أمره أمرى، وقوله قولى، من تبعه فإنّه منّى، ومن عصاه فإنّه ليس منّى...» [۸۴].

ونلاحظ حرصه على ربط قضاياهما بنفسه، إذ يقول: «أنا سِلمٌ لِمَن سالمتم، وحرب لِمَن حاربتم» [۸۵].

وجاء عن أنس بن مالك أنّه قال: دخل الحسن على النبى (صلى الله عليه وآله) فأردت أن أُميطه عنه، فقال: «ويحك يا أنس! دع ابنى وثمرة فؤادى، فإنّ من آذى هذا آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۸۶].

وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يُقَبّل الإمام الحسن (عليه السلام) فى فمه ويُقَبّل الإمام الحسين (عليه السلام) فى نحره، وكأنّه يريد إثارة قضية مهمة ترتبط بسبب استشهادهما (عليهما السلام) وإعلاماً منه عن تعاطفه معهما، وتأييده لهما فى مواقفهما وقضاياهما.

لقد كان الإمام الحسن (عليه السلام) أحبّ الناس الى النبىّ (صلى الله عليه وآله) [۸۷] ، بل لقد بلغ من حبّه له ولأخيه أنّه كان يقطع خطبته فى المسجد وينزل عن المنبر ليحتضنهما.والكلّ يعلم أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لم ينطلق فى مواقفه من منطلق الأهواء الشخصية، والنزعات والعواطف الذاتية، وإنّما كان ينبّه الأُمّة الى عظمة هذين الإمامين ومقامهما الرفيع.

وإنّ ما ذكر هو الذى يفسّر لنا السرّ فى كثرة النصوص التى وردت عنه (صلى الله عليه وآله) حول الحسنين (عليهما السلام) مثل قوله (صلى الله عليه وآله) بالنسبة للإمام الحسن (عليه السلام): «اللّهمّ إنّ هذا ابنى وأنا أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه» [۸۸] ، وقوله (صلى الله

عليه وآله): «أحبّ أهل بيتى إلىّ الحسن والحسين...» [۸۹] .

## يوم المباهلة و مداليله

وفد بعض أساقفة نصارى نجران على النبىّ (صلى الله عليه وآله) وناظروه فى عيسى، فأقام عليهم الحجة فلم يقبلوا، ثم اتفقوا على المباهلة [۹۰] أمام الله على أن يجعلوا لعنة الله الخالدة وعذابه المعجّل على الكاذبين.

ولقد سجّل القرآن الكريم هذا الحادث العظيم فى تاريخ الرسالة الإسلامية بقوله تعالى:

(إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون - الحقّ من ربّك فلا تكن من الممترين- فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءناونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لّعنت الله على الكاذبين) [۹۱] .

فلمّا رجعوا الى منازلهم قال رؤساؤهم «السيّد والعاقب والأهتم»: إن باهَلنا بقومه باهلناه، فإنه ليس نبيّاً، وإن باهَلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله، فإنه لا يُقدِم الى أهل بيته إلّا وهو صادق، فخرج اليهم (صلى الله عليه وآله) ومعه علىّ وفاطمة والحسنان (عليهم السلام) فسألوا عنهم، فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه على بن أبى طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين، ففرقوا فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الجزية وانصرفوا [۹۲] .

ولقد أجمع المفسّرون على أنّ المراد بأبنائنا: الحسن والحسين [۹۳] .

وقال الزمخشرى: وفيه دليل ـ لا شىء أقوى منه ـ على فضل أصحاب الكساء [۹۴] .

ويمكننا استخلاص جملة من الأُمور من يوم المباهلة أهمها:

أوّلاً: الأُنموذج الحىّ:

إنّ إخراج الحسنين (عليهما السلام) فى قضية المباهلة لم يكن أمراً عادياً، وإنّما كان مرتبطاً بمعانى ومداليل خطيرة، أهمها: أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) حينما يكون على استعداد للتضحية بنفسه وبهؤلاء الذين يعتبرهم القمّة فى النضج الرسالى، بالإضافة الى أنّهم أقرب الناس اليه فإنّه لا يمكن أن يكون كاذباً ـ والعياذ بالله ـ فى دعواه، كما لا يحظه وأقرّه رؤساء النصارى الذين جاءوا ليباهلوه، وكذلك يدل على تفانيه فى رسالته الإلهيّة وعلى ثقته بما يدعو اليه.

ثانياً: فى خدمة الرسالة:

إنّ اعتبار الإمام الحسن وأخيه الحسين (عليهما السلام) فى صباهما المثل الأعلى والأُنموذج المجسّد للإسلام وعى عقائدى سليم فرضته الأدلة والبراهين التى تؤكّد بشكل قاطع على أن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا فى حال طفولتهم فى المستوى الرفيع الذى يؤهّلهم لتحمّل الأمانة الإلهية وقيادة الأُمّة قيادة حكيمة وواعية، كما سَجَّل التاريخ ذلك بالنسبة لكل من الإمامين الجواد (عليه السلام) والمهدى «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» حيث شاءت الإرادة الإلهية أن يتحمّلا مسؤولياتهما القيادية فى السنين الأُولى من حياتهما، وهذا ليس بالغريب على من أرادهم الله حملة لدينه ورعاة لبريته، فهذا عيسى بن مريم يتحدّث عنه القرآن الكريم بقوله: (فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان فى المهد صبيّاً - قال إنّى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيّاً...) [۹۵] .

وكذلك كان يحيى (عليه السلام) الذى قال الله سبحانه عنه: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيّا» [۹۶] .

لقد كان الحسنان (عليهما السلام) فى أيّام طفولتهما الأُولى أيضاً فى مستوىً من النضج والكمال الإنسانى بحيث كانا يملكان كافة المؤهّلات التى تجعلهما محلاً للعناية الإلهية، وأهلاً للأوسمة الكثيرة التى منحها إيّاهما الإسلام على لسان نبيّه العظيم (صلى الله عليه وآله) ممّا جعلهما قادرين على تحمّل المسؤوليات الجسام، وحيث إنّ الحاضرين للمباهلة شركاء فى الدعوى، إذن فعلىّ وفاطمة والحسنان (عليهم السلام) شركاء فى الدعوى، وفى الدعوة الى المباهلة لإثباتها.

وهذا من أفضل المناقب التى خصّ الله بها أهل بيت نبيّه [۹۷] .

وقد استنتج علماء المسلمين الفضل للحسن والحسين (عليهما السلام) من المباهلة، ومنهم ابن أبى علان ـ وهو أحد أئمة المعتزلة ـ حيث يقول: هذا يدل على أنّ الحسن والحسين كانا مكلّفين فى تلك الحال؛ لأنّ المباهلة لا تجوز إلّا مع البالغين [۹۸] .

ويؤيّد ذلك أيضاً، اشراكهما (عليهما السلام) فى بيعة الرضوان، ثم شهادتهما للزهراء (عليها السلام) فى قضية نزاعها مع أبى بكر حول فدك، الى غير ذلك من أقوال ومواقف للنبىّ (صلى الله عليه وآله) فيهما فى المناسبات المختلفة.

وهذا كلّه يصبّ فى المنهج الذى أراده النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى إعداد الناس نفسيّاً، وإفهامهم بأنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يمكنهم أن يتحمّلوا مهمة رسالية فى قطعة زمنية من أعمارهم.

ثالثاً: سياسات لابدّ من مواجهتها:

هنالك مجموعة من الغايات التربوية والسياسية التى كانت تكمن وراء إشراك النبى (صلى الله عليه وآله) أهل بيته فى المباهلة، منها:

أ ـ إنّ إخراج العنصر النسوى ممثّلاً بفاطمة الزهراء ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ والتى تعتبر الأُنموذج الأسمى للمرأة المسلمة فى أمر دينى ومصيرى كهذا كان من أجل محو ذلك المفهوم الجاهلى البغيض، الذى كان لا يرى للمرأة أيّةَ قيمة أو شأن يذكر، بل كانوا يرون فيها مصدر شقاء وبلاء ومجلبة للعار ومظنّة للخيانة [۹۹] ، فلم يكن يتصوّر أحد منهم أن يرى المرأة تشارك فى مسألة حساسة وفاصلة، بل ومقدّسة كهذه المسألة، فضلاً عن أن تعتبر شريكة فى الدعوى، وفى الدعوة لإثباتها.

ب ـ إنّ إخراج الحسنين (عليهما السلام) الى المباهلة بعنوان أنهما أبناء الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) مع أنّهما ابنا ابنته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) له دلالة هامة ومغزىً عميق، حيث إنّه «فى الآية دلالة على أنّ الحسن والحسين ـ وهما ابنا البنت ـ يصح أن يقال: إنّهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما»، و بالإضافة الى ما أُشير اليه آنفاً كان يهدف الى إزالة المفهوم الجاهلى القائل بأنّ أبناء الأبناء هم الأبناء فى الحقيقة دون أبناء البنات.

ومع كلّ ما قام به النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى يوم المباهلة لتصحيح هذا المفهوم الجاهلى تجد البعض يبقى متمسّكاً به، وقد ظهر هذا التمسّك فى بعض الآراء الفقهية حول تفسير قوله تعالى: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظّ الأُنثيين) حيث اعتبر الإرث مختصّاً بعقب الأبناء دون من عقبته البنات [۱۰۰] .

وبالرغم من كون المنهج المناوئ لأهل البيت قد حظى بكثير من الدعم من قبل الحكام مجنِّدين كلّ الطاقات من أجل تأكيده وتثبيته، إلاّ أنّه كانت ثمة عقبة كَؤُود تواجههم وتعترض سبيل نجاحهم فى تشويه الحقيقة وتزوير التأريخ، وهى وجود أهل البيت (عليهم السلام) الذين يملكون أقوى الحجج وأعظم الدلائل والشواهد من القرآن ومن الحديث المتواتر ومن المواقف النبويّة المتضافرة التى عرفها ورآها وسمعها عدد هائل من صحابة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثم انتقلت منهم الى الأُ مّة الإسلامية.

ولا بأس أن نذكر شيئاً من محاولات نفى بنوّة الحسنين (عليهما السلام) له (صلى الله عليه وآله):

۱ ـ قال ذكوان مولى معاوية: قال معاوية: لا أعلمنّ أحداً سمّى هذين الغلامين ابنى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن قولوا: ابنى على (عليه السلام)، قال ذكوان: فلمّا كان بعد ذلك أمرنى أن أكتب بنيه فى الشرف، قال: فكتبت بنيه وبنى بنيه وتركت بنى بناته، ثم أتيته بالكتاب فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبْر بنىّ! فقلت: من؟ فقال: أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بَنىَّ؟ قال: قلت: الله!! أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! قال: ما لك؟ قاتلك الله! لا يسمعنّ هذا أحد منك [۱۰۱] .

۲ ـ قال الإمام الحسن (عليه السلام) محتجّاً على معاوية: «... فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأنفس معه أبى، ومن البنين أنا وأخى، ومن النساء فاطمة أُمى من الناس جميعاً، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منّا» [۱۰۲] .

۳ ـ وقال الرازى فى تفسير قوله تعالى: (ومن ذرّيته داود وسليمان وأيوب ويوسف ـ الى قوله ـ وزكريا ويحيى وعيسى) بعد أن ذكر دلالة الآية على بنوّة الحسنين للنبىّ (صلى الله عليه وآله) قال: «ويقال: إنّ أبا جعفر الباقر استدلّ بهذه الآية عند الحجّاج بن يوسف»

[۱۰۳].

۴ ـ وأرسل عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين (عليه السلام) يعيبه بأشياء منها: أنّه يسمّى حسناً وحسيناً وَلَدَى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لرسوله: «قل للشانئ ابن الشانئ: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر، كما زعم أبوك» [۱۰۴].

لقد صدع الإمام الحسن (عليه السلام) فى أكثر من مناسبة وأكثر من موقف، ولم يكن يكتفى بإظهار وإثبات بنوّته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقط، وإنّما كان يؤكّد من خلالها أنّ حقّ الإمامة والخلافة له وحده، ولا يمكن أن يصل الى معاوية وأضرابه؛ لأنّ معاوية يفتقد المواصفات المؤهّلة للخلافة، بل يتّصف بما ينافيها.

ومن كلامه فى جملة من المواقف وفى هذا الشأن بالخصوص:

۱ ـ أنّه (عليه السلام) خطب فور وفاة أبيه (عليه السلام) فقال: «أيّها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، وأنا ابن النبيّ، وأنا ابن الوصيّ» [۱۰۵].

۲ ـ إنّ معاوية طلب منه (عليه السلام) أن يصعد المنبر ويخطب، فصعد المنبر وخطب وصار يقول: أنا ابن، أنا ابن... الى أن قال: «لو طلبتم إبناً لنبيّكم ما بين لابتيها لم تجدوا غيرى وغير أخى» [۱۰۶].

## شهادة الحسنين على كتاب لثقيف

لقد أشهد النبى (صلى الله عليه وآله) الحسنين (عليهما السلام) حينما كتب كتاباً لثقيف، وأثبت فيه شهادة عليّ والحسنين صلوات الله وسلامه عليهم.

قال أبو عبيد: وفى هذا الحديث من الفقه إثباته شهادة الحسن والحسين، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين: أنّ شهادة الصبيان تكتب ويستنسبون، فيستحسن ذلك، فهو الآن فى سنّة النبيّ [۱۰۷].

نقول: ألم يجد النبيّ أحداً من الصحابة يستشهده على ذلك الكتاب الخطير الذى كان يرتبط بمصير جماعة كبيرة سوى هذين الصبيّين؟! وهل كان وحيداً (صلى الله عليه وآله) حينما جاءه وفد ثقيف، وكتب لهم ذلك الكتاب حتى احتاج الى استشهاده ولَدَين صغيرين لم يبلغا الخمس سنوات؟.

إنّ أدنى مراجعة للنصوص التاريخية لتبعد هذا الاحتمال كلّ البعد، حيث إنّها صريحة فى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد ضرب لهم قبة فى المسجد ليسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلّوا، وكان خالد بن سعيد بن العاص حاضراً، وكان خالد بن الوليد هو الكاتب، ومع ذلك لم يشهدا على الكتاب [۱۰۸].

إنّنا نعى من ذلك ما أراد أن يشير اليه النبيّ (صلى الله عليه وآله) من فضل الحسنين، وأنّهما مؤهّلان لأن يتحمّلا المسؤوليات الجسام حتى فى المعاهدات السياسية الخطيرة كهذه المعاهدة بالذات، والتى كانت مع ثقيف المعروفة بعدائها الشديد للإسلام والمسلمين.

## حضور الحسنين بيعة الرضوان

لقد حضر الحسنان (عليهما السلام) بيعة الرضوان، واشتركا فى البيعة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعرف ذلك عند المؤرّخين.

قال الشيخ المفيد (رحمه الله): «وكان من برهان كمالهما (عليهما السلام) وحجة اختصاص الله تعالى لهما بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبياً فى ظاهر الحال غيرهما» [۱۰۹].

ومن المعلوم أنّ البيعة تتضمّن إعطاء التزام وتعهّد للطرف الآخر بتحمّل مسؤوليات معينة ترتبط بمستقبل الدعوة والمجتمع الإسلامى، وحمايتهما من كثير من الأخطار التى ربّما يتعرّضان لها، ومعنى ذلك أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد رأى فى الحسنين (عليهما السلام) ـ على صغر سنهما ـ أهلية وقابلية لتحمّل تلك المسؤوليات الجسام، والوفاء بالالتزامات التى أخذا على عاتقهما الوفاء بها.

### الحسن و الحسين إمامان

روى عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» [۱۱۰] . رغم أنّه لم يكن عمرهما حينئذ قد تجاوز الخمس سنوات، وبذا يكون للحديث أهميته وعمق دلالته فى معناه، ونجد الإمام الحسن (عليه السلام) يستدلّ بهذا القول على من يعترض عليه فى صلحه مع معاوية [۱۱۱] .

## الامام الحسن فى عهد الخلفاء

### فى عهد أبى بكر و عمر

#### اشاره

بوفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ينتهى عهد الرسالة ويبدأ عهد الإمامة، بدءً بإمامة على بن أبى طالب (عليه السلام) والذى عيّنه الرسول الأمين ليتحمّل أعباء الثورة الإلهية المباركة والقيادة الربّانيّة للأُمّة الإسلامية، التى حباها الله بوافر لطفه، وأنقذها من براثن الجاهلية، لتنعم فى ظلِّ الهداية الرشيدة إلى حيث الكمال والجلال.

لقد اجتاز الحسنان (عليهما السلام) مرحلة الصبا فى حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عرفنا كيف أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يعاملهما معاملة الصبيان، بل كان يتعامل معهما كشخصيّتين إسلاميتين تنتظرهما مسؤوليات رياديّة كبرى، كما أفصحت عن ذلك نصوص نبويّة وفيرة.

وبدأت مرحلة فتوّتهما فى ظلّ إمامة أبيهما، وفى ظروف غير مستقرّة، لا للدولة الإسلامية ولا لأهل بيت النبوّة، حيث أُبعد علىّ (عليه السلام) عن القيادة السياسية، وتولّى الأمر رجال لم يجعل لهم نصيب فى القيادة استئثاراً وحسداً، واستصغاراً لشأن علىّ (عليه السلام) وموقعه الريادىّ الإلهىّ.

ثم تعرّضت دار الزهراء (عليها السلام) للهجوم المباغت واقتيد علىّ (عليه السلام) ليبايع أبا بكر؛ كى تستقر الدولة المهدّدة بالأخطار.

وفى كلّ هذه الأحوال كان الحسنان يراقبان تطوّرات الأحداث، وكيف أصبحا بعد ذلك العزّ فى عهد جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُستذلاّن وتستذلّ العترة النبوية الطاهرة، وقد كانت للزهراء ولإبنيها مواقف شتى فى هذه الفترة، وهى لا تخرج عن المخطّط الرسالى الذى خطّه لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يرتبط بالرسالة بعد وفاته. وسوف نشير باختصار إلى المواقف التى ترتبط بالإمام الحسن (عليه السلام) خاصّةً، أو به وبأخيه الحسين (عليه السلام).

#### الحسنان و فدک

لقد توفّى الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) وحدث بعده ما حدث من استئثار القوم بالأمر، وتنصيب أبى بكر خليفةً على المسلمين، وإقصاء على ابن أبى طالب (عليه السلام) عن محلّه الطبيعى الذى أهّله الله سبحانه وتعالى له، وتعرض فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) لاغتصاب إرثها من أبيها، ومصادرة ما كان النبىّ قد ملّكها فى حال حياته، وما دار بينها وبين أبى بكر من مساجلات واحتجاجات حول هذا الموضوع، حتى طلب منها أن تأتى بالشهود لإثبات ما تدّعيه، فجاءت بأمير المؤمنين (عليه السلام) وبالحسنين (عليهما السلام) وبأُم أيمن (رضى الله عنها)، ولكنّ أبا بكر ردّ الشهود، ورفض إرجاع حقّها إليها.

إنّ استشهاد الزهراء البتول ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ بالحسنين (عليهما السلام) ـ وهى المرأة المعصومة بحكم آية التطهير ـ لم تكن لِتُصدِر ولا لِتوردَ الاّ وفق أحكام الشرع الإسلامى الحنيف، وذلك بمرأىً وبمسمع من المسلمين، وبتأييد ورضىً من سيّد الوصيّين

وأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، كلّ ذلك كان له دلالة تامة على أهليتهما لأداء الشهادة فى مناسبة كهذه، مع أنّهما كانا آنذاك لا يتجاوز عمرهما السبع السنوات.

إنّ إعطاءهما دوراً بارزاً فى قضية كبيرة كهذه، لم يكن أمراً عفوياً، ولا منفصلاً عن الضوابط التى تنتظم مواقف أهل البيت (عليهم السلام)، وإنما كان امتداداً لمواقف النبى (صلى الله عليه وآله) منهما، فى مجال إعدادهما، ووضعهما فى مكانهما الطبيعى وعلى المستوى القيادى للأُمّة.

## اعتراضه على أبى بكر

وللحسن بن علىّ (عليهما السلام) موقف مع أبى بكر، حيث جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له: انزل عن منبر أبى، فأجابه أبو بكر: صدقت والله، إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبى [۱۱۲].

## الامام الحسن و أسئلة الأعرابى

تقوم الإمامة على ركنين رئيسين: أحدهما: الكفاءة التى تشمل العلم والعصمة وغيرهما، والآخر: النص، من هنا نجد الأئمة (عليهم السلام) كانوا يهتمّون بذكر هذه النصوص والتذكير بها والتركيز عليها باستمرار، وقد كان الإمام الحسن (عليه السلام) قد أولى إهتماماً خاصّاً ـ وفى كثير من أقواله ومواقفه ـ لذكر هذه النصوص، ومن ذلك قوله: إنّهم هم الذين افترض الله طاعتهم، وإنّهم أحد الثقلين [۱۱۳].

وكذلك الحال بالنسبة إلى العلم، فإنّهم (عليهم السلام) ما فتئوا يؤكدون على أنّهم هم ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعندهم الجفر والجامعة وغير ذلك [۱۱۴].

وقد كان الإمام علىّ (عليه السلام) يهتم فى إثبات صفة علم الإمامة للإمام الحسن (عليه السلام) منذ طفولته، لكى يطّلع المسلمون على مدى علمه، فيكون دليلاً قاطعاً على إمامته (عليه السلام)، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يهتم فى إظهار ذلك لأُولئك الذين استأثروا بالأمر وأقصوا أصحاب الحقّ الحقيقيين عن حقّهم، وقد اتّبع (عليه السلام) فى لفت الأنظار إلى الحسن (عليه السلام) أُسلوباً من شأنه أن يتناقله الناس ويتندروا به فى مجالسهم، إذ أنّ إجابة طفل لم يبلغ عمره العشر سنوات على أسئلة عويصة وغامضة لأمر يثير عجبهم ويستأثر باهتمامهم.

وذكر القاضى النعمان فى شرح الأخبار بإسناده عن عبادة بن الصامت: أنّ أعرابياً سأل أبا بكر، فقال: إنّى أصبت بيض نعام فشويته، وأكلته وأنا محرم، فما يجب علىّ؟ فقال له: يا أعرابى، أشكلت علىّ فى قضيّتك، فدلّه على عمر، ودلّه عمر على عبد الرحمن بن عوف، فلمّا عجزوا قالوا: عليك بالأصلع، فقال أمير المؤمنين: «سل أىّ الغلامين شئت»، فقال الحسن: «يا أعرابى، ألك إبل؟» قال: نعم، قال: «فاعمد إلى ما أكلت من البيض نوقاً، فاضربهن بالفحول، فما فصل منها فأهده إلى بيت الله العتيق الذى حججت إليه»، فقال أمير المؤمنين: «إنّ من النوق السلوب، ومنها ما يزلق» [۱۱۵]، فقال: إن يكن من النوق السلوب وما يزلق، فإنّ من البيض ما يمرق [۱۱۶]، قال: فسمع صوت «أيّها الناس، إنّ الذى فهّم هذا الغلام هو الذى فهّمهما سليمان بن داود» [۱۱۷].

## الامام الحسن فى الشورى

بعد أن طعن عمر بن الخطاب، ورتّب قضية الشورى على النحو المعروف قال للمرشحين: «وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شىء، وأحضروا معكم الحسن بن على وعبدالله بن عباس، فإنّ لهما قرابة، وأرجو لكم البركة فى حضورهما، وليس

لهما من أمركم شيء. ويحضر عبدالله مستشاراً، وليس له من الأمر شيء» فحضر هؤلاء [۱۱۸].

وقد قبل الإمام الحسن حضور جلسات الشورى، وكان حضوره يعنى انتزاع الاعتراف من عمر بأنّه ممّن يحقّ له المشاركة السياسية، حتى فى أعظم وأخطر قضية تواجهها الأُمّة، وكذلك كى يفهم الناس هذا الأمر ولكى يتمكّن فى المستقبل من إظهار رأيه فى القضايا المصيرية، ولو لم يُقبل منه.

### فى عهد عثمان

### الامام الحسن فى وداع أبى ذر

«يا عمّاه! لو لا أنّه لا ينبغى للمودّع أن يسكت وللمشيّع أن ينصرف؛ لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها، وشدّة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيّك (صلى الله عليه وآله) وهو عنك راض» [۱۱۹].

تلك هى كلمات الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وهو يودّع ـ مع أبيه وأخيه وعمّه عقيل وابن عمّه عبدالله بن جعفر وابن عبّاس ـ أبا ذرّ الصحابى الجليل الذى جاهد وناضل فى سبيل الدين والحقّ وما لاقى من اضطهاد وإهانة وبلاء حتى قضى غريباً وحيداً فى «الربذة» منفاه.

وهى كلمات ناطقة معبّرة عن موقف عميق تجاه تصرّفات وأعمال الخط الحاكم، وهو بكلماته هذه يساهم فى تحقيق ما كان يرمى اليه أبو ذرّ من أهداف، حيث كان لا بدّ من إطلاق الصرخة لايقاظ الأُمّة من سباتها وتوعيتها على حقيقة ما يجرى وما يحدث، وإفهامها أنّ الحاكم لا يمكن أن يكون أبداً فى منأىً عن المؤاخذة، ولا هو فوق القانون، وإنّما هو ذلك الحامى له والمدافع عنه، فإذا ما سوّلت له نفسه أن يرتكب أيّة مخالفة أو أن يستغلّ مركزه فى خدمة أهوائه ومصالحه الشخصيّة؛ فبإمكان كلّ شخص من المسلمين بل من واجبه أن يعلن كلمة الحقّ، ويعمل على رفع الظلم والانحراف.

ومن جهة أُخرى فإنّه إذا كانت الظروف لا تسمح لأمير المؤمنين وسبطيه (عليهم السلام) وآخرين ممن ساروا على خطّهم لأن يقفوا موقف أبى ذرّ؛ فإنّ عليهم ـ على الأقل ـ أن يعلنوا رأيهم الذى هو رأى الإسلام فيه وفى مواقفه، فإنّ ذلك من شأنه أن يعطى موقفه العظيم ذلك بُعداً إعلاميّاً وعمقاً فكريّاً وسياسيّاً يحمى تلك المعطيات والنتائج التى ستنشأ عنه.

وإذا تأمّلنا فى كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) لأبى ذرّ فى ذلك الموقف؛ فإنّنا نجدها تتضمّن عميق أسفه لما فعله القوم بأبى ذرّ، ثم تشجيعه وشدّ أزره فى موقفه، ويعتبر أنّ فيه رضى النبىّ (صلى الله عليه وآله) ومن ثم رضى الله سبحانه وتعالى.

كما أنّه يحاول التخفيف عن أبى ذرّ، بعد إعطائه الرؤية الصحيحة التى من شأنها أن تخفّف من وَقْع المحنة عليه، وتسهّل عليه مواجهة البلايا التى تنتظره، وذلك حينما يأمره (عليه السلام) بأن يضع عنه الدنيا بتذكّر فراغها، وشدّة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها.

### هل اشترك الإمام الحسن فى الفتوح؟

قال بعض المؤرّخين: وفى سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص «طبرستان»، وكان أهلها فى خلافة عمر قد صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه، ثم نقضوا فغزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عبّاس!.

ولمّا أراد المسلمون فتح أفريقية فإنّ عثمان جهّز العساكر من المدينة، وفيهم جماعة من الصحابة، منهم ابن عبّاس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير، وساروا مع عبدالله ابن أبى سرح سنة ستٍّ وعشرين [۱۲۰].

وقد نوقش هذا الزعم ـ وهو اشتراك الحسنين (عليهما السلام) فى الفتوحات ـ بمايلى:

أ ـ إنّ تلك الفتوحات لم تكن عموماً من أجل مصالح الإسلام العليا، حيث إنّ الحكام كانوا يستفيدون من تلك الفتوحات فى مجال إرضاء طموحاتهم وإشباع غرورهم، فقد أسالت الفتوحات لعابهم بما فيها من غنائم وبسط نفوذ، فصاروا يهتمّون بتقوية أمرهم وتثبيت سلطانهم، وهناك من الحكّام من كان الدين والإسلام بنظرهم مجرد شعار يخدم ملكهم ويقوّيه.

ونستطيع أن نورد كثيراً من الشواهد والأدلة على مدى اهتمام الحكام وأعوانهم وكلّ من ينتسب إليهم بجمع الأموال والحصول على الغنائم بحقّ أو بغير حقّ، ويكفى أن نذكر: أنّ زياداً بعث الحكم بن عمر الغفارى على خراسان، فأصابوا غنائم كثيرة فكتب اليه زياد: أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين كتب أن يصطفى له البيضاء والصفراء، ولا يقسّم بين المسلمين ذهباً ولا فضّةً، فرفض الحكم ذلك، وقسّمه بين المسلمين، فوجّه إليه معاوية من قيّده وحبسه فمات فى قيوده، ودفن فيها، وقال: إنّى مخاصم [۱۲۱].

وقد بدأ التعذيب بالجزية فى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطّاب [۱۲۲]، بل لقد رأيناهم يوجبون الجزية حتى على من أسلم من أهل الذمة، وذلك بحجة أنّ الجزية بمنزلة الضريبة على العبد فلا يسقط إسلام العبد ضريبته، لكن عمر ابن عبد العزيز شذّ عن هذه السياسة وأسقطها عنهم، كما يذكرون [۱۲۳].

كما أنّ عمر بن الخطاب حاول أخذ الجزية من رجل أسلم على اعتبار أنّه: إنّما أسلم متعوّذاً،فقال له ذلك الشخص: إنّ فى الإسلام لمعاذاً، فقال عمر: صدقت، إنّ فى الإسلام لمعاذاً [۱۲۴].

وأمّا مضاعفته الجزية على نصارى تغلب فهى معروفة ومشهورة [۱۲۵].

وقال خالد بن الوليد يخاطب جنوده ويرغّبهم بأرض السواد: ألا ترون الى الطعام كرفغ [۱۲۶] التراب؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد فى الله، والدعاء الى الله عزوجل، ولم يكن إلّا المعاش؛ لكان الرأى أن نقارع على هذا الريف، حتى نكون أولى به، ونولى الجوع والإقلال من تولّى، ممن اثّاقل عمّا أنتم عليه [۱۲۷].

وفى فتح «شاهرتا» يعطى بعض عبيد المسلمين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون، وينتهى بهم الأمر الى أن يرفعوا ذلك الى عمر بن الخطّاب، فكتب: «إنّ العبد المسلم من المسلمين أمانه أمانهم، قال: ففاتنا ما كنّا أشرفنا عليه من غنائمهم...» [۱۲۸].

ولكن ما ذكره خالد بن الوليد آنفاً ليس هو كلّ الحقيقة، وذلك لأنّ ما كان يصل الطبقة المستضعفة من الجند لم يكن إلّا أقلّ القليل، ممّا لا يكفى لسدّ خلّتهم ورفع خصاصتهم، بل كان محدوداً جداً، لا يلبث أن ينتهى ويتلاشى، مع أنّهم كانوا هم وقود تلك الحروب.

إذن فالحرب من أجل الغنائم والأموال كانت هى الصفة المميّزة لأكثر تلك الفتوحات.

ب ـ إنّ الحكام كانوا يستفيدون من تلك الفتوحات فى مجال إرضاء طموحات الشباب وإشباع غرورهم، إذ كانوا بصدد تأهيلهم لمناصب عالية وإظهار شخصياتهم، فقد كان معاوية يجبر ولده يزيد على قيادة جيش غازياً لبعض المناطق [۱۲۹].

ج ـ كان الحكام يستفيدون من الفتوحات فى إبعاد المعترضين على سياساتهم، والناقمين على أعمالهم وتصرفاتهم، وكشاهد على ذلك نذكر: أنّه لمّا تفاقت النقمة على عثمان؛ استدعى بعض عماله ومستشاريه، وهم: معاوية وعمرو بن العاص وعبدالله بن عامر [۱۳۰].

واستشارهم فيما ينبغى له عمله لمواجهة نقمة الناس على سياساته ومطالبتهم له بعزل عمّاله [۱۳۱]، واستبدالهم بمن هم خير منهم، فأشار عليه عبدالله بن عامر بقوله: «رأيى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم فى المغازى، حتى يذلّوا لك، فلا يكون همة أحدهم إلّا نفسه، وما هو فيه منه دَبَرة دابته، وقَمَل فروه».

وأضاف فى نصٍّ آخر قوله: «فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير [۱۳۲] الناس فى البعوث، وعزم على تحريم أُعطياتهم، ليطيعوه ويحتاجوا إليه...» [۱۳۳].

د ـ إنّ الجهاد الابتدائى يحتاج الى إذن الإمام العادل [۱۳۴]، وإنّ أئمة الحقّ كانوا لا يرون فى الاشتراك فى هذه الحروب مصلحة، بل

لا يرون تلك الحروب خيراً، فقد روى: أنّ أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) قال لعبدالملك بن عمرو: يا عبدالملك! مالى لا أراك تخرج الى هذه المواضع التى يخرج اليها أهل بلادك؟ قال: قلت: وأين؟ قال: حدة، وعبادان، والمصيصة، وقزوين، فقلت: انتظاراً لأمركم، والاقتداء بكم؟ فقال: إى والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه [۱۳۵].

وثمّة عدّة روايات تدلّ على أنّهم (عليهم السلام) كانوا لا يشجعون شيعتهم، بل ويمنعونهم من الاشتراك فى تلك الحروب، ولا يوافقون حتى على المرابطة فى الثغور أيضاً، ولا يقبلون منهم حتى ببذل المال فى هذا السبيل حتى ولو نذروا ذلك [۱۳۶].

أمّا لو دهم العدو أرض الإسلام فإنّ عليهم أن يقاتلوا دفاعاً عن بيضة الإسلام، لا عن أُولئك الحكّام [۱۳۷].

بل نجد روايةً عن علىّ (عليه السلام) تقول: «لا يخرج المسلم فى الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ فى الفىء أمر الله عزّوجل» [۱۳۸].

و يؤيّد ذلك: أنّ عثمان جمع يوماً أكابر الصحابة ـ وكان بينهم الإمام علىّ (عليه السلام) ـ فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستشارهم فى غزوة أفريقية، فرأوا فى الأكثر أنّ المصلحة فى أن لا تقع بأيدى أصحاب الأغراض والأهواء والمنحرفين [۱۳۹].

فالأئمة (عليهم السلام) وإن كانوا ـ ولا شك ـ يرغبون فى توسعة رقعة الإسلام ونشره ليشمل الدنيا بأسرها ولكنّ الطريقة والأُسلوب الذى كان يتم به الفتح كان خطأً ومضرّاً ولا يحقق الأهداف المطلوبة [۱۴۰].

وعلى كلّ حال فإنّ جميع ما تقدّم ليكفى فى أن يلقى ظلالاً ثقيلةً من الشك والريب فيما ينسب الى الإمامين الهمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) من الاشتراك فى فتح جرجان أو فى فتح أفريقية، مع أنّ عدداً من كتب التاريخ التى عدّدت أسماء كثيرة من الشخصيات المشتركة فى فتح أفريقية لم تذكرهما، علماً بأنّهما من الشخصيات التى كان يهم السياسة الزمنية للخلفاء التأكيد على ذكرها فى مقامات كهذه.

هـ ـ ويؤيّد ذلك أيضاً: أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) منع ولديه فى صفين والجمل من الخوض فى المعركة، وقال ـ وقد رأى الحسن يتسرّع الى الحرب ـ: «أملكوا عنّى هذا الغلام لا يهدّنى، فإنّنى أنفّس بهذين الغلامين ـ يعنى الحسنين (عليهما السلام) ـ على الموت، لئلّا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [۱۴۱].

وقد كان هذا منه (عليه السلام) فى وقت كان له كثير من الأولاد، فكيف يسمح بخروجهما مع أمير أُموى أو غير أُموى، ولم يكن قد ولد له غيرهما من الأولاد بعد، أو كان ولكنّهم قليلون؟!.

إنّ جميع ما تقدم يجعلنا نطمئنّ إلى عدم صحة ما ينسب الى الحسنين (عليهما السلام) من الاشتراك فى الغزوات آنئذ.

## الامام الحسن و حصار عثمان

نقل بعض المؤرّخين: أنّه حينما حاصر الثائرون عثمان؛ بعث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) للدفاع عنه، بل قالوا: إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد جرح وخضّب بالدماء على باب عثمان من جرّاء رمى الناس عثمان بالسهام، ثم تسوّر الثائرون الدار على عثمان وقتلوه، وجاء الإمام على (عليه السلام) كالواله الحزين، فلطم الحسن وضرب صدر الحسين (عليه السلام) وشتم آخرين، منكراً عليهم أن يُقتل عثمان وهم على الباب [۱۴۲].

وقد استبعد مؤرّخون آخرون ذلك؛ إستناداً الى أنّ سيرة عثمان تبعد كلّ البعد عمّا نسب الى علىّ وولديه (عليهم السلام)، كما ويبعد منهم أن يتّخذوا موقفاً يخالف موقف البقية الصالحة من الصحابة، وينفصلوا عنهم. ويضيف هؤلاء المؤرّخون بخصوص دفاع الحسن عن عثمان، ولو فرض صحة ذلك، فإنّه لم يكن إلّا لتبرير موقفه وموقف أبيه من الاشتراك فى دمه، وأن لا يتّهمه المغرضون بشىء [۱۴۳].

ويشكّ السيّد الشريف المرتضى فى إرسال أمير المؤمنين (عليه السلام) ولديه للدفاع عن عثمان، إذ يقول: «فإنّما أنفذهما ـ إن كان

أنفذهما ـ ليمنعا من انتهاك حريمه وتعمّد قتله، ومنع حرمه ونسائه من الطعام والشراب، ولم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع» [۱۴۴].

وأما العلّامة الحسنى (رحمه الله) فيقول: «من المستبعد أن يزجّ بريحانتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى تلك المعركة للدفاع عن الظالمين، وهو الذى وهب نفسه وكلّ حياته للحقّ والعدالة وإنصاف المظلومين» [۱۴۵].

فى حين يرى باحث آخر: «أنّ الخليفة كان مستحقّاً للقتل بسوء فعله، كما أنّ قتلته أو الراضين بقتله هم جمهرة الصحابة الأخيار، ولا يعقل أن يقف الحسنان فى وجه هؤلاء وصدهم» [۱۴۶].

وهنا نقدّم جملة من الملاحظات:

أ ـ إنّ ما ذكره هؤلاء من أنّ الصحابة الأخيار كانوا هم قتلة عثمان أو أنّهم الراضون بقتله فهذا صحيح، ولكن ممّا لا شك فيه هو أنّه كان من بينهم أيضاً من ثأر على عثمان، من أمثال: عائشة والزبير وطلحة وغيرهم، لا لأجل الانتصار للحقّ وإنّما من أجل المكاسب الدنيوية، كما أثبتت ذلك مواقفهم من حكومة الإمام علىّ (عليه السلام) بعد أن بايعوه عقيب مقتل عثمان.

ب ـ وأمّا ما ذكر من أنّ علياً قد ضرب الحسن (عليه السلام) ودفع صدر الحسين فهذا ما لا اتّفاقَ عليه؛ لأنّ علياً (عليه السلام) قد كرّر وأكّد أنّ قتل عثمان لم يسره ولم يسؤه [۱۴۷]، كما أنّه لم يكن ليتّهم الحسنين (عليهما السلام) بالتوانى فى تنفيذ الأوامر التى يصدرها إليهما، وهما من الذين نصّ الله سبحانه وتعالى على تطهيرهم، وأكّد النبىّ (صلى الله عليه وآله) على عظيم فضلهم وباسق مجدهم وعلى محبته العظيمة لهم.

ج ـ وأمّا بالنسبة للدفاع عن عثمان فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وإن كان لا يرى خلافة عثمان شرعية من الأساس، وكان على اطّلاع تامّ بالنسبة لجميع المخالفات والانتهاكات التى كانت تصدر عن الهيئة الحاكمة باستمرار إلّا أنّه (عليه السلام) لم يكن يرى أنّ علاج الأمر بهذا الأُسلوب الانفعالى هو الطريقة المثلى والفضلى، وقد نقل عنه (عليه السلام) قوله عن عثمان: «إنّه استأثر فأساء الإثرة، وجزعوا فأساءوا الجزع» [۱۴۸].

وما ذلك إلّا لأنّ هذا الأُسلوب بالذات وقتل عثمان فى تلك الظروف وعلى النحو الذى كان لم يكن يخدم قضية الإسلام، بل كان من شأنه أن يلحق بها ضرراً فادحاً وجسيماً، إذ أنّه سوف يعطى الفرصة لأُولئك المتربّصين من أصحاب المطامع والأهواء لاستغلال جهل الناس ورفع شعار الأخذ بثارات عثمان.

وإذا كان علىّ (عليه السلام) لا يرغب فى قتل عثمان بالصورة التى حدثت؛ فإنّه لم يكن يريد أن يكون الدفاع والذبّ عن عثمان موجباً لفهم خاطىء لحقيقة رأيه فى عثمان وفى مخالفته، فكان يذكر تلك المخالفات تصريحاً تارةً وتلويحاً أُخرى، كما أنّه كان يجيب سائليه عن أمر عثمان بأجوبة صريحة أحياناً ومبهمة أُخرى، أو على الأقل بنحو لا تسمح بالتشبّث بها واستغلالها من قبل المغرضين والمستغلين [۱۴۹].

ولم يكن الإمام علىّ (عليه السلام) ليسكت عن تلك المخالفات الشنيعة التى كانت تصدر عن عثمان وأعوانه، بل كان (عليه السلام) وباستمرار يجهر بالحقيقة مرّةً بعد أُخرى، وقد حاول إسداء النصيحة لعثمان فى العديد من المناسبات حتى ضاق عثمان به ذرعاً، فأمره أن يخرج الى أرض ينبع [۱۵۰].

كما أنّ عثمان واجه الإمام الحسن (عليه السلام) وبصريح القول بأنّه لا يرغب بنصائح أبيه، وذلك لأنه «كان علىّ كلما اشتكى الناس إليه أمر عثمان؛ أرسل ابنه الحسن (عليه السلام) إليه، فلمّا أكثر عليه قال: إنّ أباك يرى أنّ أحداً لا يعلم ما يعلم؟ ونحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنّا! فلم يبعث على (عليه السلام) ابنه فى شىء بعد ذلك...» [۱۵۱].

وهكذا يتّضح أنّ نصرة الحسنين (عليهما السلام) لعثمان بأمر من أبيهما الإمام على (عليه السلام) وقد كانت منسجمة كلّ الانسجام مع خطّهم (عليهم السلام) الذى هو خطّ الإسلام الصافى والصحيح، وهو يدخل فى عداد تضحياتهما الجسام ـ وما أكثرها ـ فى سبيل هذا الدين! كما أنّه دليل واضح على بُعد النظر والدقّة والعمق.

## هل جرح الإمام الحسن أثناء دفاعه عن عثمان؟

ويبقى أن نشير الى أنّنا نشكّ فى صحة ما ذكرته الرواية من أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد جرح أثناء الدفاع عن عثمان؛ وذلك لإن الإمام عليّاً (عليه السلام) وإن كان يمكن أن يكون قد أرسل ابنيه ـ أو الإمام الحسن وحده ـ للدفاع عن عثمان، وقد جاءا إليه وعرضا له المهمّة التى أوكلها إليهماأبوهما إلاّ أنّه يبدو أنّ عثمان قد ردّهما ولم يقبل منهما ذلك، وثمّة نصوص عديدة [۱۵۲] توضّح ذلك نشير الى أحدها:

«ثم دعا علىّ بابنه الحسن، فقال: انطلق يا بنىّ الى عثمان فقل له: يقول لك أبى: أفتحبّ أن أنصرك؟ فأقبل الحسن الى عثمان برسالة أبيه، فقال عثمان: لا، ما اُريد ذلك، لأنّى قد رأيت رسول الله ـ الى أن قال ـ: فسكت الحسن، وانصرف الى أبيه، فأخبره بذلك» [۱۵۳] .

نعم، ربّما يكون الإمام الحسن (عليه السلام) قد ساعد على نجاة البعض من دون اشتراك فى القتال، بل بما يحظى من احترام خاص فى النفوس، ففى محاورة جرت بينه وبين مروان بن الحكم، قال (عليه السلام) لمروان: «أفلا أرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبح الجمل، وأنت تثغو ثغاء النعجة، وتنادى بالويل والثبور، كالأمة اللكعاء؟ ألا دفعت عنه بيد أوناضلت عنه بسهم؟ لقد ارتعدت فرائصك، وغشى بصرك، فاستغثت بى كما يستغيث العبد بربّه، فأنجيتك من القتل ووضعتك منه، ثم تحثّ معاوية على قتلى» [۱۵۴] .

## هل كان الإمام الحسن عثمانيا

هنالك جملة من الافتراءات ألحقها بعض كتّاب التاريخ بالحسن (عليه السلام)، ومن هذه الافتراءات: دعوى أنّ الامام الحسن (عليه السلام) «كان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة»، قالوا: «وربما غلا فى عثمانيّته، حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحبّ، فقد روى الرواة: أنّ عليّاً مرّ بابنه الحسن وهو يتوضّأ، فقال له: أسبغ الوضوء يا حسن! فأجابه الحسن بهذه الكلمة المرة: «لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء» فلم يزد على أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان»، وفى نصٍّ آخر للبلاذرى: «لقد قتلت رجلاً كان يسبغ الوضوء» [۱۵۵] .

وفى قصّة اُخرى يزعمون: «أ نّ الحسن بن على قال لعلىّ: يا أمير المؤمنين! إنّى لا أستطيع أن اُكلّمك، وبكى، فقال علىّ: تكلّم، ولا تحنّ حنين المرأة، فقال: إنّ الناس حصروا عثمان، فأمرتك أن تعتزلهم وتلحق بمكة، حتى تؤوب الى العرب عوازب أحلامها، فأبيت، ثم قتله الناس، فأمرتك أن تعتزل الناس ـ الى أن قال ـ: ثم أمرتك اليوم أن لا تقدم العراق فإنّى أخاف عليك أن تقتل بمضيعة...» [۱۵۶] .

وثمة روايات اُخرى تفيد هذا المعنى [۱۵۷] ، ونرى بأنّ المتتبّع لهذه الروايات بعين الفحص والتمحيص يجد الارباك بادياً عليها فضلاً عن عدم جمعها لشرائط القبول والحجية فلا يمكن الاعتماد على مثل هذه النصوص، على أن بعض الباحثين قال: المشهور أن هذه المحاورة قد جرت بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن البصرى حينما مرّ عليه بالبصرة وهو يتوضّأ [۱۵۸] .

ونحتمل قويّاً أنّ لأيدى الوضّاعين دوراً كبيراً فى خلق مثل هذه الروايات، ومن الملاحظات عليها:

أوّلاً: كيف يمكن أن نجمع بين ما قيل هنا وبين قولهم الآنف الذكر: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أرسل الإمام الحسن وأخاه (عليهما السلام) للدفاع عن عثمان، وإنّه لمّا علم بمصيره جاء كالواله الحزين، ولطم الحسن المخضّب بالدماء، ودفع فى صدر الحسين (عليه السلام) بتخيّل أنّهما قد قصّرا فى أداء مهمتهما...الخ؟!.

ثانياً: إن المتتبع لجميع مواقف الإمام الحسن (عليه السلام) يجده باستمرار وبمزيد من الإصرار يشدّ أزر أبيه، ويدافع عن حقّه، ويهتمّ

فى دفع حجج خصومه، وقد خاض غمرات الحروب فى الجمل وفى صفّين، معرّضاً نفسه للأخطار الجسام فى سبيل الدفاع عنه (عليه السلام) وعن قضيّته، حتى لقد قال الإمام (عليه السلام): «أملكوا عنى هذا الغلام لا يهدّنى».

وبالنسبة لدفاعه عن قضية أهل البيت (عليهم السلام) وحقّهم فى الخلافة فإنّنا لا نستطيع استقصاء جميع مواقفه وأقواله فى هذا المجال، ونكتفى بذكر نماذج منها لأجل التدليل على دفاعه عن مواقف أبيه (عليه السلام):

أ ـ قد جاء عنه (عليه السلام) أنّه قال: «إنّ أبا بكر وعمر عمدا الى هذا الأمر، وهو لنا كلّه، فأخذاه دوننا، وجعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدّة، أما والله لتهمّنهما أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا» [۱۵۹].

ب ـ ومن خطبة له (عليه السلام): «ولولا محمد (صلى الله عليه وآله) وأوصياؤه كنتم حيارى لا تعرفون فرضاً من الفرائض...الخ» قال هذا بعد أن عدّد الفرائض، وكان منها الولاية لأهل البيت (عليه السلام) [۱۶۰].

ج ـ وقال (عليه السلام): فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عزّوجلّ ورسوله مقرونة، قال الله عزّوجل: (يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردّوه الى الله والرسول...) [۱۶۱].

ثالثاً: إنّ تطهير الله سبحانه وتعالى للإمام الحسن (عليه السلام) كما نصت على ذلك آية التطهير ونصوص النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى حقّه، ثم ما عرف عنه (عليه السلام) من أخلاق فاضلة وسجايا كريمة ليكذّب كلّ ما ينسب إليه (عليه السلام) من أُمور وكلمات تتنافى مع أبسط قواعد الأدب الإسلامى الرفيع والخلق الإنسانى الفاضل، ولا سيّما مع أبيه الذى يعرف هو قبل غيره قول النبىّ (صلى الله عليه وآله) فيه:

«إنّه مع الحقّ، والحقّ معه، يدور معه حيث دار» [۱۶۲]، فكيف إذا كان ذلك الذى ينسب إليه ممّا يأباه حتى الرعاع من الناس، فضلاً عن خامس أصحاب الكساء، وأشبه الناس برسول الله خَلقاً وخُلقاً وهدياً وسلوكاً ومنطقاً؟!.

رابعاً: هل يعقل أن يكون الإمام الحسن (عليه السلام) ـ الذى عاش فى كنف جدّه النبىّ المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأبيه علىّ المرتضى (عليه السلام)، والذى كان بحراً من العلم لا ينزف، وقد أجاب منذ طفولته على الأسئلة التى أحالها إليه جدّه، ثم أبوه بعد ذلك ـ أنّه لم يكن يحسن إسباغ الوضوء؟.

خامساً: إذا كان عثمانياً بالمعنى الدقيق للكلمة فمعنى ذلك قبوله لجميع تصرّفات عثمان وأعماله التى خالفت كتاب الله وسنّة نبيّه، وذلك ممّا لا يحتمل فى حقّه (عليه السلام) وهو الذى يذكر فى تعريفه للسياسة: «أنّ من جملة مراعاة حقوق الأحياء أن تخلص لولى الأمر ما أخلص لأُمّته، وأن ترفع عقيرتك فى وجهه إذا حاد عن الطريق السوىّ»، ومن الواضح أنّ عثمان وعمّاله قد كانوا من أجلى مصاديق كلمته هذه، كما قرّره أُولئك الذين زعموا أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان عثمانياً.

سادساً: وأمّا بخصوص الرواية التى تدّعى بأنّه أشار على أبيه بترك المدينة فلم يكن ذلك بالرأى السديد إطلاقاً، فإنّ طلحة والزبير وغيرهما من الطامعين والمستأثرين كانوا ينتظرون فرصة كهذه، ثم إنّ الناس فى تلك الظروف الحرجة لم يسمحوا لعلىّ (عليه السلام) بترك المدينة، وهم الذين بقوا يلاحقونه أيّاماً من مكان لمكان حتى بايعوه.

## الامام الحسن فى عهد الدولة العلوية

### البيعة لاميرالمؤمنين بالخلافة

لقد كان عامة المسلمين يتطلّعون بلهفة الى من سيخلف عثمان عندما تتمخّض الأحداث عن قتله أو اعتزاله، ولقد كان الطامعون فيها أكثر من واحد، ومن بين أُولئك من عمّق مجرى الأحداث ووسّع دائرتها وأمدّ النار المتأجّجة بالوقود كطلحة والزبير وعائشة، وكان من أكثر الناس لهفة عليها طلحة، وبلغ به الحال أن سبق نتائج تلك الأحداث، وأخذ لنفسه المكان الذى قدّر أنّ الأيّام ستضعه فيه،

فاستولى على بيت المال، وأقام الصلاة بالناس وعثمان محصور فى داره لا يزال على قيد الحياة.

وبلا شك فإنّ الأربعة الباقين من الستّة أصحاب الشورى كانوا أوفر من سائر الناس حظّاً، وكان نصيب علىّ (عليه السلام) أوفر من نصيب الجميع، واليه تتّجه الجماهير فى المدينة وخارجها، وحتى الثوار لم يعدلوا به أحداً، لأنّهم يعلمون بأنّه سيحقّق لهم الأهداف التى ثاروا من أجلها، ويعلمون فى الوقت ذاته أنّ طلحة والزبير لم يغضبا للحقّ ولله، وأنّهما لا يختلفان عن عثمان وبطانته، وتأكّد ذلك لهم من موقفهما من عثمان خلال الأيام التى سبقت قتله.

وحدّث البلاذرى فى أنساب الأشراف: أنّ علياً (عليه السلام) لزم منزله بعد أن يئس من إصلاح الأمر بين الفريقين، فلما قتل عثمان وفرغ الناس من أمره وأدركوا أنّه لا بدّ لهم من إمام يجتمعون عليه؛ جاء الناس كلّهم إلى علىّ يهرعون، وهم يقولون: إنّ أميرنا علىّ بن أبى طالب، حتى دخلوا عليه الدار، وقالوا: امدُد يدك حتى نبايعك، فقال: ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضى به البدريون فهو الخليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى علياً فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك يا أبا الحسن [۱۶۳].

وقال الطبرى فى الجزء الثالث من تأريخه: إنّ أصحاب رسول الله جاؤوه بعد مقتل عثمان، فقالوا له: لا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، فقال: لا تفعلوا فإنّى أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، وما زالوا به حتى قبل بيعتهم، ولكنه أبى إلّا أن تكون فى المسجد ويرضى جميع الناس [۱۶۴].

وفى رواية ثالثة: أنّه أصرّ على رفض البيعة بالرغم من الإلحاح الشديد عليه، فتوسّلوا بالأشتر لإقناعه وكان على رأس وفد الكوفة، فقال له: أبسط يدك نبايعك، فرفضها، فألحّ عليه، وخوّفه الفتنة إن هو بقى على موقفه، وما زال به حتى أقنعه، فبايعه الوجوه، ثم انثال عليه الناس من كلّ جانب، وقام الزبير فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس! إنّ الله قد رضى لكم حكم الشورى، فأذهب به الهوى، وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه [۱۶۵].

وجاء فى الإمامة والسياسة عن أبى ثور أنّه قال: لمّا كانت البيعة بعد مصرع عثمان؛ خرجت فى أثر علىّ (عليه السلام) والناس حوله يبايعونه، فدخل حائطاً من حيطان بنى مازن، فألجأوه إلى نخلة وحالوا بينى وبينه، فنظرت اليهم وقد أخذتْ أيدى الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده، ثم أقبلوا به الى المسجد الشريف، فكان أول من صعد المنبر فى المسجد طلحة وبايعه بيده، وكانت أصابعه شلّاء، فتطيّر منها بعض من حضر وقال: لا يتمّ والله هذا الأمر! ثم بايعه الزبير وأصحاب النبىّ وجميع من فى المدينة من المسلمين [۱۶۶].

وقد وصف هو ـ سلام الله عليه ـ موقف المسلمين منه وإصرارهم على بيعته فى خطبته المعروفة بالشقشقية، حيث قال: «فما راعنى إلّا والناس كعرف الضبع ينثالون علىّ من كلّ جانب مجتمعين حولى كربيضة الغنم، حتى لقد وطئ الحسنان وشُقَّ عِطفاى، فلمّا قمت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اُخرى وقسط آخرون، كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

ومضى فى خطبته هذه يصف موقفه من الخلافة فقال: أما والذى فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز».

لقد تمّت البيعة لعلىٍّ (عليه السلام) بعد ما رأى أن لا مفر له منها فى ذلك الجوّ المشحون بالفتن والاختلافات؛ وذلك بعد وفاة عثمان بثلاثة أيّام أو خمسة، وبايعه جميع المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن وفدوا على المدينة من الأمصار الثلاثة، ولم يتخلّف عن بيعته من القرشيّين سوى أفراد قلائل، كان من بينهم مروان بن الحكم وسعد بن أبى وقّاص وعبدالله بن عمر [۱۶۷].

وليس بغريب على مروان بن الحكم والاُمويين إذا هم تخلّفوا عن بيعة علىّ أو كرهوها، كما يبدو للمتتبّع فى تاريخ البيت الاُموى مع الهاشميّين وغيرهم من أصحاب الرسالات.

وأمّا سعد بن أبى وقّاص فلقد كان يتمنّاها لنفسه، ولو وسعه العمل من أجلها لم يقصر، ولعله قد بدأ يفكّر فيها، فقد جعله ابن الخطاب

أحد من تدور الخلافة فى فلكهم وأعطاه أكثر مما يستحق، ولا أظنّه قبل ذلك كان يفكّر فيها، أو يتصوّر أنّ المسلمين سيجعلونه الى جانب عليٍّ فى يوم من الأيام، ولكنّه بعد أن رأى انصراف الناس حتى عن طلحة والزبير وهما أبرز منه، ولهما مكانتهما بين صحابة الرسول فى المصرين الكوفة والبصرة لم يتعرّض لها، واكتفى أن يعتزل ولا يبايع عليّاً (عليه السلام) تضامناً مع الأُمويين الذين تربطه بهم القرابة من قبل أُمّه حمئة، وكان هواه معهم، ولم يقف منهم موقفاً معادياً حتى بعد أن عزله عثمان عن الكوفة وأعطاها لأخيه الوليد [۱۶۸]، وأميرالمؤمنين يعلم منه ذلك كما يعلم بموقف الأُمويين وبما سيؤول إليه أمر طلحة والزبير وأكثر القرشيّين، وقد وصف موقفهم منه بعد البيعة بقوله:

«اللهم إنّى أستعديك على قريش، فإنّهم قطعوا رحمى وأكفأوا إنائى، فنظرت فإذا ليس لى رافد ولا ذابّ ولا ساعد إلا أهل بيتى».

وقال مرة أُخرى: «ما لى ولقريش؟ والله قاتلتهم كافرين ولأُقاتلنّهم مفتونين، وإنّى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم» [۱۶۹].

ومهما كان الحال فلمّا دعى سعد بن أبى وقّاص الى البيعة؛ تمنّع منها تضامناً مع الأُمويين، فتركه أميرالمؤمنين ولم يسمح للثائرين أن يستعملوا معه العنف، ولمّا دعى اليها عبدالله بن عمر بن الخطاب وامتنع منها؛ طلب منه كفيلاً بأن لا يشترك مع أحد فى عمل ضدّه، ولمّا امتنع عن تقديم الكفيل تركه وقال للناس: خلّوه فأنا كفيله، ثم التفت اليه وقال: «اذهب فإنّى ما علمتك إلا سيّئ الخلق صغيراً وكبيراً».

ولمّا تمّت البيعة؛ انصرف أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ اليوم الأول يجنّد كلّ إمكانياته لإصلاح ما أفسدته بطانة عثمان فى جميع شؤون الدولة، تلك البطانة التى تركت جميع الأجهزة تنخر بالفساد والانحلال، وكان يرى أنّ الواجب يدعوه لمعالجة الأهمّ فالأهمّ من المشاكل المستعجلة التى يتضجّر منها الناس، وتأتى فى طليعتها مشكلة الولاة التى أثارت تلك الضجّة على الخليفة الراحل وأودت بحياته، حتى إذا فرغ منها اتّجه الى غيرها من المشاكل التى يراها أكثر إلحاحاً وأعمّ نفعاً، ولم يكن ذلك ليمنعه من أن يبسط للناس السياسة التى سينتهجها فى عهده الجديد.

وبعد أيام قلائل من خلافته وقف على المنبر ليعلن على الملأ المحتشد من حوله إلغاء بعض الأنظمة التى اتّبعها أسلافه خلال عشرين عاماً أو تزيد، وكان على ثقة بأنّ عمر بن الخطاب حينما قسّم الفيء حسب أقدار الناس وقدمهم فى الإسلام قد استجاب لمصالحه الذاتيّة أكثر مما استجاب لمبادئ الإسلام، وأنّ عثمان بن عفان حينما ترك أهله يعبثون به ويفسدون فى الأرض قد استجاب للعنصرية الجاهلية وللروح الأُموية الحاقدة على الإسلام الذى لا يعطى أحداً على حساب أحد من الناس [۱۷۰].

## استنجاد الامام على بالكوفة

بينما كان الإمام علىّ (عليه السلام) يتهيّأ لمواجهة معاوية لمّا أعلن التمرّد على حكومته ورفض بيعته، وبينما هو جادّ فى تدبير الأمر إذ فاجأه الخبر عن هياج بعض أهل مكة للطلب بدم عثمان بتحريض من طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم من الأُمويين، فأشفق من انشقاق الكلمة واختلاف شمل المسلمين، ورأى أنّ خطرهم أقوى من خطر معاوية، وشرّهم أقوى من شرّه، وإذا لم يبادر لإخماد هذه الفتنة فإنّها يوشك أن تتّسع ويكثر التمرّد والاختلاف، فتجهّز للتحرك نحوهم، وشمّرت لنصرته البقية الصالحة من المهاجرين والأنصار، وخرجوا مسرعين ليلحقوا بهم قبل أن يدخلوا مصراً من الأمصار فيفسدوه، فلمّا بلغوا الربذة علموا بسبقهم الى البصرة وبالحوادث التى جرت فيها، فأقام الإمام (عليه السلام) بالربذة أيّاماً يحكّم أمره، وأرسل الى جماهير أهل الكوفة يستنجد بهم ويدعوهم الى نصرته والقيام معه لإخماد نار الفتنة، وأوفد لِلقياهم محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر، وزوّدهما برسالة جاء فيها: «أنّى اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وأيّدونا وانهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريد لتعود الأُمّة إخواناً، ومن أحبّ ذلك وآثره فقد أحبّ الحق، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ وأغمضه» [۱۷۱].

وعرض الرسولان رسالة الإمام علىّ (عليه السلام) على أبى موسى الأشعرىّ والى الكوفة، إلّا أنّهما لم يجدا منه أيّة استجابة، وإنّما

وجداه يثبّط العزائم ويمنع الناس من الاستجابة لنداء الخليفة، وبرّر عناده قائلاً: «والله إنّ بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بدّ من القتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان...» [۱۷۲].

فأوفد الإمام علىّ (عليه السلام) لِلقيا الأشعرى رسولاً ثالثاً هو هاشم المرقال، وزوّده برسالة جاء فيها: «أنّى وجّهت هاشماً لينهض بمن قبلك من المسلمين إلىّ، فأشخص الناس، فإنّى لم اُولّك إلّا لتكون من أعوانى على الحقّ».

إلّا أنّ الأشعرى أصرّ على تمرّده، فأرسل هاشم الى الإمام رسالة يخبره فيها بفشله فى مهمّته وإخفاقه فى سفارته.

## ايفاد الإمام الحسن

بعد أن عرف الإمام علىّ (عليه السلام) إصرار أبى موسى وعدم إفلاح الرسل معه؛ بعث إليه ولده الحسن ومعه عمار بن ياسر، وأرسل معه رسالة فيها عزل أبى موسى عن منصبه وتعيين قرضة بن كعب مكانه، وهذا نصّ رسالته: «أمّا بعد، فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذى لم يجعل الله لك نصيباً منه، يمنعك عن ردّ أمرى وقد بعثت الحسن بن علىّ وعمار بن ياسر يستفزّان الناس، وبعثت قرضة بن كعب والياً على المصر، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإنّى قد أمرته أن ينابذك» [۱۷۳].

ووصل الإمام الحسن (عليه السلام) الى الكوفة فالتأم الناس حوله زمراً، وهم يعربون له عن انقيادهم وطاعتهم، ويظهرون له الولاء والإخلاص، وأعلن الإمام (عليه السلام) عزل الوالى المتمرّد عن منصبه، وتعيين قرضة محلّه، ولكنّ أبا موسى بقى مصرّاً على موقفه، فأقبل على عمار بن ياسر يحدّثه فى أمر عثمان علّه أن يجد فى حديثه فرجة، فيتّهمه بدم عثمان ليتّخذ من ذلك وسيلة الى خذلان الناس عن الإمام فقال له:

«يا أبا اليقظان! أعدوت فيمن عدا على أميرالمؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار؟» فأجابه عمّار: «لم أفعل ولم تسؤنى».

وعرف الإمام الحسن (عليه السلام) غايته، فقطع حبل الجدال، وقال له: «يا أبا موسى! لِمَ تثبّط عنّا الناس؟».

وأقبل الإمام يحدّثه برفق ولين لينزع روح الشرّ والعناد عن نفسه قائلاً: «يا أبا موسى! والله ما أردنا إلّا الإصلاح، وليس مثل أمير المؤمنين يخاف على شىء».

فقال أبو موسى: صدقت بأبى أنت واُمى، ولكنّ المستشار مؤتمن.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «نعم».

فقال أبو موسى: سمعت رسول الله يقول: إنّها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى، والماشى خير من الراكب، وقد جعلنا الله عزّوجلّ إخواناً، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا، فقال: (يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارةً عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً) [۱۷۴]، وقال عزّوجل: (ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم) [۱۷۵].

فردّ عليه عمّار قائلاً: «أنت سمعت هذا من رسول الله؟».

قال: أبو موسى: «نعم، وهذه يدى بما قلت».

فالتفت عمّار الى الناس قائلاً: «إنّما عنى رسول الله بذلك أبا موسى، فهو قاعد خير من قائم» [۱۷۶].

وخطب الإمام الحسن (عليه السلام) فى الناس قائلاً: «أيّها الناس! قد كان فى مسير أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ورؤوس العرب، وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم، وتعلمون أنّ وهن النساء وضعف رأيهنّ الى التلاشى، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوّامين على النساء، وأيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية، فانصروا الله ينصركم» [۱۷۷].

وبقى أبو موسى مصرّاً على موقفه يثبّط العزائم، ويدعو الناس الى القعود وعدم نصرة الإمام، فعنّفه الإمام الحسن (عليه السلام) قائلاً:

«اعتزل عملنا أيّها الرجل، وتنحّ عن منبرنا لا أُمّ لك». وقام الإمام (عليه السلام) خطيباً بالناس فقال لهم:

«أيّها الناس! أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا الى إخوانكم، فإنه سيوجد الى هذا الأمر من ينفر إليه، والله لئن يليه أُولو النهى أمثل فى العاجل والآجل وخير فى العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وأنّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً، وأنّى أذكر الله رجلاً رعى حقّ الله إلّا نفر، فإن كنت مظلوماً أعاننى، وإن كنت ظالماً أخذ، والله إنّ طلحة والزبير لأول من بايعنى، وأوّل من غدرا، فهل استأثرت بمال أو بدّلت حكماً؟ فانفروا وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر» [۱۷۸].

فأجابه الناس بالسمع والطاعة، ولكن مالك الأشتر رأى أنّ الأمر لا يتمّ إلّا بإخراج أبى موسى مهان الجانب محطّم الكيان، فأقبل مع جماعة من قومه فأحاطوا بالقصر ثم أخرجوا الأشعرى منه، وبعد أن استتبّ الأمر للإمام الحسن (عليه السلام)! أقبل يتحدّث الى الناس بالخروج للجهاد قائلاً: «أيّها الناس، إنّى غاد، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر (أى على الدوابّ) ومن شاء فليخرج فى الماء» [۱۷۹].

واستجابت الجماهير لدعوة الإمام، فلمّا رأى ذلك قيس بن سعد غمرته الأفراح، وأنشأ يقول:

وقالوا علىّ خير حاف وناعل

رضينا به من ناقضى العهد من بدل [۱۸۰].

وعجّت الكوفة بالنفير ونزحت منها آلاف كثيرة، وقد بدا عليهم الرضا والقبول، وساروا وهم تحت قيادة الإمام الحسن (عليه السلام)، فانتهوا الى ذى قار [۱۸۱] وقد التقوا بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث كان مقيماً هناك، فسرّ بنجاح ولده، وشكر له جهوده ومساعيه.

## التقاء الفريقين فى البصرة و خطاب الامام الحسن

وتحرّكت كتائب الإمام من ذى قار حتى انتهت الى الزاوية [۱۸۲]. وبعث (عليه السلام) الى عائشة يدعوها الى حقن الدماء وجمع كلمة المسلمين، كما بعث (عليه السلام) برسالة الى طلحة والزبير يدعوهما الى الوئام ونبذ الشقاق [۱۸۳] إلّا أنّهم جميعاً لم يستجيبوا لنداء الحقّ، وأصرّوا على مقاومة الإمام ومناجزته.

وكان عبدالله بن الزبير من أشدّ المحرّضين على الفتنة وإراقة الدماء، وقد أفسد جميع الوسائل التى صنعها أمير المؤمنين (عليه السلام) لتحقيق السلم، وقد خطب فى جموع البصريين ودعاهم الى الحرب، وهذا نصّ خطابه: «أيّها الناس! إنّ على بن أبى طالب قتل الخليفة بالحقّ عثمان، ثمّ جهّز الجيوش إليكم ليستولى عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً تطلبون بثأر خليفتكم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم وأحسابكم وأنسابكم، أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم؟ إغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، ألا وإنّ عليّاً لا يرى معه فى هذا الأمر أحداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكنّ دينكم ودنياكم» [۱۸۴].

وبلغ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خطاب ابن الزبير، فأوعز الى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالردّ عليه، فقام خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «قد بلغتنا مقالة ابن الزبير فى أبى وقوله فيه: إنّه قتل عثمان، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين، علمتم بقول الزبير فى عثمان، وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنّى عليه، وأنّ طلحة يومذاك ركز رايته على بيت ماله وهو حىّ، فأنّى لهم أن يرموا أبى بقتله وينطقوا بذمّه؟! ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأمّا قوله: إنّ علياً ابتزّ الناس أمرهم، فإنّ أعظم حجّة لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت على ما ادّعاه ببرهان وأنّى له ذلك؟ وأمّا تعجّبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حقٍّ تورّدوا على أهل باطل!

أمّا أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكنّنا نحارب راكبة الجمل وأتباعها».

## الامام على فى الكوفة بعد حرب الجمل

بعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها توقّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) شهراً فى البصرة، ثم غادرها متوجّهاً الى الكوفة، مخلّفاً عبدالله بن عباس عليها، وقد مكث أمير المؤمنين (عليه السلام) عدّة أشهر فى الكوفة قبل أن يتحرك نحو صفّين لقتال القاسطين (أى معاوية وأنصاره)، وقد قام خلال هذه الفترة بتعيين وظائف ولاته وتنظيم الأُمور، كما وتبادل الرسائل مع معاوية وغيره من المتمرّدين على خلافته (عليه السلام).

## خطاب الإمام الحسن

نقل العلاّمة المجلسى ـ رضوان الله تعالى عليه، عن كتاب «العدد» ـ روايةً أشارت الى أنّ بعض أهل الكوفة اتّهموا الإمام الحسن (عليه السلام) بضعف الحجّة والعجز عن الخطابة، ولعلّ هذه الرواية متعلّقة بهذه الفترة [۱۸۵].

وعندما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) بتلك الاتهامات دعا ولده الإمام الحسن (عليه السلام) ليلقى فى أهل الكوفة خطاباً، يفنّد فيه تلك المزاعم، وقد استجاب (عليه السلام) لدعوة أبيه (عليه السلام)، وألقى فى حشود من الكوفيين خطاباً بليغاً، جاء فيه: «أيّها الناس! اعقلوا عن ربّكم، إنّ الله عزّوجلّ اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرّيّةً بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذرّيّة من آدم والأُسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل من محمد (صلى الله عليه وآله) نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوّة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقية ولا غربية، التى بورك زيتها، النبىّ أصلها، وعلىّ فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلّف عنها فإلى النار هوى...».

وبعد أن انتهى الحسن (عليه السلام) من خطبته صعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر وقال: «يا بن رسول الله! أثبَتَّ على القوم حجّتَك، وأوجبْتَ عليهم طاعتك، فويلٌ لمن خالفك» [۱۸۶].

## تهيؤ الإمام على لجهاد معاوية

لمّا أخفقت جميع الوسائل التى سلكها الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) من أجل السلم بعد إصرار معاوية على محاربة السلطة الشرعية والإطاحة بالخلافة الإسلامية وإعادة المثل الجاهلية وزحفه بجيشه الى صفين واحتلال الفرات، تهيّأ (عليه السلام) للحرب وقد استدعى المهاجرين والأنصار الذين خفّوا لنجدته، فقال لهم: «إنّكم ميامين الرأى، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير الى عدوّنا فأشيروا علينا برأيكم».

فانطلق عدد من كبار الشخصيات الإسلامية من أمثال: عمّار بن ياسر وسهل بن حنيف ومالك الأشتر وقيس بن سعد وعدى بن حاتم وهاشم بن عتبة، ليعربوا عن دعمهم لقرار الإمام (عليه السلام) فى السير الى العدوّ ومواجهته [۱۸۷].

وكان قد خطب الإمام الحسن (عليه السلام) خطاباً هامّاً وقتذاك قال فيه: «الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، وأُثنى عليه بما هو أهله، إنّ ممّا عظّم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنّما غضبنا لله ولكم، فإنّه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه قولاً يصعد الى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربّنا، قولاً ـ يزيد ولا ـ يبيد، فإنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمر واحد إلّا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا فى قتال عدوّكم معاوية وجنوده، فإنّه قد حضر، ولا تخاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلب، وإنّ الإقدام على الأسنّة نجدة وعصمة لأنّه لم يمتنع [۱۸۸] قوم قطّ إلّا رفع الله عنهم العلّة، وكفاهم جوائح [۱۸۹] الذلّة، وهداهم معالم

الملّة.

ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جرع [۱۹۰] .

لقد حفل خطابه البليغ بالدعوة إلى الوحدة والتعاون لمحاربة الطغاة البغاة، واستجاب الناس لدعوته فاسرعوا لنصرة الحق والدفاع عن الدين الحنيف.

## فى معركة صفين

احتشد الجيشان فى صفّين، وبَذَلَ الإمام على (عليه السلام) العديد من المساعى لتفادى وقوع الحرب مع معاوية، إلّا أنّها لم تفلح، ممّا اضطرّ الإمام عليّاً (عليه السلام) لخوض غمار حرب استمرت عدة أشهر، وراح خلالها ـ ضحيةً لسلطوية معاوية ـ الآلاف من المسلمين والمؤمنين.

وكان للإمام الحسن (عليه السلام) دور بارز فى حرب صفّين، فقد نقل المؤرّخون: أنّ الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) عندما نظّم صفوف جيشه جعل الميمنة بقيادة الإمام الحسن (عليه السلام) وأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل [۱۹۱] ، وفى هذه الأثناء أراد معاوية أن يجسّ نبض الإمام الحسن (عليه السلام) فبعث اليه عبيدالله بن عمر يمنّيه بالخلافة ويخدعه حتى يترك أباه (عليه السلام) فانطلق عبيدالله، فقال له: لى إليك حاجة.

فقال له (عليه السلام): نعم، ما تريد؟

فقال له عبيدالله: «إنّ أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شئوه فهل لك أن تخلفه ونولّيك هذا الأمر؟» [۱۹۲] .

فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) بكلّ حزم: «كلا والله لا يكون ذلك» [۱۹۳] ، ثم أردف قائلاً: «لكأنّى أنظر إليك مقتولاً فى يومك أو غدك، أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق [۱۹۴] وترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً» [۱۹۵] .

ورجع عبيدالله الى معاوية وهو خائب حسير قد أخفق فى مهمته، وأخبره بحديث الإمام (عليه السلام) فقال معاوية: «إنّه ابن أبيه» [۱۹۶] .

وخرج عبيدالله فى ذلك اليوم الى ساحة الحرب يقاتل مع معاوية، فلقى حتفه سريعاً على يد رجل من قبيلة همدان، واجتاز الإمام الحسن (عليه السلام) فى ساحة المعركة، فرأى رجلاً قد توسّد رجلاً قتيلاً وقد ركز رمحه فى عينه وربط فرسه فى رجله، فقال الإمام (عليه السلام) لمن حوله: اُنظروا من هذا؟ فأخبروه أن الرجل من همدان وأنّ القتيل عبيدالله بن عمر [۱۹۷] .

ومن الواضح أنّ هذا الحادث من كرامات الإمام الحسن (عليه السلام) حيث أخبر عن مصير عبيدالله قبل وقوعه، وأنبأه بنهايته الذليلة، وقد تحقّق ذلك بهذه السرعة.

## املكوا عنى هذا الغلام

لم تكن المواجهة فى صفّين على وتيرة واحدة، فكانت تارةً على شكل مناوشات بين الفريقين، وتارة اُخرى كانت بصورة التحام كامل بين الجيشين، وأول مواجهة حيث اتّخذت شكل الالتحام العام رأى الإمام علىّ (عليه السلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) يستعدّ

ليحمل على صفوف أهل الشام، فقال لمن حوله: «إملكوا عنّى هذا الغلام لا يهدّنى [۱۹۸] فإنّنى أنفس [۱۹۹] بهذين الغلامين ـ يعنى الحسن والحسين ـ لئلّا ينقطع بهما نسل رسول الله» [۲۰۰].

## الامام الحسن والتحكيم

بعد أن مضت عدّة أشهر على المواجهة بين جيش الإمام علىّ (عليه السلام) وجيش معاوية، وبعد الخسائر الكبيرة التى لحقت بالجانبين، أوشك جيش الحقّ بقيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) على تحقيق النصر ووضع حدٍّ لهذا النزف الذى أوجده معاوية فى جسم الأُمّة الإسلامية، إلّا أنّ عمرو بن العاص أنقذ جيش معاوية من الهزيمة المؤكدة، عندما دعا هذا الجيش الى رفع المصاحف على الرماح والمطالبة بتحكيم القرآن بين الجانبين.

واضطرّ الإمام علىّ (عليه السلام) لقبول التحكيم بعد أن مارس جمع من المقاتلة ضغوطاً كبيرة عليه، فقد انطلت عليهم خدعة ابن العاص بسبب جهلهم، كما وظّف المنافقون والانتهازيون القضية لتدعيم ضغوط الجهلة على الإمام المظلوم (عليه السلام).

وبعد أن انخدع أبو موسى الأشعرى ـ ممثّل العراقيين ـ بحيلة عمرو بن العاص ـ ممثّل الشاميين ـ فى قضيّة التحكيم؛ التفت الذين فرضوا التحكيم على الإمام (عليه السلام) الى الخطأ الجسيم الذى وقعوا فيه، فتوجّهوا الى الإمام على (عليه السلام) يطلبون منه أن ينقض تعهداته التى أمضاها استجابة لضغوطهم، وأن يستأنف الحرب مع معاوية، وفوق ذلك كلّه اعتبروا أنّ الإمام (عليه السلام) أخطأ بقبوله التحكيم، فرفعوا شعار «لا ـ حكم إلاّ ـ لله»، الأمر الذى بات ينذر باضطراب آخر وفاجعة جديدة فى أوساط جيش الإمام علىّ (عليه السلام).

ومن هنا رأى الإمام (عليه السلام) ضرورة الحيلولة دون وقوع الفاجعة، وذلك بأن يدعو شخصاً يتمتّع بثقة الجميع واحترامهم ليلقى فيهم خطاباً يتضمّن إبطالاً لحكم أبى موسى الأشعرى بالدليل والبرهان، ويبيّن لهم مشروعية القبول بأصل التحكيم، فاختار الإمام (عليه السلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السلام)فقال له: قم يا بنىّ، فَقُل فى هذين الرجلين عبدالله بن قيس (يعنى: أبو موسى الأشعرى) وعمرو بن العاص، فقام الإمام الحسن (عليه السلام) فاعتلى أعواد المنبر، وهو يقول: «أيّها الناس! قد أكثرتم فى هذين الرجلين، وإنّما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى، فحكما بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يسمّ حكماً ولكنّه محكوم عليه، وقد أخطأ عبدالله ابن قيس إذ جعلها لعبدالله بن عمر فأخطأ فى ثلاث خصال: واحدة أنّه خالف أباه إذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى، وأُخرى أنّه لم يستأمره فى نفسه [۲۰۱]، وثالثها أنّه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس.

وأمّا الحكومة فقد حكّم النبىّ (صلى الله عليه وآله) سعد بن معاذ فى بنى قريضة فحكم بما يرضى الله به، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [۲۰۲].

لقد عرض الإمام الحسن (عليه السلام) فى خطابه الرائع أهم النقاط الحسّاسة التى هى محور النزاع ومصدر الفتنة، فأبان (عليه السلام) أنّ المختار للتحكيم إنّما يتبع قوله، ويكون رأيه فيصلاً للخصومة فيما إذا حكم بالحقّ، ولم يخضع للنزعات والأهواء الفاسدة، وأبو موسى لم يكن فى تحكيمه خاضعاً للحقّ، وإنّما اتّبع هواه فرشّح عبدالله بن عمر للخلافة، مع أنّ أباه كان لا يراه أهلاً لها، مضافاً الى أنّ الشرط الأساسى فى الانتخاب اجتماع المهاجرين والأنصار على اختياره ولم يحصل ذلك له، كما أعرب (عليه السلام) فى خطابه عن مشروعية التحكيم بالأمر الذى أنكرته الخوارج، مستدلاً عليه بتحكيم النبىّ (صلى الله عليه وآله) لسعد بن معاذ فى بنى قريضة.

## وصية الامام أميرالمؤمنين إلى ابنه الحسن

ووجّه الإمام لدى عودته من صفّين بمنطقة يقال لها: «حاضرين» وصيةً مهمّة إلى ابنه الحسن (عليه السلام) وقد تضمّنت دروساً بليغة: «من الوالد الفان، المقرّ للزمان [۲۰۳]، المدبر العمر، المستسلم للدنيا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن [۲۰۴] عنها غداً، الى المولود

المؤمّل ما لا يُدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام [۲۰۵] ، ورهينة [۲۰۶] الأيام، ورميّة [۲۰۷] المصائب... أمّا بعد: فإن فيما تبيّنت من إدبار الدنيا عنّى، وجموح الدهر [۲۰۸] علىّ، وإقبال الآخرة إلىّ، ما يَزَعُنى [۲۰۹] عن ذكر مَن سواى، والإهتمام بما ورائى [۲۱۰] ، غير أنى حيث تفرّد بى دون هموم الناس همّ نفسى، فصدفنى [۲۱۱] رأيى، وصرفنى عن هواى، وصرّح لى محض أمرى [۲۱۲] ، فأفضى بى الى جِدّ لا يكون فيه لَعِب، وصِدق لا يشوبه كَذِب. ووجدتُك بعضى، بل وجدتك كلّى، حتى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابنى، وكأنَّ الموت لو أتاك أتانى، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى، فكتبت إليك كتابى مستظهراً به [۲۱۳] إن أنا بقيتُ لك أو فنيتُ.

فإنى أوصيك بتقوى الله ـ أى بُنى ـ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله. وأىُّ سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟

أحى قلبك بالموعظة، وأمِته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرّره بالفناء [۲۱۴] وبصّره فجائع الدنيا وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالى والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب مَن كان قبلك من الأوّلين، وسر فى ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حَلّوا ونزلوا، فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلِحْ مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تُكلّف.

وخُضِ الغمرات [۲۱۵] للحقّ حيث كان، وتفقّه فى الدّين، وعوّد نفسك التصبّر على المكروه، ونِعْمَ الخُلُق التصبر فى الحق، وألجئ نفسك فى أمورك كلّها الى إلهك، فإنّك تلجئها الى كهف [۲۱۶] حريز [۲۱۷] ، ومانع عزيز.

فتفّهم يا بُنىّ وصيّتى، واعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت، وأنّ المفنى هو المعيد، وأنّ المبتلى هو المُعافى، وأنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النعماء والإبتلاء والجزاء فى المعاد، أو ما شاء ممّا لا تعلم... فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك [۲۱۸] .

واعلم يا بُنى أنّ أحداً لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلى الله عليه وآله)فارضَ به رائداً، والى النجاة قائداً، فإنّى لم آلُك [۲۱۹] نصيحة فإنّك لن تبلغ فى النظر لنفسك ـ وإن اجتهدت ـ مبلغ نظرى لك.

واعلم يا بنى أنّه لو كان لربّك شريك لأَتَتْكَ رُسلُه، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا ـ يضادّه فى ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يزل. أوّلٌ قبل الأشياء بلا أوّليّة، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عَظُمَ عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك أن يفعله فى صِغَر خَطَره [۲۲۰] وقلّة مقدرته وكثرة عجزه، وعظيم حاجته الى ربّه، فى طلب طاعته، والخشية من عقوبته، والشفقة من سخطه، فإنّه لم يأمرك إلّا بحسن ولم ينهك إلّا عن قبيح.

... يا بنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظلم كما لا تُحبّ أن تُظلم، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أنّ الإعجاب [۲۲۱] ضد الصواب، وآفة الألباب [۲۲۲] ، فاسعَ فى كدحك [۲۲۳] ولا ـ تكن خازناً لغيرك [۲۲۴] ، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربّك.

... واعلم أنّ الذى بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك فى الدعاء، وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه.

... ثم جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب [۲۲۵] رحمته، فلا ـ يُقنّطك [۲۲۶] إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر النيّة، وربّما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربّما سألت الشىء فلا تؤتاه، وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرِف عنك لما هو خيرٌ لك، فلرُبّ أمر قد

طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، ويُنفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

... يا بُنى! أكثِر من ذكر الموت، وذكر ما تهجُم عليه، وتُفضى بعد الموت إليه حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك [۲۲۷] وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك [۲۲۸] ، وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد [۲۲۹] أهل الدنيا إليها، وتكالبهم [۲۳۰] عليها، فقد نبأك الله عنها، ونَعَتْ [۲۳۱] هى لك عن نفسها، وتكشّفتْ لك عن مساويها، فإنّما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية [۲۳۲] ، يهرّ [۲۳۳] بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها.

... واعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنّك فى سبيل من كان قبلك، فخفّض [۲۳۴] فى الطلب، وأجمل [۲۳۵] فى المكتسب، فإنّه رُبَّ طلب قد جرّ الى حَرَب [۲۳۶] فليس كل طالب بمرزوق، ولا ـ كل مجمل بمحروم، واكرِم نفسك عن كل دنيّة [۲۳۷] وإن ساقتك الى الرغائب [۲۳۸] ، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً [۲۳۹] .

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً، وما خيرُ خير لا يُنال إلّا بشرّ، ويسر [۲۴۰] لا يُنال إلّا بعسر [۲۴۱] ؟.

وإيّاك أن تُوجف [۲۴۲] بك مطايا [۲۴۳] الطمع، فتوردك مناهل [۲۴۴] الهلكة [۲۴۵] ، وإن استطعت ألّا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك مدركٌ قَسْمَكَ، وآخذ سهمك، وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خَلْقِه وإن كان كلّ منه.

... ولا ـ يكن أهلك أشقى الخلق بك، ولا ـ ترغبنّ فيمن زهد عنك، ولا ـ يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا ـ يَكبُرنَّ عليك ظلم من ظلمك، فإنّه يسعى فى مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

واعلم يا بُنىّ! أنّ الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإنّ أنت لم تأته أتاك، ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى! إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك [۲۴۶] وإن كنت جازعاً على ما تفلّت [۲۴۷] من يديك، فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك، استدل على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأُمور أشباه، ولا تكوننّ ممن لاتنفعه العِظَة إلّا إذا بالغت فى إيلامه، فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب، والبهائم لا تتّعظ الّا بالضرب.

... استَودِعِ الله دينك ودُنياك، واسألهُ خير القضاء لكَ فى العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة، والسلام.

## النهروان و مؤامرة قتل أميرالمؤمنين

أدّى نفاق وتمرّد بعض الجهلاء والمتظاهرين بالتديّن الى أن تتمرّد مجموعة كبيرة من جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) فترفض الانصياع لأوامره، بل ذهب هؤلاء المارقون إلى أبعد من ذلك عندما أصدروا حكماً بتكفير الإمام (عليه السلام).

وبعد الجرائم التى ارتكبها المارقون فى العراق؛ اتّخذوا «النهروان» قاعدة لتمرّدهم، فاضطرّ الإمام (عليه السلام) الى التوجه نحوهم، وبعد أن تفاوض معهم وأتمّ الحجة عليهم؛ أعلن الحرب على من أصرّ منهم على انحرافه وعناده وكفره، فقضى عليهم كافة باستثناء أشخاص معدودين، وكان بين الأشخاص المعدودين الذين فرّوا فى واقعة النهروان عبدالرحمن بن ملجم المرادى الذى كان يختزن فى قلبه حقداً أعمى على الإمام المظلوم، فخطّط سرّاً للتآمر على حياة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وفى نهاية المطاف وبعد أن نسّق عمله مع عدد من الخوارج والمنافقين من أهل الكوفة؛ استطاع فى ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك فى عام (۴۰) للهجرة أن يغتال الإمام عليّاً (عليه السلام) وهو فى محراب العبادة وفى بيت الله ـ مسجد الكوفة ـ لينطلق فى الآفاق نداؤه الخالد: «فزت وربِّ الكعبة».

## فى ليلة استشهاد الامام أميرالمؤمنين

لما عزم الإمام علىّ (عليه السلام) على الخروج من بيته ـ قبل أن تشرق أنوار الفجر ـ إلى مناجاة الله وعبادته فى مسجد الكوفة صاحت

فى وجهه وزّ كانت قد أُهدِيَتْ الى الحسن، فتنبّأ (عليه السلام) من صياحهنّ وقوع الحادث العظيم والرزء القاصم، قائلاً: «لا حول ولا قوّة الّا بالله، صوائح تتبعها نوائح».

وأقبل الإمام على فتح الباب فعسر عليه فتحها وكانت من جذوع النخل فاقتلعها فانحلّ إزاره فشدّه وهو يقول:

ولا تجزع من الموت
إذا حلّ بواديكا

واضطرب الإمام الحسن (عليه السلام) من خروج أبيه فى هذا الوقت الباكر فقال له: «ما أخرجك فى هذا الوقت؟».

فأجابه (عليه السلام): «رؤيا رأيتها فى هذه الليلة أهالتنى».

فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): «خيراً رأيت، وخيراً يكون، قصّ ها علىّ». فأجابه الإمام على (عليه السلام): «رأيت جبرئيل قد نزل من السماء على جبل أبى قبيس، فتناول منه حجرين، ومضى بهما الى الكعبة، فضرب أحدهما بالآخر فصارا كالرميم، فما بقى بمكة ولا بالمدينة بيت الّا ودخله من ذلك الرماد شىء».

فسأله (عليه السلام): «ما تأويل هذه الرؤيا؟».

فقال (عليه السلام): «إن صدقت رؤياى، فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة إلّا دخله الهمّ والحزن من أجلى».

فالتاع الحسن وذهل وانبرى قائلاً بصوت خافت حزين النبرات: «متى يكون ذلك؟».

قال الإمام (عليه السلام): «إن الله تعالى يقول: (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت) [۲۴۸] «ولكن عهدهُ إلىّ حبيبى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه يكون فى العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلنى عبدالرحمن بن ملجم».

فقال الإمام الحسن (عليه السلام): «إذا علمت ذلك فاقتله».

فقال الإمام على (عليه السلام): «لا يجوز القصاص قبل الجناية والجناية لم تحصل منه».

وأقسم الإمام على ولده الحسن أن يرجع الى فراشه، فلم يجد الحسن بدّاً من الامتثال [۲۴۹] .

## الامام الحسن بجوار والده الجريح

وصل أمير المؤمنين (عليه السلام) مسجد الكوفة ووقعت تلك الفاجعة العظمى على يد أشقى الأشقياء، وسمع أهل الكوفة بالفاجعة، فهرعوا الى المسجد وخفّ أبناء الإمام (عليه السلام) مسرعين، وكان الإمام الحسن (عليه السلام) فى مقدمة الذين وصلوا المسجد فوجد أباه (عليه السلام) صريعاً فى محرابه وقد تخضّب وجهه ولحيته بدمه، وجماعة حافّين به يعالجونه للصلاة، ولمّا وقع نظره على ولده الحسن (عليه السلام)؛ أمره أن يصلّى بالناس، وصلّى الإمام وهو جالس والدم ينزف منه.

ولمّا فرغ الحسن (عليه السلام) من صلاته؛ أخذ رأس أبيه فوضعه فى حجره، وسأله: من فعل بك هذا؟ فأجابه قائلاً: عبدالرحمن بن ملجم، فقال الإمام الحسن (عليه السلام): من أىّ طريق مضى؟ فقال الإمام علىّ (عليه السلام): لا يمض أحد فى طلبه إنّه سيطلع عليكم من هذا الباب، وأشار الى باب كندة، وما هى إلّا فترة قصيرة وإذا بالناس يدخلون ابن ملجم من الباب نفسها، وقد جىء به مكتوفاً مكشوف الرأس، فأوقف بين يدى الإمام الحسن (عليه السلام) فقال له: يا ملعون! قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين؟ هذا جزاؤه حين آواك وقرّبك حتى تجازيه بهذا الجزاء؟

وفتح أمير المؤمنين (عليه السلام) عينيه وقال له بصوت خافت: «لقد جئت شيئاً إدّاً وأمراً عظيماً، ألم أشفق عليك وأُقدمك على غيرك فى العطاء؟ فلماذا تجازينى بهذا الجزاء؟».

وقال لولده الحسن (عليه السلام) يوصيه ببرّه والإحسان إليه: «يا بنى! ارفق بأسيرك وارحمه وأشفق عليه».

فقال الإمام الحسن (عليه السلام): «يا أبتاه، قتلك هذا اللعين وفجعنا بك، وأنت تأمرنا بالرفق به».

فأجابه أمير المؤمنين: «يا بنى نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة، أطعمه مما تأكل، واسقه مما تشرب، فإن أنا متّ فاقتص منه بأن تقتله، ولا تمثّل بالرجل فإنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به، وأنا أولى بالعفو، فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفواً وكرماً» [۲۵۰].

ونظر الحسن إلى أبيه وقد حرق الهمّ والجزع قلبه فقال له:

«يا ابة، من لنا بعدك؟ إنّ مصابنا بك مثل مصابنا برسول الله» فضمّه الإمام وقال: مهدّئاً روعه:

«يا بنى! أسكن الله قلبك بالصبر، وعظّم أجرك، وأجر إخوتك بقدر مصابكم بى».

وجمع الحسن لجنة من الأطباء لمعالجته وكان أبصرهم بالطبّ أثير بن عمرو السكونى [۲۵۱] فاستدعى برئة شاة حارة فتتبع عِرقاً منها فاستخرجه فأدخله فى جرح الإمام ثم نفخ العِرق فاستخرجه فإذا هو مكلّل ببياض الدماغ، لأنّ الضربة قد وصلت إلى دماغه الشريف فارتبك أثير والتفت إلى الإمام ـ واليأس فى صوته ـ قائلاً: «يا أمير المؤمنين! اعهد عهدك، فإنّك ميت» [۲۵۲].

فالتفت الحسن إلى أبيه ودموعه تتبلور على وجهه، وشظايا قلبه يلفظها بنبرات صوته قائلاً:

«أبة! كسرت ظهرى، كيف أستطيع أن أراك بهذه الحالة؟» وبصر الإمام فرأى الأسى قد استوعب نفسه، فقال له برفق:

«يا بنى! لا غمّ على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع، اليوم ألقى جدّك محمد المصطفى، وجدّتك خديجة الكبرى، وأُمك الزهراء، وإنّ الحور العين ينتظرن أباك، ويترقّبن قدومه ساعةً بعد ساعة، فلا بأس عليك، يا بنى لا تبك».

وتسمّم دم الإمام، ومال وجهه الشريف إلى الصفرة، وكان فى تلك الحالة هادئ النفس قرير العين لا يفتر عن ذكر الله وتسبيحه وهو ينظر إلى آفاق السماء، ويبتهل إلى الله بالدعاء قائلاً:

«إلهى، أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات الجنة».

وغشى عليه فذاب قلب الحسن وجعل يبكى مهما ساعدته الجفون، فسقطت قطرات من دموعه على وجه الإمام (عليه السلام) فأفاق، فلما رآه قال له: مهدّئاً روعه:

«يا بنى! ما هذا البكاء؟ لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم، يا بنى! لا تبك، فأنت تقتل بالسم، ويقتل أخوك الحسين بالسيف».

## آخر وصايا أميرالمؤمنين

وأخذ الإمام يوصى أولاده بمكارم الأخلاق، ويضع بين أيديهم المثل الرفيعة، ويلقى عليهم الدروس القيّمة، وقد وجه (عليه السلام) نصائحه الرفيعة أولاً لولديه الحسن والحسين، وثانياً لبقية أولاده وعموم المسلمين قائلاً:

«أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما [۲۵۳] ولا تأسفا على شىء منها زوى عنكما، وقولا للحقّ واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، أوصيكما، وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإنّى سمعت جدكم (صلى الله عليه وآله) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، الله الله فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم [۲۵۴] ولا يضيعوا بحضرتكم، والله الله فى جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننّا أنّه سيورثهم، والله الله فى القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم، والله الله فى الصلاة فإنّها عمود دينكم، والله الله فى بيت ربّكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا [۲۵۵]، والله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فى سبيل الله، وعليكم بالتواصل والتباذل [۲۵۶] وإيّاكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيتولّ عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

ثم قال (عليه السلام) مخاطباً لآله وذويه:

«يا بنى عبد المطلب! لا ألفينكم [۲۵۷] تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين، ألا لاتقتلن بى إلّا قاتلى، انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثّل بالرجل، فإنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور» [۲۵۸].

وأخذ (عليه السلام) يوصى ولده الحسن خاصة بمعالم الدين وإقامة شعائره قائلاً:

«اُوصيك، أى بنى، بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسن الوضوء، فإنّه لا صلاة إلّا بطهور، واُوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقّه فى الدين، والتثبّت فى الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش» [۲۵۹].

وفى اليوم العشرين من شهر رمضان ازدحمت الجماهير من الناس على بيت الإمام طالبين الأذن لعيادته، فأذن لهم إذناً عاماً، فلمّا استقر بهم المجلس إلتفت لهم قائلاً:

«سلونى قبل أن تفقدونى، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم».

فاشفق الناس أن يسألوه، نظراً لما ألمّ به من شدّة الألم والجرح [۲۶۰].

## الامام على ينص على خلافة ابنه الحسن

ولمّا علم أمير المؤمنين أنّه مفارق لهذه الدنيا وأنّ لقاءه بربّه لقريب؛ عهد بالخلافة والإمامة لولده الحسن، فأقامه من بعده لترجع اليه الاُمّة فى شؤونها كافة، ولم تختلف كلمة الشيعة فى ذلك، فقد ذكر ثقة الإسلام الكلينى أنّ أمير المؤمنين أوصى إلى الحسن، وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع اليه الكتب والسلاح، وقال له: «يا بنى! أمرنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن اُوصى اليك وأن أدفع اليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى رسول الله ودفع إلىّ كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين».

وروى أيضاً أنّه قال له: «يا بنى! أنت ولىّ الدم فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة» [۲۶۱].

## الى الرفيق الاعلى

ولمّا فرغ الإمام أمير المؤمنين من وصاياه أخذ يعانى آلام الموت وشدّته، وهو يتلو آى الذكر الحكيم ويكثر من الدعاء والاستغفار، ولمّا دنا منه الأجل المحتوم كان آخر ما نطق به قوله تعالى: (لمثل هذا فليعمل العاملون) ثم فاضت روحه الزكية إلى جنّة المأوى وسمت إلى الرفيق الأعلى، وارتفع ذلك اللطف الآلهى إلى مصدره، فهو النور الذى خلقه الله ليبدّد به غياهب الظلمات.

لقد مادت أركان العدل وانطمست معالم الدين، ومات عون الضعفاء وكهف الغرباء وأبو الأيتام.

## تجهيزه الامام الشهيد و دفنه

وأخذ الحسن (عليه السلام) فى تجهيز أبيه، فغسّل الجسد الطاهر وطيّبه بالحنوط، وأدرجه فى أكفانه، ولمّا حل الهزيع الأخير من الليل خرج ومعه حفنة من آله وأصحابه يحملون الجثمان المقدّس إلى مقرّه الأخير فدفنه فى النجف الأشرف حيث مقره الآن كعبة للوافدين ومقراً للمؤمنين والمتقين ومدرسة للمتعلمين، ورجع الإمام الحسن بعد أن وارى أباه إلى بيته وقد استولى عليه الأسى والذهول وأحاط به الحزن [۲۶۲].

## عصر الإمام الحسن المجتبى

إنّ الخوارج حينما خرجوا على أمير المؤمنين (عليه السلام) وتمرّدوا عليه؛ لم يكن لحركتهم أيّة ميزة على غيرهم من المتمرّدين عليه كطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم، ولم يكن لهم هدف خاص كما كان لمعاوية وطلحة والزبير، وما ينسبه لهم المؤرّخون من الجدل حول التحكيم مع أنّهم من أنصاره فى بداية الأمر ـ ونتائجه لم يلتزم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) إن صحّ ـ يدلّ على أنّهم كانوا فى منتهى السذاجة والعفوية، وأنّهم كانوا ضحايا المتآمرين على أمير المؤمنين بقصد إثارة الفتن فى جيشه وإلهائه عن معاوية والرجوع لحربه، وكان لمقتلهم آثاره السيئة فى نفوس الكثيرين من أصحابه، لأنّ القتلى كان أكثرهم ينتمى إلى عشائر الكوفة والبصرة، فليس بغريب إذا ترك قتلهم فى نفوس من ينتمون اليهم ما يجده كلّ قريب لفقد قريبه.

ولمّا انتهى أمير المؤمنين منهم دبّ الوهن والتخاذل والخلاف بين أصحابه، فجعل يستحثّهم على الخروج معه لحرب معاوية ويخطب فيهم المرّة تلو الاُخرى فلا يجد منهم إلاّ التخاذل والخلاف عليه، فيقولون: لقد نفدت نبالنا وكلّت أذرعنا ونصلت أسنّة رماحنا وتقطعت سيوفنا، فأمهلنا لنستعد فإنّ ذلك أقوى لنا على عدوّنا، واستمر على ذلك مدّة من الزمن كان يدعوهم بين الحين والآخر للخروج إلى معسكرهم فى النخيلة، فلا يخرج إلاّ القليل الذى لا يغنى شيئاً [۲۶۳].

هذا والأشعث بن قيس وشبث بن ربعى وأمثالهما لا همَّ لهم إلاّ التخريب وبثّ روح التخاذل فى النفوس، وراح يضع فى أذهان الجيش أنّ علياً كان عليه أن يصنع مع أهل النهروان كما صنع عثمان ويتغاضى عنهم وهم قلّة لا يشكّلون خطراً عليه، لقد قال الأشعث ذلك ليحدث تصدّعاً فى صفوف الجيش وليشحن نفوس من تربطهم بأُولئك القتلى أنساب وقرابات بالكراهية والعداء لعلىّ (عليه السلام).

وسرت مقالة الأشعث بين الناس فزادتهم تخاذلاً وتصدعاً [۲۶۴]، وأُتيح لمعاوية أن يتّصل بسراتهم ورؤسائهم أكثر من قبل، تحمل كتبه لهم الوعود والأمانى، ويقدّم بين يدى الوعود والأمانى العطايا والصلات يعجّل لهم ما يرغبون فى عاجله وما يغرى قليله المعجّل بكثيره الموعود، حتى اشترى ضمائرهم وأفسدهم على إمامهم وجعلهم يعطونه الطاعة بأطراف ألسنتهم ويطوون قلوبهم على المعصية والخذلان.

لقد استطاع المتآمرون من أهل العراق أن يحقّقوا لمعاوية كلّ أطماعه وأن يشلّوا حركة الإمام (عليه السلام) ويخلقوا له من المصاعب والمشاكل ما يشغله عن لقاء أهل الشام مرّة ثانية، فلم تنته معركة النهروان حتى ظهرت فُلولُهم فى أكثر من ناحية فى العراق، وتركت معركة النهروان فى أهاليهم وقبائلهم أوتاراً لم يكن من السهل نسيانها، لا سيما وأنّ أيدى المتآمرين ممن كانوا على صلة بمعاوية كانت تزوّدهم بالأموال والعتاد فيخرج الرجل ومعه المائة والمئتان، فيضطر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن يرسل اليهم رجلاً من أصحابه ومعه طائفة من الجند فيقاتل المتمرّدين، حتى إذا قتلهم أو شرّدهم؛ عاد إلى الكوفة، وقبل أن يستقرّ يخرج آخر بجماعة من المتمرّدين.

وهكذا كانت الحالة بعد معركة النهروان حتى خرج الخريت بن راشد، وقد جاءه قبل خروجه، وقال له: والله إنّى لا اُطيعك ولا اُصلى خلفك لأنّك حكّمت الرجال وضعفت عن الحق، فقال له: إذن تعصى ربّك وتنكث عهدك ولا تضرّ إلاّ نفسك، ودعاه للمناظرة، فقال له: أعود اليك غداً، فقبل منه وأوصاه أن لا يؤذى أحداً من الناس ولا يعتدى على الدماء والأموال والأعراض فخرج ولم يعد، وكان مطاعاً فى قومه بنى ناجية وخرج معه جماعة فى ظلمة الليل والتقى فى طريقه برجلين وكان أحدهما يهودياً والآخر مسلماً، فقتلوا المسلم، وعاد اليهودى إلى عامل علىّ على السواد فأخبره بأمرهم فكتب العامل لأمير المؤمنين فأرسل اليهم جماعة من أصحابه وأمره بردّهم إلى الطاعة ومناجزتهم إن رفضوا ذلك، وحدثت بينه وبين الخريت وجماعته مناظرة لم تجد شيئاً، فطلب منهم أصحاب أمير المؤمنين أن يسلموهم قتلة المسلم فأبوا إلاّ الحرب، وكانت بين الطرفين معارك دامية، فأرسل اليهم أمير المؤمنين قوة اُخرى، وكتب إلى عبدالله بن العباس وكان أميراً على البصرة يأمره بملاحقتهم، والخريت مرّة يدّعى بأنّه يطلب بدم عثمان، واُخرى ينكر على علىّ (عليه السلام) التحكيم.

وأخيراً قتل الخريت وجماعة من أصحابه واُسر منهم خمسمائة قادوهم إلى الكوفة، فمرّ بهم الجيش على مصقلة بن هبيرة الشيبانى

وكان عاملاً لعلى (عليه السلام) على بعض المقاطعات فاستغاث به الأسرى فرقّ لحالهم كما تزعم بعض الروايات، واشتراهم من القائد على أن يسدّد أثمانهم أقساطاً وأعتقهم، وجعل يماطل فى أداء ما عليه، ولمّا طالبه عبدالله بن عباس بأداء المبلغ أجابه: لو طلبت هذا المبلغ وأكثر منه من عثمان ما منعنى إيّاه، ثم هرب إلى معاوية فاستقبله استقبال الفاتحين وأعطاه ما يريد.

وطمع مصقلة أن يستجلب أخاه نعيم بن هبيرة إلى جانب معاوية، فأرسل اليه رسالة مع رجل من نصارى تغلب كان يتجسّس لصالح معاوية، ولم يكد يبلغ الكوفة حتى ظهر أمره فأخذه أصحاب أمير المؤمنين وقطعوا يده.

إلى كثير من أمثال هذه الحوادث التى تدين المتمرّدين ومن كان يعاونهم بالتآمر وإشاعة الفوضى فى جميع أطراف الدولة لاستنزاف قوة الإمام فى الداخل وليكون فى شغل عن معاوية وتصرفاته.

ومن غير البعيد أن يكون مصقلة الشيبانى على صلة بالمتمرّدين وأنّ حرصه على تخليصهم من الأسر لقاء مبلغ من المال يعجز عن دفعه لم يكن بدافع إنسانى كما يبدو ذلك لأول نظرة فى حادثة من هذا النوع، بل كان بدافع الإحساس بمسؤوليته عن فئة كان يشترك معها فى الهدف والغاية ويمنيها بالمساعدة عندما تدعو الحاجة، وقد لقى من معاوية هذا الترحيب لأنّه اشترك فى الفساد والفوضى وساعد المخرّبين الذين جرّعوا علياً (عليه السلام) الغصص وأرهقوه من أمره عسراً وكانوا إلى ابن هند فرجاً ومخرجاً.

أمّا أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يزد حين بلغه فرار مصقلة إلى الشام على أن قال: ما له قاتله الله؟ فعل فعل الأحرار وفرّ فرار العبيد وأمر بداره فهدمت [۲۶۵].

وقد أُتيح لمعاوية فى ذلك الجوّ الذى ساد العراق فى الداخل أن يتحرك من ناحيته على القرى والمدن المتاخمة لحدود الشام فيقتل وينهب وينكّل بقوّات المخافر المرابطة على الحدود بدون رادع من أحد ووازع من دين، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو أهل العراق لنجدة إخوانهم وملاحقة المعتدين فلا يجد منهم ما يرضيه.

وأغارت قوات معاوية على الحجاز واليمن بقيادة بسر بن أرطاة وأوصاه باستعمال كلّ ما من شأنه إشاعة الفوضى وبثّ الخوف والرعب فى تلك البلاد، فمضى ابن أرطاة ينفّذ أمر معاوية فأسرف فى الاستخفاف بالدماء والحرمات والأعراض والأموال فى طريقه إلى المدينة، ولمّا بلغ المدينة قابل أهلها بكلّ أنواع الإساءة والقسوة فقتل فيها عدداً كبيراً واضطرّهم إلى بيعة معاوية، وكانت أخباره قد انتهت إلى اليمن فانتشر فيها الخوف والرعب، وفرّ منها عامل أمير المؤمنين عبيد الله بن العباس، ولمّا دخلها أسرف فى القتل والنهب والتخريب، ووجد طفلين صغيرين لعبيد الله ابن العباس، فذبحهما فى حضن أُمهما، فأصابها خلل فى عقلها وظلّت تندبهما وتبكيهما حتى ماتت غماً وكمداً [۲۶۶].

وجهّز جيشاً آخر لغزو مصر ليحقّق لابن العاص أُمنيته الغالية، وولّاه قيادة ذلك الجيش، ولمّا بلغ أمير المؤمنين؛ ذلك دعا أهل الكوفة لنجدة إخوانهم فى مصر فلم يستجيبوا لطلبه، وبعد أن ألحّ عليهم أجابه جماعة منهم وما لبث أن جاءته الأنباء بأنّ ابن العاص قد تغلّب عليها وقتل واليها محمد بن أبى بكر ومَثَّلَ به ثم أحرقه، فانتدب مالك بن الحرث الأشتر وولّاه عليها لإنقاذها من أيدى الغزاة، وكان كما يصفه المؤرّخون حازماً قوياً مخلصاً لأمير المؤمنين كما كان أمير المؤمنين لرسول الله على حدّ وصف الإمام وغيره له.

ولمّا بلغ معاوية نبأ اختياره حاكماً فى مصر اضطرب واشتدّ خوفه على أنصاره وقواته المرابطة فيها، واستطاع بعد تفكير طويل أن يجد المخرج من تلك الأزمة التى أحاطت به، فأغرى أحد أنصاره ممّن يسكنون الطريق التى لابدّ للأشتر من المرور عليها بالمال لقاء اغتياله، ولمّا بلغ الأشتر ذلك المكان ونزل فيه جاءه بعسل مسموم كان قد أعدّه له بناءً لتخطيط معاوية، فكانت به نهايته [۲۶۷]، وكان ناجحاً فى التخلّص من خصومه بهذا الأُسلوب، فقد قتل ابن خاله محمد بن أبى حذيفة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص والإمام أبا محمد الحسن (عليه السلام) بهذا الأُسلوب، وأحياناً كان يتباهى به ويقول: إنّ لله جنداً من العسل ينتقم به لأوليائه.

وتوالت الأحداث فى داخل العراق والبلاد التى كانت تخضع لسلطة أميرالمؤمنين، فلم يكن يفرغ من تمرّد حتى يفاجأ بآخر ولا يسدّ ثغرة إلّا فتحت له أُخرى حتى طمع فيه معاوية إلى حدود الاستخفاف [۲۶۸]، هذا وأصحابه بالرغم مما يجرى حولهم وعلى حدود

بلادهم وفى خارجها من احتلال

لبعض المقاطعات وقتل ونهب ممعنون فى خلافه مفرقون فيما أحبّوا من طلب العاقبة، إذا استنفرهم لا ينفرون وإذا دعاهم لا يجيبون، يتعللون بالأعذار الواهية كحر الصيف وبرد الشتاء، ولا يغضبون لحقّ أو دين ولا للمشرّدين والمستضعفين حتى كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل ويبكى أحياناً على من مضى من أنصاره ويقول: «متى يبعث أشقاها فيخضب هذه من هذا؟» مشيراً إلى رأسه الكريم ولحيته الشريفة، ويتمنّى لو أنّ معاوية صارفه فيهم صرف الدينار بالدرهم فأخذ منه عشرة وأعطاه واحداً من أهل الشام، ووطّن نفسه أخيراً أن يخرج لحرب معاوية بمن هم على رأيه من أهله وعشيرته وأنصاره، فيقتل بهم حتى يلقى الله فى سبيل الحقّ والعدل، وتحدّث اليهم حديثاً لا لبس فيه، وحمّلهم تبعات ما سينجم عن تخاذلهم [۲۶۹].

وكان ـ على ما يبدو ـ لهذا الموقف الحازم منه أثره فى نفوس القوم بعد أن أيقنوا بأنّه سيخرج بنفسه وأهله وخاصته إلى معاوية، وسيلحقهم بذلك الخزى والعار ويصبحون حديث الأجيال إذا هم تركوه يخرج على هذه الحال، فردّ عليه زعماؤهم ردّاً جميلاً، وجمع كلّ رئيس منهم قومه وتداعوا للجهاد من كلّ جانب وتعاقدوا على الموت معه، حتى أصبحت الحرب حديث الناس، وأرسل إلى عمّاله فى مختلف المناطق يدعوهم للاشتراك معه بمن عندهم من الجيوش والمقاتلين.

وخرج الناس إلى معسكراتهم فى النخيلة ينتظرون انسلاخ شهر رمضان من سنة أربعين لهجرة النبى (صلى الله عليه وآله)، وأرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) زياد بن حفصة فى جماعة من أصحابه طليعة بين يديه، وبقى هو مع الجيش ينتظر انسلاخ الشهر المبارك، وإذا بالقدر ينقضّ عليه وعلى أهل العراق فيكمن له أشقى الأولين والآخرين فى فجر اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر وهو فى بيت الله فيضربه على رأسه الشريف وهو يصلّى لربّه، فيخرّ منها فى محرابه وهو يقول: «فزت وربّ الكعبة» [۲۷۰].

## مواقف الإمام و إنجازاته

### من البيعة الى الصلح

#### خطبة الإمام الحسن يوم شهادة أبيه

تحدّث أغلب المؤرّخين عن أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) ألقى فى صباح الليلة التى دَفَنَ فيها أباه (عليه السلام) خطبةً فى الناس جاء فيها:

«أيّها الناس! فى هذه الليلة نزل القرآن، وفى هذه الليلة رُفع عيسى بن مريم، وفى هذه الليلة قُتل يوشع بن نون، وفى هذه الليلة مات أبى أمير المؤمنين (عليه السلام)، والله لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، ولا مَن يكون بعده، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لَيبعثه فى السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشترى بها خادماً لأهله» [۲۷۱].

ونقل الشيخ المفيد فى «الإرشاد» الخطبة بهذه الصورة:

«وروى أبو مخنف لوط بن يحيى، قال: حدّثنى أشعث بن سوار عن أبى إسحاق السبيعى وغيره، قالوا: خطب الحسن بن علىّ (عليه السلام) فى صبيحة الليلة التى قُبض فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: «لقد قُبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوجّهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

ولقد توفّى (عليه السلام) فى الليلة التى عُرِج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون وصىّ موسى (عليه السلام) وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم، فَضُلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ثم خنقته العَبرة فبكى وبكى الناس معه، ثم قال: «أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت فرض الله مودّتهم فى كتابه فقال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حُسناً) [۲۷۲] ، فالحسنة مودّتنا أهل البيت» [۲۷۳] .

## بيعة الإمام الحسن

ولمّا أنهى الإمام (عليه السلام) خطابه، انبرى عبيد الله بن العباس فحفّز المسلمين إلى المبادرة لمبايعته قائلاً:

«معاشر الناس، هذا ابن نبيّكم، ووصىّ إمامكم فبايعوه». واستجاب الناس لهذه الدعوة المباركة، فهتفوا بالطاعة، وأعلنوا الرضا والانقياد قائلين:

«ما أحبّه الينا وأوجب حقّه علينا وأحقّه بالخلافة» [۲۷۴] .

وتمّت البيعة له فى يوم الجمعة المصادف الحادى والعشرين من شهر رمضان فى سنة (۴۰) للهجرة [۲۷۵] .

وثم نزل الحسن عن المنبر فرتّب العمّال وأمّر الأُمراء ونظر فى الأُمور، وأنفذ عبدالله بن العباس إلى البصرة [۲۷۶] .

كان أوّل شىء أحدثه الحسن بن علىّ (عليه السلام) أنّه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان أبوه فعل ذلك يوم الجمل، والحسن (عليه السلام) فعله على حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء بعد ذلك [۲۷۷] .

## الامام الحسن يقتص من قاتل أميرالمؤمنين

وفى اليوم الذى بايع الناس الإمام الحسن (عليه السلام) وبعد إتمام البيعة أمر بإحضار عبد الرحمن بن ملجم فلمّا مثل بين يديه قال له ابن ملجم: ما الذى أمرك به أبوك؟ فأجابه الامام (عليه السلام):

«أمرنى أن لا أقتل غير قاتله، وأن أُشبع بطنك وأُنعم وطأك» [۲۷۸] .

ثم ضرب عنقه، ولم يمثّل به.

## جهاد الامام الحسن

يكشف النصّ التاريخى ـ الذى نقلناه سابقاً عن قيام الإمام (عليه السلام) بمضاعفة الأُجور التى كان يتقاضاها المقاتلة ـ عن موقف الإمام (عليه السلام) الجادّ من الحرب وإصراره الأكيد فى مجابهة معاوية كما يتّضح من عمله فى إصلاح حال جيشه وبنائه له.

وقد أخذ الإمام (عليه السلام) جانب الحزم فى موقفه من معاوية، حيث إنّ معاوية لمّا علم بوفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبيعة الناس مع الإمام الحسن (عليه السلام) دسّ رجلاً من حمير إلى الكوفة ورجلاً من بنى القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الإمام (عليه السلام) الأُمور، فعرف ذلك الإمام فأمر باستخراج الحميرى من عند لحّام بالكوفة، فأُخرج وأمر بضرب عنقه وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم فأُخرج وضربت عنقه [۲۷۹] .

ثم كتب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية: «أمّا بعد، فإنّك دسست إلىّ الرجال كأنّك تحبّ اللقاء، لا أشك فى ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وبلغنى عنك أنّك شمتّ بما لم يشمت به ذوو الحجى وأنّما مثلك فى ذلك كما قال الأول:

فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى
تجهّز لأُخرى مثلها فكأن قدِ» [۲۸۰] .

لقد كانت هذه الحادثة إنذاراً لمعاوية بالحرب وتهديداً له وقطعاً لآماله بالاستيلاء على الكوفة بسلام.

وفى كتاب آخر من الإمام (عليه السلام) لمعاوية جواباً على رسالته التى لمّح فيها للصلح وطلب فيها من الإمام (عليه السلام) أن يبايعه على أن يجعل له ولايـة العهـد، نلاحظ قوة موقف الإمام وعدم اهتمامه بمثل هذه العروض التى كان يحاول فيها معاوية استمالة جانب الإمام، يقول (عليه السلام):

«أمّا بعد، فقد وصل إلىّ كتابك فتركت جوابك خشية البغى عليك، فاتبع الحقّ تعلم أنّى من أهله، والسلام» [۲۸۱].

ولم يتجاوز عـدد الرسائل التى كانت بين الامام (عليه السلام) ومعاويـة الخمس حسبما يـذكر ذلك أبو الفرج وآخرون. والسبب فى ذلك هو ما كان يحمله معاوية من نزعات جعلته من الذين لا يستجيبون للحقّ ولا يذعنون لأهله، بل إنّ تلك النزعات قد اشتدت بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قويت مطامعه بالخلافة التى كان يفتقد لأبسط مقوماتها وشروطها من وجهة نظر إسلاميّة.

وبالرغم من ذلك فإنّ الإمام الحسن (عليه السلام) واصل نهج والده (عليه السلام) كما كان يقتضيه التكليف الإلهى بإتمام الحجّة على خصمه فأرسل اليه أكثر من رسالة فى هذا الإطار، بالرغم ممّا كان يعرفه عنه من نزعات غير خيّرة، ننقل هنا أكثرها شمولية:

من الحسن بن علىّ أمير المؤمنين إلى معاويـة بن أبى سفيان، سـلام عليك، فإنّى أحمـد اليك الله الـذى لا إله إلّا هو، أمّا بعد فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمـداً رحمـةً للعالمين، ومنّـةً للمؤمنين، وكافّـةً للناس أجمعين، (لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين)، فبلّغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفّاه الله غير مقصّر ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحقّ، ومحق به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصة فقال له: (وإنّه لـذكرٌ لـك ولقومـك)، فلمّـا توفىّ تنـازعت سـلطانه العرب، فقـالت قريش: نحن قبيلته واُسـرته وأوليـاؤه، ولاـ يحـلّ لكم أن تنازعونا سـلطان محمـد وحقّه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّـة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمـد، فأنعمت لهم وسـلّمت اليهم، ثم حاججنـا قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصـفنا قريش إنصاف العرب لها، إنّهم أخـذوا هـذا الأمر دون العرب بالانتصـاف والاحتجـاج، فلمّا صـرنا أهل بيت محمـد وأولياءه إلى محاجّتهم، وطلب النَّصَف منهم؛ باعـدونا واسـتولوا بالإجماع على ظُلمِنا ومَراغمتنا والعَنَت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الولى النصير.

ولقد كنّا تعجبنا لتوثّب المتوثّبين علينا فى حقّنا وسـلطان نبيّنا، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الـدين أن يجـد المنـافقون والأـحزاب فى ذلـك مغمزاً يثلمون به، أو يكون لهم بـذلك سببٌ إلى مـا أرادوا من إفسـاده، فـاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاويـة على أمر لست من أهله، لا بفضل فى الـدين معروف، ولا أثر فى الإسـلام محمود، وأنت ابن حزب من الأـحزاب، وابن أعـدى قريش لرسول الله (صـلى الله عليه وآله) ولكتابه، والله حسـيبك، فستردُّ فتعلم لمن عقبى الـدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلّام للعبيد.

إنّ عليّاً لمّا مضـى لسبيله ـ رحمة الله عليه ـ يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسـلام ويوم يبعث حيّاً ولّانى المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألّا يؤتينا فى الـدنيا الزائلـة شـيئاً ينقصـنا به فى الآخرة ممّا عنـده من كرامة، وإنّما حملنى على الكتاب اليك الإعذار فيما بينى وبين الله عزّوجلّ فى أمرك، ولك فى ذلك إن فعلته الحظّ الجسـيم، والصلاح للمسلمين، فدعِ التمادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس مِن بيعتى، فإنّك تعلم أنّى أحقّ بهـذا الأمر منك عنـد الله وعنـد كلّ أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتّق الله ودعِ البغى واحقن دماء المسـلمين، فوالله مـا لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به، وادخل فى السـلم والطاعـة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منـك ليطفئ الله النـائرة بـذلك، ويجمع الكلمـة ويصـلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّـ التمـادى فى غيّـك سِـرتُ اليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين [۲۸۲].

وجاء فى جواب معاوية على رسالة الإمام (عليه السلام) هذه:

«.. قـد علمتَ أنّى أطول منك ولايـةً، وأقـدم منك بهـذه الاُ مّـة تجربـةً، وأكبر منك سـنّاً، فأنت أحقّ أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى، فادخـل فى طـاعتى، ولك الأمر من بعـدى، ولك ما فى بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ، تحمله إلى حيث أحببت، ولك

خراج أىّ كور فى العراق شئت معونة لك على نفقتك يجبيها أمينك ويحملها لك فى كلّ سنة، ولك أن لا يستولى عليك بالإساءة، ولا تقضى دونك الأُمور، ولا تعصى فى أمر أردت به طاعة الله...» [۲۸۳].

تُصوّر هذه الرسالة بوضوح كيف أنّ مقام الخلافة الإلهية المقدّسة ليس عند معاوية إلاّ سلعةً تُشترى ويُدفع ثمنها من بيت مال المسلمين وليس من مال معاوية الخاص، وهى كذلك تؤكّد تعدّيه أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو أمر الله تعالى له فى استخلاف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ونصبهم للإمامة من بعده.

## تحرك معاوية نحو العراق و موقف الإمام

وبدأ معاوية يعبّئ جيشه ويكتب لعمّاله بموافاته لغزو العراق، وفى بعض كتبه لعمّاله يذكر أنّ بعض أشراف الكوفة وقادتهم كتبوا اليه يلتمسون منه الأمان لأنفسهم وعشائرهم، وإن صح هذا فهو أول الخذلان الذى ارتكبه أهل الكوفة بحقّ الإمام الحسن (عليه السلام).

وجاء فى مذكرة رفعها معاوية ذات مضمون واحد إلى جميع عمّاله وولاته: «.. أمّا بعد، فالحمد لله الذى كفاكم مؤونة عدوّكم وقتلة خليفتكم، إنّ الله بلطفه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إلىّ حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغى والعدوان..» [۲۸۴].

ولمّا وصلت هذه الرسالة إلى عمّاله وولاته قاموا بتحريض الناس وحثّهم على الخروج والاستعداد لحرب ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسبطه، وفى أقرب وقت التحقت به قوىً كبيرة لا ينقصها شىء من العدّة والعدد.

ولمّا توفرت لمعاوية تلك القوة من المضلَّلين وأصحاب المطامع؛ زحف بهم نحو العراق وتولّى بنفسه قيادة الجيش، وأناب عنه فى عاصمته الضحاك بن قيس الفهرى، وقد كان عدد الجيش الذى نزح معه ستين ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، ومهما كان عدده فقد كان مطيعاً لقوله، ممتثلاً لأمره، منفّذاً لرغباته... وطوى معاوية البيداء بجيشه الجرّار، فلمّا انتهى إلى جسر منبج [۲۸۵] أقام فيه، وجعل يحكم أمره.. [۲۸۶].

وبدأ الإمام (عليه السلام) من جانبه يستنهض الكوفة للجهاد والسير لقتال معاوية بعد أن بلغه توجّهه نحو العراق، فبعث حجر بن عدى يأمر العمّال والناس بالتهيّؤ للمسير ونادى المنادى الصلاة جامعة فأقبل الناس يتوثّبون ويجتمعون «فقال الإمام الحسن (عليه السلام) للمنادى: «إذا رضيتَ جماعة الناس فأعلمنى» وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال: اخرج فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال [۲۸۷]:

«... أمّا بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (اصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم ـ أيها الناس ـ نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغنى أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا المسير اليه فتحرّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسركم بالنخيلة..» فسكتوا [۲۸۸].

## استنكار الموقف المتخاذل

وهكذا وقف أهل الكوفة هذا الموقف المتخاذل من قائدهم وإمامهم، إذ سكتوا حيث طلب منهم الإجابة على ندائه بالخروج إلى معسكرهم فى النخيلة، فتحوّلت أعينهم وهلعت قلوبهم، فلمّا رأى ذلك عدى بن حاتم الطائى قام فقال:

«أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيّكم؟ أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة، فإذا جَدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب؟ أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها».

ثم استقبل الإمام الحسن بوجهه، فقال:

«أصاب الله بك المراشد وجنّبك المكاره ووفّقك لما تحمد ورده وصدره، قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعنا فيما قلت ورأيت وهذا وجهى إلى معسكرى، فمن أحبّ أن يوافينى فليواف» ثمّ مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدى بن حاتم أول الناس عسكراً [۲۸۹] .

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ومعقل بن قيس الرياحى وزياد ابن صعصعة التيمى فأنّبوا الناس ولاموهم وحرّضوهم وكلّموا الإمام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الإجابة والقبول، فقال لهم الإمام الحسن (عليه السلام): «صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النيّة والوفاء والقبول والمودّة الصحيحة فجزاكم الله خيراً» [۲۹۰] ، ثم نزل وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم اليه، فجعل يستحثّهم ويخرجهم حتى يلتئم العسكر وسار الإمام (عليه السلام) فى عسكر عظيم وعدّة حسنة حتى انتهى إلى النخيلة.

وهكذا بدأت المسيرة، ولكن دون أن يكون دافع الحركة اختيارياً بتثاقل وإكراه تفرضه طبيعة الموقف المتخاذل، ولولا الصفوة الخيّرة والثلّة المؤمنة؛ لانقلب ميزان الموقف وانتصرت عوامل الضعف عاجلاً ولكن موقف هؤلاء المتصلّب المنطلق من إيمانهم الجاد بحكمة القائد ولزوم اتباعه وأحقّيته بالخلافة، كان من أقوى الأسباب التى حفظت للجيش تماسكه وانقياده وبعث النشاط والحماس فيه.

## الاتجاهات المتضادة فى جيش الإمام

كان جيش الإمام (عليه السلام) يتكوّن من خليط غريب، فقد تجمّعت فيه عدّة اتجاهات مختلفة وعناصر متضادة، ويمكن بالنظرة الأُولى تصنيفه إلى فئات:

أ ـ الخوارج: وهم الذين خرجوا عن طاعة الإمام علىّ (عليه السلام) وحاربوه وناوؤه ونصبوا له العداوة، فكانوا قد وجدوا من الإمام الحسن (عليه السلام) حلاًّ وسطاً، فانضموا اليه لمحاربة معاوية، وهؤلاء أُناس تستثيرهم أدنى شبهة عارضة فيتعجّلون الحكم عليها، وسنرى أنّهم كيف وثبوا على الإمام الحسن (عليه السلام) فيما بعد.

ب ـ الفئة الممالئة للحكم الأُموى، وهى على قسمين:

۱ ـ وهم الذين لم يجدوا فى حكومة الكوفة ما يشبع نهمهم ويروى من ظمئهم فيما يحلمون به من مطامع يطمحون اليها، فأضمروا ولاءهم للشام مترقّبين سنوح الفرصة للوثوب على الحكم وتسليم الأمر لمعاوية.

۲ ـ وهم الذين حقدوا على حكومة الكوفة لضغائن فى نفوسهم أورثتها العهود السالفة أو حسابات شخصية.

وسنرى فيما بعد خيانة هؤلاء وكتابتهم لمعاوية تزلّفاً وطمعاً فى الحظوة عنده.

ج ـ الفئة المتأرجحة، التى ليس لها مسلك معيّن أو جهة خاصة مستقلّة، وإنّما هدفها ضمان السلامة وبعض المطامع عند الجهة التى ينعقد لها النصر، فهى تترقّب عن كثب إلى أىّ جهة تنقلب الأُمور ليميلوا معها.

د ـ الفئة التى تثيرها بعض العصبيات القبلية أو الإقليمية.

هـ ـ الغوغاء، وهى الفئة التى لا تستند فى موقفها إلى أساس متين.

و ـ الفئة المؤمنة المخلصة، وهى القلّة الخيّرة التى يذوب صوتها فى زحام الأصوات الأُخرى المعاكسة لها والمتناحرة فيما بينها.

فجيش الإمام (عليه السلام) خليط لا يربط بين فئاته هدف واحد، وهو معرض للانقسام والتفكّك لدى أىّ بادرة للانقسام من شأنها أن تفسد أىّ خطة مهما كانت حنكة القائد الذى وضع تلك الخطة، وقد شعر الإمام (عليه السلام) بخطورة هذا الموقف بين هذا الخليط الذى يحمل عوامل الانقسام على نفسه.

وذكر السيد ابن طاووس ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فى «الملاحم والفتن» كلاماً يؤثر عنه (عليه السلام) يعبّر عن ضعف ثقته بجيشه، وكان من أبلغ ما أفضى به فى هذا الصدد، وذلك فى خطابه الذى خاطب به جيشه فى المدائن قائلاً:

«.. وكنتم فى مسيركم إلى صفّين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، وأنتم بين قتيلين: قتيل بصفّين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون منّا بثأره، وأمّا الباقى فخاذل، وأمّا الباكى فثائر» [۲۹۱].

وكان معاوية قد عرف نقاط الضعف التى ابتلى بها جيش الإمام (عليه السلام)، فرسم للموقف خطة حاسمة ابتكرتها له الظروف الموضوعية من شأنها أن تحسم الأمر بينه وبين الإمام، وذلك بدعوته للصلح والتظاهر بإعطائه الشروط التى يريد، فإن يقبل بذلك فإنّ أَحبولته التى حاكها حول قادة الإمام ورؤساء جيشه كافية لأن تمنع الالتحام بين المعسكرين، وتدفع بالإمام الحسن (عليه السلام) إلى الرضا بالأمر الواقع.

## طلائع جيش الإمام الحسن

انتهى الإمام الحسن (عليه السلام) بجيشه إلى النخيلة، فأقام فيها ونظّم الجيش، ثمّ ارتحل عنها وسار حتى انتهى إلى «دير عبد الرحمن» فأقام به ثلاثة أيام ليلتحق به المتخلّفون من جنده، وأرسل مقدمة جيشه للاستطلاع على حال العدو وإيقافه فى محلّه، واختار إلى مقدّمته خلّص أصحابه وخيرة عناصر جيشه، وكان عددهم اثنى عشر ألفاً، وأعطى القيادة العامة إلى ابن عمّه عبيد الله بن العباس، وقد زوّده قبل تحرّكه بهذه الوصية القيّمة وهى:

«يابن العمّ! إنّى باعث معك اثنى عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسر بهم، وألِن لَهُم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنّهم بقية ثقات أمير المؤمنين، وسر بهم على شطّ الفرات، ثمّ امضِ حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحتبسه حتى آتيك، فإنّى على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندى كلّ يوم، وشاور هذين ـ قيس بن سعد وسعيد بن قيس ـ إذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله، وإن أُصبت فقيس بن سعد على الناس، فإن أُصيب فسعيد بن قيس على الناس» [۲۹۲].

## خيانة قائد الجيش

وصل عبيد الله بن العباس إلى «مسكن» [۲۹۳] فعسكر فيها، وقابل العدوّ وجهاً لوجه، وعندها بدأت تظهر بوادر الفتنة بوضوح، وانطلقت دسائس معاوية تشقّ طريقها إلى المعسكر حيث تجد المجال الخصب بوجود المنافقين ومن يؤثرون العافية، وكانت الشائعة الكاذبة «أنّ الحسن يكاتب معاوية على الصلح فلِمَ تقتلون أنفسكم؟» [۲۹۴].

وارتبك الموقف أمام قائد الجيش وسرت همهمة فى الجيش عن صدق الشائعة أو كذبها، فبين مصدّق لها وبين مكذّب، وبين من يحاول إثباتها على أىّ حال، ولم يحاول القائد عبيد الله أن يتأكّد من كذب هذه الشائعة وبُعدها عن الواقع، لأنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان مشغولاً فى تلك الأثناء ببعث الرسل إلى الأطراف وتهيئة الكتائب اللاحقة بالطلائع ومكاتبة معاوية بالحرب وبعث الحماس بخطبه اللاهبة المحرضة على القتال، ولم يكتب فى صلح ولم يكن من رأيه آنذاك أبداً.

فَسَرَتْ الحيرة فى نفس قائد الجيش ممّا دفعه للانطواء، فأخذ يفكّر فى مصيره، وكان قد بلغه تخاذل الكوفيين عن التحرّك نحو المعركة وتباطؤهم عن تلبية نداء الجهاد، فبدت فى نفسه بعض التصورات من أنّه فى موقف لا يغبط عليه، وأنّ هذه الطلائع من جيش الكوفة والتى تقف فى مواجهة جيش الشام المكتظ لا يمكن أن تقاوم تلك الجموع الحاشدة أو تلتحم معها فى معركة مع فقدان توازن القوى بينها.

وبينا هو يعيش هذه الحيرة وتلك الأوهام وصلته رسائل معاوية وهى تحمل فى طيّاتها عوامل الإغراء التى تمسّ الوتر الحسّاس فى

نفس ابن عباس من حبّه للتعاظم وتطلّعه للسبق، وكان معاوية قد خبر نقاط الضعف التى يحملها عبيد الله هذا.

وكانت رسالة معاوية تحمل: «أنّ الحسن قد راسلنى فى الصلح، وهو مسلِّم الأمر إلىّ، فإن دخلت فى طاعتى كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع» وجعل له فيها ألف ألف درهم [۲۹۵].

وكان أسلوب معاوية فى حربه مع أعدائه هو استغلال نقاط الضعف فى خصومه، واستغلال كلّ ما من شأنه أن يوهن العزيمة ويشلّ القوى فيهم.

وهكذا انكفأ عبيد الله بن عباس على نفسه واستجاب لداعى الخيانة، ملتمساً لعدوّه الذى وتره بابنيه، مخلّفاً وراءه لعنة التاريخ، وقد شاء لنفسه أن ينحدر إلى هذا المستوى الساقط فيدخل حمى معاوية ليلاً دخول المهزوم المخذول، الذى يأباه كلّ حرٍّ ينبض عنده الضمير.

وينبلج الصبح عن افتقاد المعسكر قائده، فترقص قلوب المنافقين والمسالمين، وتدمى عيون المخلصين، هذا والحسن (عليه السلام) لا يزال فى موقفه الصلب بضرورة مقاتلة معاوية.

ويكاد الأمر ينتقض على الإمام (عليه السلام) فى مسكن، ولكنّ القائد الشرعى ـ وهو الرجل المؤمن الصامد قيس بن سعد بن عبادة الذى جعله الإمام (عليه السلام) خلفاً لعبيد الله بن العباس إذا غاب عن القيادة ـ حاول جاداً فى أن يحافظ على البقية الباقية من معنويات الجيش المنهارة بانهزام القائد وإقرار التماسك بين فرقِهِ وأفراده، فقام فيهم خطيباً وقال:

«أيّها الناس! لا يهولنّكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل المولَّه، إنّ هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قطّ، إنّ أباه عمّ رسول الله خرج يقاتله ببدر، فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصارى، فأتى به رسول الله فأخذ فداءه فقسّمه بين المسلمين، وإنّ أخاه ولّاه على البصرة فسرق ماله ومال المسلمين، فاشترى به الجوارى وزعم أنّ ذلك له حلال، وإنّ هذا ولّاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطاة، وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذى صنع» [۲۹۶].

وهكذا اندفع قيس الصامد فى موقفه، المؤمن بهدفه، يودّع سلفه بهذه الكلمات الساخرة اللاذعة التى تكشف عن الماضى الهزيل له، وعن نفسيته الساقطة التى دفعته للتردّى فى هذا المنحدر السحيق.

وقد فعل قيس فى نفوس سامعيه ما أراد، فانطلقت الحناجر بحماس وتوثّب تنادى: «الحمد لله الذى أخرجه من بيننا» [۲۹۷] فصنع قيس حالة من الشدّ والعزيمة فى ذلك الموقف الذى كان للانهيار المؤلم الوشيك عرضة، وعاد النظام يسيطر على عناصر الجيش، واطمأنّ الناس لقائدهم الجديد.

## توالى الخيانات فى جيش الإمام

وصلت أنباء استسلام عبيد الله لعدوّه إلى المدائن، وشاع جوّ من المحنة فى النفوس، وشعر الإمام (عليه السلام) بالطعنة فى الصميم تأتيه من أقرب الناس اليه وأخصّهم به، وتسرّبت اليه أنباء عن مكاتبة بعض رؤساء الأجناد والقوّاد لمعاوية وطلبهم الأمان لأنفسهم وعشائرهم، ومكاتبة معاوية لبعضهم بالأمان والمواعيد [۲۹۸].

وممّا يذكر: «أنّ معاوية دسّ إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعى دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه: أنّك إذا قتلت الحسن فلك مائة ألف درهم، وجندٌ من أجناد الشام، وبنتٌ من بناتى».

فبلغ الحسن (عليه السلام) ذلك فاستلأم ولبس درعاً وسترها، وكان يحترز ولا يتقدّم للصلاة إلّا كذلك، فرماه أحدهم فى الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة [۲۹۹].

وهكذا توالت الخيانات فى جيش الإمام، ومن ذلك: «أنّ الحسن بعث إلى معاوية قائداً من كندة فى أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار بعث اليه معاوية بخمسمائة ألف درهم، ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة، فصار اليه فى مائتين من خاصّته، ثم بعث رجلاً من مراد ففعل كالأول بعدما حلف الأيمان التى لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل، وأخبرهم الحسن أنّه سيفعل كصاحبه» [۳۰۰].

ويقف الإمام الحسن (عليه السلام) أمام هذه النكبات والمحن المتتالية، متطامناً على نفسه ناظراً فى أمره، وإلى أين ستنتهى به هذه المسيرة.

والذى يظهر لنا من بعض النصوص أنّ ابن عباس لم يفرَّ وحده، بل خرج معه عدد وفير من الزعماء والقوّاد والجند، وهو أمر يمكن أن يساعد عليه الجوّ المشحون بالتشاؤم واليأس من توقّع انتصار الإمام (عليه السلام) على عدوّه.

وهكذا أخذت الأنباء تتوارد على الإمام فى المدائن بفرار الخاصة من القواد والزعماء، وقدتبع انهزام هؤلاء فرار كثير من الجند، حيث كان انهزامهم سبباً لحدوث تمرّد وفوضى شاملة فى الجيش.

وقد ارتفعت أرقام الفارّين إلى معاوية بعد فرار عبيد الله وخاصّته إلى ثمانية آلاف، كما يذكر اليعقوبى فى تاريخه فيقول: «إنّه ـ يعنى معاوية ـ أرسل إلى عبيد الله بن عباس، وجعل له ألف ألف درهم، فصار اليه فى ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس بن سعد على محاربته» [۳۰۱].

واذا أخذنا فى اعتبارنا أنّ الجيش الذى كان فى «مسكن» إثنا عشر ألفاً فستكون نسبة الفارّين منه إلى معاوية وهى ثلثا الجيش نسبة كبيرة، فى حين كان الجيش الذى يقوده معاوية لمواجهة الحسن (عليه السلام) ستين ألفاً تضاف اليه آلاف الفارّين من جيش الحسن (عليه السلام).

وحقّاً أنّها لصدمة رهيبة ومحنة حادّة تتداعى أمامها القوى، وتنفرج بها أنياب الكارثة عن مأساة مرعبة يتحمّل جزءً كبيراً من مسؤوليّتها عبيد الله بن العباس أمام الله والتاريخ.

والشىء الذى يمكن فهمه من هذا الفرار الجماعى هو وجود تآمر على الخيانة فى أوساط جملة من الزعماء والوجوه، وإلّا فبأىّ قاعدة منطقية يمكن تفسير فرار ثمانية آلاف مقاتل من جيش يستعد للقتال فى فترة قصيرة، وهل يكون ذلك إلّا عن سابق تفكير وإحكام لخطة خائنة؟!.

ويقف الإمام (عليه السلام) باحثاً عن المخرج من هذا المأزق الذى تداعت به معنويات جيشه فى «مسكن» وتزلزلت منه قوى جيشه فى المدائن، خاصة إذا نظر بعين الموازنة بين جيشه وجيش عدوه من حيث العدد.

فكان جيشه يتألف من عشرين ألفاً فقط كما أجمعت عليه المصادر التاريخية [۳۰۲] بينما يتألف جيش عدّوه من ستين ألفاً، وبعد لحاظ الآلاف الثمانية التى التحقت بمعاوية فى «مسكن» بعد خيانة عبيد الله يصبح جيش الحسن (عليه السلام) خمس جيش عدوه، وهذا انهيار كبير حسب الموازين والحسابات العسكرية، هذا فضلاً عمّا تقوله بعض المصادر بخصوص فرار بعض أفراد الجيش فى المدائن ممّن استهوتهم المطامع بالاستيلاء على المغانم وجاؤوا رغبة فيها إذا قدِّر الانتصار لجيش الإمام الحسن (عليه السلام)، فواكبوا مسيرة الجيش، ثم فرّوا بعد أن أحسّوا تفوّق الطرف الآخر عسكرياً فى العدَّة والعدد.

وممّا زاد فى انهيار الموقف حرب الإشاعات الكاذبة التى شنّها معاوية للقضاء على البقية الباقية من معنويات الجيش فى مسكن والمدائن، ونذكر هنا بعض هذه الشائعات ومدى تأثيرها على المعنويات العامة فى جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بكلا شقّيه فى المدائن ومسكن.

وقد عمل معاوية بكلّ ما أمكنه من خبث ومكر من أجل الوقيعة بالجيش الكوفى وتفتيت قواه، وكان اختياره للأكاذيب ينمّ عن خبرة دقيقة فى حبكها وانتقائها، فأرسل من يدسّ فى معسكر المدائن: «... بأنّ قيس ابن سعد وهو قائد مسكن بعد فرار ابن عباس قد صالح معاوية وصار معه...» [۳۰۳].

«ويوجّه إلى عسكر قيس فى مسكن من يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه...» [۳۰۴].

ثم ينشر فى المدائن إشاعةً هى: «.. ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه فنازعوه بساطاً تحته، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً، ودخل المقصورة البيضاء فى المدائن...» [۳۰۵].

وهكذا طوّقت موجة الشائعات المتدفّقة بمكر معاوية وخبثة جناحى الجيش فى المدائن ومسكن، وفَصَمَتْ ما تبقّى فيه من تماسك، وكانت سبباً فى زلزلة فئات كثيرة من غوغاء الناس المتأرجحين بين الطاعة والعصيان ومحبّى الفتن والاضطرابات.

وما الذى ينتظر أن تفعله الشائعات فى جيش كجيش المدائن الذى سبق وأنّه علم بخيانة قائد «مسكن» الذى لم يكن قيس بمنزلته فى نظره، فلِمَ لا يصدق خيانة قائدها الثانى أو خبر قتله؟ وليس جيش مسكن بأقلّ حظّاً من تأثّره بهذه الشائعات، وقد سبق وأنّه أُصيب بخيانة قائده من قبل.

وفى غمرة هذه الأحداث جاء وفد يمثّل أهل الشام مؤلّف من المغيرة ابن شعبة وعبدالله بن كريز وعبد الرحمن بن الحكم وهو يحمل كتب أهل العراق ليُطلع الإمام الحسن (عليه السلام) عليها وما تكنّه ضمائر بعض أصحابه من السوء، وأنّهم تطوّعوا فى صفوف جيشه لإذكاء نار الفتنة عندما يحين موعدها المرتقب، وتُنشر الكتب بين يدى الإمام (عليه السلام) ولم تكن لتزيده يقيناً على ما يعرف من أصحابها من دخيلة السوء وحبّ الفتنة، وكانت خطوطهم وتواقيعهم واضحة لديه وصريحة.

وعُرض الصلح على الإمام بالشروط التى يراها مناسبة، ولكنّ الإمام لم يشأ أن يعطيهم من نفسه ما يرضى به طموح معاوية، وكان دقيقاً فى جوابه، بحيث لم يشعرهم فيه بقبول الصلح أو ما يشير إلى ذلك، بل اندفع يعظهم ويدعوهم إلى الله عزوجل وما فيه نصح لهم وللأُمّة ويذكّرهم بما هم مسؤولون به أمام الله ورسوله فى حقّه.

وحين رأى المغيرة ورفاقه أنّ الدور الأول من الرواية التى حاولها مكر معاوية قد فشلت فى إقناع الإمام (عليه السلام) بالصلح بل بقى موقفه صامداً أمام هذه المؤثرات القوية انتقلوا لتنفيذ حلقة ثانية من سلسلة المحاولات المعدّة من قبل معاوية وإن آتت أُكلها لاحقاً، فلا أقل من أنّها ستترك أثراً سيّئاً يزيد موقف الإمام حراجةً وإن لم يتحقّق منها إقناع الإمام بالصُلح.

وغادر الوفد مقصورة الإمام مستعرضاً مضارب الجيش الذى كان يترقّب نتائج المفاوضات، فرفع أحد أفراد الوفد صوته ليسمعه الناس: «إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكّن الفتنة وأجاب إلى الصلح...» [۳۰۶].

وهكذا مثّلوا دورهم أروع تمثيل، وخلقوا جوّاً لاهباً من المأساة تدهور على أثرها الموقف، وتفجّرت كوامن الفتنة واضطرب تماسك الجيش ولاحت فى الأُفق بوادر المحنة، فأىّ غائلة هذه التى ألهب نارها المغيرة ورفاقه؟.

## محاولات اغتيال الإمام

ولم تقف محنة الإمام (عليه السلام) فى جيشه إلى هذا الحدّ، فقد أقدم المرتشون والخوارج على قتله، وجرت ثلاث محاولات لاغتياله (عليه السلام) وسلم منها، وهى كما يلى:

۱ ـ إنّه (عليه السلام) كان يصلّى فرماه شخص بسهم فلم يؤثّر شيئاً فيه [۳۰۷].

۲ ـ طعنه الجرّاح بن سنان فى فخذه، وقال الشيخ المفيد: «إنّ الحسن أراد أن يمتحن أصحابه ليرى طاعتهم له وليكون على بصيرة من أمره، فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة، فلمّا اجتمع الناس قام خطيباً فقال:

«... أمّا بعد، فإنّى والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة، ولامريداً له بسوء ولا غائلة، وأنّ ما تكرهون فى الجماعة خير لكم ممّا تحبّون فى الفرقة، وأ نّى ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى، ولا تردّوا علىّ رأيى، غفر الله لى ولكم، وأرشدنى وإيّاكم لما فيه المحبّة والرضا».

ونظر الناس بعضهم إلى بعض وهم يقولون ما ترونه يريد؟ واندفع بعضهم يقول: والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر اليه، فقالوا: كفر والله الرجل.

ثم شدّوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلّاه من تحته، ثم شدَّ عليه عبد الرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه عن عاتقه فبقى جالساً متقلّداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته ومنعوا منه من أراده، فقال:

ادعوا إليّ ربيعة وهمدان، فدعوا فأطافوا به ودفعوا الناس عنه (عليه السلام) وسار ومعه شعوب من غيرهم، فلمّا مرّ فى مظالم ساباط بَدَرَ اليه رجل من بنى أسد يقال له «الجراح بن سنان» فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فى فخذه فشقّه حتّى بلغ العظم، ثم اعتنقه الحسن (عليه السلام) وخرّا جميعاً إلى الأرض، فوثب اليه رجل من شيعة الحسن (عليه السلام) يقال له «عبدالله ابن خطل الطائى» فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فأكبّ عليه آخر يقال له «ظبيان بن عمارة» فقطع أنفه فهلك من ذلك، وأُخذ آخر كان معه فقتل وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن...» [۳۰۸] .

۳ ـ طعنه بخنجر فى أثناء الصلاة [۳۰۹] .

### موقف الإمام الحسن

قال الشيخ المفيد: «.. ونظر (الإمام الحسن (عليه السلام)) فى أُمورهم (أى فى أُمور الناس) فازدادت بصيرة الحسن (عليه السلام) بخذلان القوم له وفساد نيّات المحكّمة فيه بما أظهروه له من السبّ والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوايله إلاّ خاصّته من شيعة أبيه وشيعته وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام، فكتب اليه معاوية فى الهدنة والصلح، وأنفذ اليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه اليه، فاشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان فى الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن (عليه السلام) وعلم باحتياله بذلك واغتياله، غير أنّه لم يجد بدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه ممّا وصفناه من ضعف البصائر فى حقّه والفساد عليه والخلف منهم له وما انطوى عليه كثير منهم فى استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه وما كان من خذلان ابن عمّه له ومصيره إلى عدوّه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الآجلة...» [۳۱۰] .

## فى الصلح و أسبابه و نتائجه

### اشاره

تعتبر المرحلة التى صالح فيها الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية بن أبى سفيان من أصعب مراحل حياته (عليه السلام) وأكثرها تعقيداً وحسّاسية وأشدها إيلاماً، بل إنّها كذلك وعلى مدى حياة أهل بيت رسول الله (عليه السلام)، وقد أصبح صلح الإمام (عليه السلام) من أهم الأحداث فى التاريخ الإسلامى بما تستبطنه من موقف بطولى للإمام المعصوم (عليه السلام)، وبما أدّى اليه من تطورات واعتراضات وتفسيرات مختلفة طوال القرون السالفة وحتى عصرنا الحاضر، وألّف الباحثون المسلمون فى توضيح وتحليل الصلح كتباً عديدة، وأصدر الأعداء والأصدقاء أحكامهم بشأنه.

وقد انبرى باحثون معاصرون من الطراز الممتاز مثل المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ راضى آل ياسين والشيخ باقر شريف القرشى للكتابة عن الإمام (عليه السلام) وصلحه الذى قام به من أجل الإسلام.

وسنبدأ بالحديث عمّا ورد عن هذا الصلح تأريخياً، ثم ننقل كلمات الإمام (عليه السلام) فى الأسباب الكامنة وراء قبوله بالصلح، وبعد ذلك نقوم بالتحليل.

### اتمام الحجة

ذكر المؤرّخون: أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) بعد أن رأى خيانات جيشه والمحيطين به ونفاقهم، مع أنّه لم يبق له ثمّة أمل فى ثباتهم وصمودهم فى مواجهة العدو، ومع انكشاف ما تنطوى عليه تلك الضمائر من رغبات، لكنّه (عليه السلام) ولكى يتمّ الحجة

ألقى فيهم الخطاب الآتى:

«ويلكم! والله إنّ معاوية لا يفى لأحد منكم بما ضمنه فى قتلى، وإنّى أظنّ إن وضعتُ يدى فى يده فأسلمه لم يتركنى أدين بدين جَدّى، وإنّى اَقدِرُ أن أعبدَ الله عزوجلّ وحدى، ولكن كأنّى أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويطعمونهم بما جعل الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون، فبُعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون» [۳۱۱] .

ومرّةً اُخرى، وقبل أن يقبل باقتراح معاوية للصلح قام الإمام (عليه السلام) بإتمام الحجّة، من خلال خطاب يتضمّن استطلاعاً لآراء أصحابه، واستخباراً لنيّاتهم، فقد قال (عليه السلام) بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه:

«أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فَشيب السلام بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجَّهون معنا ودينُكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثمّ أصبحتم تصدّون قتيلَين: قتيلاً بصفّين تبكون عليهم، وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأمّا الباكى فخاذل، وأمّا الطالب فثائر» [۳۱۲] .

وبعد ذلك عرض عليهم اقتراح معاوية الصلح، فقال (عليه السلام):

«وإنّ معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نَصَفَةٌ، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه فى ذات الله، وحاكمناه إلى الله؟» [۳۱۳] .

وأضاف الراوى: «فنادى القوم بأجمعهم: بل البقيةُ والحياة» [۳۱۴] .

## القبول بالصلح

لم يبق أمام الإمام الحسن (عليه السلام) سبيلٌ غير القبول بالصلح، وترك أمر الحكم لمعاوية فترةً من الزمن، ويتبيّن من خلال التمعّن فى بنود معاهدة الصلح أنّ الإمام (عليه السلام) لم يقدّم أىّ امتياز لمعاوية، وأنّه (عليه السلام) لم يعترف به رسمياً باعتباره خليفةً وحاكماً للمسلمين، بل إنّما اعتبر الحكم القيادة حقّه الشرعى، مثبتاً بطلان ادعاءات معاوية بهذا الصدد.

## بنود معاهدة الصلح

لم تذكر المصادر التأريخية نصّاً صريحاً لكتاب الصلح، الذى يعتبر الوثيقة التأريخية لنهاية مرحلة من أهم مراحل التأريخ الإسلامى، وبخاصة فى عصوره الاُوَل، ولا نعرف سبباً وجيهاً لهذا الإهمال.

وقد اشتملت المصادر المختلفة على ذكر بعض النصوص مع إهمال البعض الآخر، ويمكن أن تؤلف من مجموعها صورة الشروط التى أخذها الإمام (عليه السلام) على معاوية فى الصلح، وقد نسّقها بعض الباحثين وأوردها على صورة مواد خمس، ونحن نوردها هنا كما جاءت، ونهمل ذكر المصادر التى ذكرها فى الهامش اعتماداً عليه [۳۱۵] .

وهى كما يلى:

۱ ـ تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وبسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) وبسيرة الخلفاء الصالحين.

۲ ـ أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد.

۳ ـ أن يترك سبّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر عليّاً إلّا بخير.

۴ ـ استثناء ما فى بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسن ألفى ألف درهم، وأن يُفضّل بنى هاشم فى العطاء والصِلات على بنى عبد شمس، وأن يفرّق فى أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قتل معه بصفّين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجر.

۵ ـ على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل

معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، ولا يأخذ أهل العراق بإحنة.

وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة عليّ بمكروه، وأنّ أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقّب عليهم شيئاً ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذى حقّ حقّه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم فى أُفق من الآفاق.

وقد اعتبر بعض الباحثين المادة الرابعة من موضوعات الأُمويين أو العباسيين لتشويه صورة أهل البيت (عليهم السلام) وبخاصة الإمام الحسن (عليه السلام)، باعتبار أنّ هذه المادة لا تتناسب وشأن الإمام الحسن (عليه السلام) ومقامه [۳۱۶] . والله أعلم.

هذه إذن هى المواد الخمس التى أوصلها لنا التاريخ كأُسس للصلح بين الحسن ومعاوية، أو على الأقلّ أنّها تمثل طبيعة الشروط التى أملاها الإمام (عليه السلام) على معاوية.

## اسباب الصلح كما تصورها النصوص عن الإمام الحسن

۱ ـ روى الشيخ الصدوق فى «علل الشرايع» بسنده عن أبى سعيد عقيصا الذى سأل الإمام الحسن (عليه السلام) عن السبب الذى دفعه إلى الصلح مع معاوية من أنّه (عليه السلام) يعلم أنّه على الحقّ وأنّ معاوية ضالّ وظالم، فأجابه الإمام (عليه السلام): «يا أبا سعيد، ألستُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبى (عليه السلام)؟ قلتُ: بلى، قال: ألستُ الذى قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) لى ولأخى: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلتُ: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمتُ، وأنا إمام إذا قعدتُ، يا أبا سعيد عِلّةُ مصالحتى لمعاوية علّة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبنى ضُمْرة وبنى أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أُولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يُسَفَّه رأيى فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته مُلتبساً، ألا ترى الخضر (عليه السلام) لمَّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله؟ لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضى. هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولو لا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلّا قُتِل» [۳۱۷] .

ونقل الطبرسى فى «الاحتجاج» [۳۱۸] شبيه هذا السبب عن الإمام الحسن (عليه السلام).

۲ ـ ذكر زيد بن وهب الجهنى أنّه بعد أن جُرح الإمام (عليه السلام) فى المدائن، سألته عن موقفه الذى سيتّخذه فى هذه الظروف، فأجاب (عليه السلام): «أرى والله معاوية خيراً لى من هؤلاء، يزعمون أنّهم لى شيعة، ابتغوا قتلى وانتهبوا ثقلى، وأخذوا مالى، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمى وآمَن به فى أهلى خيرٌ من أن يقتلونى فيضيع أهل بيتى وأهلى، والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سِلْماً، فو الله لإن أُسالمه وأنا عزيز خيرٌ من أن يقتلنى وأنا أسيره أو يَمُنّ علىّ فتكون سُبّةً على بنى هاشم إلى آخر الدّهر، ومعاوية لا يزال يَمُنُّ بها وعقبه على الحىّ منّا والميت...» [۳۱۹] .

۳ ـ وذكر سليم بن قيس الهلالى أنه عندما جاء معاوية إلى الكوفة؛ صعد الإمام الحسن (عليه السلام) المنبر بحضوره، وبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، قال: «أيّها الناس إنّ معاوية زعم أنّى رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسى لها أهلاً، وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس فى كتاب الله وعلى لسان نبىّ الله، فأُقسم بالله لو أنّ الناس بايعونى وأطاعونى ونصرونى لأعطتهم السماء قَطْرَها، والأرضُ بركتها، ولما طمعتَ فيها يا معاوية، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما ولّت أُمّة أمرها رجلاً قطّ وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرُهم يذهب سِفالاً، حتى يرجعوا إلى ملّة عبدةِ العجل...» [۳۲۰] .

۴ ـ وعن سبب الصلح روى العلّامة القندوزى فى «ينابيع المودة» أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) ألقى فى الناس خطاباً جاء فيه: «أيّها

الناس قد علمتم أنّ الله ـ جلّ ذكره وعزّ اسمه ـ هداكم بجدّى وأنقذكم من الضلالة، وخلّصكم من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلّة، وكثّركم به بعد القلّة، وأنّ معاوية نازعنى حقّاً هو لى دونه، فنظرت لصلاح الاُمّة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتمونى على أن تُسالموا من سالمنى وتحاربوا مَن حاربنى، فرأيتُ أن اُسالم معاوية وأضعَ الحرب بينى وبينه، وقد صالحته ورأيتُ أنّ حقن الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم (وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين)» [۳۲۱].

۵ ـ فى رواية نقلها السيد المرتضى ـ رحمة الله عليه ـ أنّ حجر بن عدى اعترض على الإمام (عليه السلام) بعد موافقته على الصلح وقال له: «سوّدت وجوه المؤمنين» فأجابه الإمام (عليه السلام): «ما كلُّ أحد يحبُّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك، وإنّما فعلتُ ما فعلتُ إبقاءً عليكم».

وبعد ذلك أشار إلى أنّ شيعة الإمام (عليه السلام) اعترضوا على الصلح وأعربوا عن تأسّفهم لقرار الإمام (عليه السلام)، ومن بينهم سليمان بن صرد الخزاعى الذى قال للإمام: «ما ينقضى تعجّبنا من بيعتك معاوية، ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلّهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة فى العقد، ولا حظّاً من العطيّة، فلو كنت إذ فعلتَ ما فعلتَ أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتاباً بأنّ الأمر لك بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنّه أعطاك شيئاً بينك وبينه لم يفِ به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد: «إنّى كنتُ شرطتُ شروطاً ووعدتُ عداة إرادة لإطفاء نار الحرب، ومداراةً لقطع الفتنة، فلمّا أن جمع الله لنا الكَلِم والألفة فإنّ ذلك تحت قدمى» والله ما عنى بذلك غيرك، وما أراد إلاّ ما كان بينك وبينه، وقد نقض، فإذا شئت فأعِد، الحرب خدعة، وائذن لى فى تقدّمك الى الكوفة، فاُخرج عنها عاملَه واُظهر خلعه وتنبذ اليه على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين، وتكلّم الباقون بمثل كلام سليمان.

فأجابه الإمام (عليه السلام): «أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، فلو كنتُ بالحزم فى أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّى بأساً، ولا أشدّ شكيمة ولا أمضى عزيمةً، ولكنّى أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلتُ إلاّ حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلّموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا» [۳۲۲].

## تحليلان لأسباب الصلح

التحليل الأوّل:

لقد حاول معاوية أن يظهر نفسه بأنّه رجل مسالم يدعو إلى السلام والصلح، وذلك عبر رسائله إلى الإمام الحسن (عليه السلام) التى يدعوه فيها إلى الصلح مهما كانت شروط الإمام (عليه السلام)، وقد اعتبر الباحثون أنّ الخطاب السلمى لمعاوية كان أخطر حيلة فتّت عضد الإمام (عليه السلام)، الأمر الذى أزّم ظروفه (عليه السلام) ولم يكن للإمام خيار غير القبول بالصلح.

وفى هذا الصدد يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: «... فوجد ـ أى الإمام الحسن (عليه السلام) ـ أنّه لو رفض الصلح وأصرّ على الحرب فلا يخلو:

إمّا أن يكون هو الغالب ومعاوية المغلوب، وهذا وإن كانت تلك الأوضاع والظروف تجعله شبه المستحيل، ولكن فليكن بالفرض هو الواقع، ولكن هل مغبة ذلك إلاّ تظلّم الناس لبنى اُمية؟ وظهورهم بأوجع مظاهر المظلومية؟ فماذا يكون موقف الحسن إذاً لو افترضناه هو الغالب؟

أمّا لو كان هو المغلوب فأول كلمة تقال من كلّ متكلم: إنّ الحسن هو الذى ألقى بنفسه إلى التهلكة، فإنّ معاوية طلب منه الصلح الذى فيه حقن الدماء فأبى وبغى، وعلى الباغى تدور الدوائر، وحينئذ يتمّ لمعاوية وأبى سفيان ما أرادا من الكيد للإسلام وإرجاع الناس إلى جاهليتهم الاُولى وعبادة اللاّت والعزى، ولا يُبقى معاوية من أهل البيت نافخ ضرمة، بل كان نظر الإمام الحسن (عليه

السلام) فى قبول الصلح أدقّ من هذا وذاك، أراد أن يفتك به ويظهر خبيئة حاله، وما ستره فى قرارة نفسه قبل أن يكون غالباً أو مغلوباً، وبدون أن يزجّ الناس فى حرب، ويحملهم على ما يكرهون من إراقة الدماء».

إنّ معاوية المسلم ظاهراً العدّو للإسلام حقيقة وواقعاً، كان يخدع الناس بغشاء رقيق من الدين خوفاً من رغبة الناس إلى الحسن وأبيه من قبل، فأراد الحسن أن يخلّى له الميدان، حتى يُظهِر ما يُبطِن، وهكذا فعل.

وفور إبرام الصلح؛ صعد المنبر فى جمع غفير من المسلمين، وقال: «إنّى ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا...»!!.

اُنظر ما صنع الإمام الحسن بمعاوية فى صلحه، وكيف هدّ جميع مساعيه وهدم كلّ مبانيه حتى ظهر الحقّ وزهق الباطل، وخسر هنالك المبطلون، فكان الصلح فى تلك الظروف هو الواجب المتعيّن على الحسن، كما أنّ الثورة على «يزيد» فى تلك الظروف كان هو الواجب المتعيّن على أخيه الإمام الحسين، كلّ ذلك للتفاوت بين الزمانين، والاختلاف بين الرجلين (أى: معاوية وابنه).

ولو لا ـ صلح الإمام الحسن ـ الذى فضح معاوية وشهادة الإمام الحسين (عليه السلام) التى قضت على يزيد وانقرضت بها الدولة السفيانية بأسرع وقت ـ لذهبت جهود جدّهما بطرفة عين، ولصار الدين دين آل أبى سفيان، دين الغدر والفسق والفجور، دين إبادة الصالحين واستبقاء الفجرة الفاسقين.

ولو قيل: لماذا لم ينتهج الإمام الحسن (عليه السلام) سبيل الشهادة كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنَّ الحسين (عليه السلام) أيضاً كان يعلم أنّه لن يستطيع تحقيق النصر العسكرى على يزيد؟

فالجواب:

١ ـ إنّ معاوية كان يُظهر الإسلام، ويزيد كان يتجاهر بالفسق والفجور، فضلاً عن دهاء الأب وبلادة الابن.

٢ ـ مثّلت خيانة الكوفيين بالنسبة إلى الحسين (عليه السلام) خطوته الموفّقة فى التمهيد لنجاحه المطّرد فى التاريخ، ولكنّها كانت بالنسبة إلى أخيه الحسن (عليه السلام) (يوم مسكن والمدائن) عقبته الكؤود عن تطبيق عملية الجهاد، فإنّ حوادث نقض بيعة الحسين كانت قد سبقت تعبئته للحرب، فجاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال، منخولاً من كلّ شائبة تضيره كجيش إمام له أهدافه المثلى [٣٢٣].

التحليل الثانى:

إن معاوية كان قد نشط فى عهد الخليفتين الثانى والثالث بإمارته على الشام عشرين سنة، تمكّن بها فى أجهزة الدولة، وصانع الناس فيها وأطمعهم به فكانت الخاصة فى الشام كلّها من أعوانه، وعظم خطره فى الإسلام، وعرف فى سائر الأقطار بكونه من قريش اُسرة النبى (صلى الله عليه وآله) وأنّه من أصحابه، حتى كان فى هذه أشهر من كثير من السابقين الأولين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، كأبى ذرّ وعمّار والمقداد وأضرابهم.

هكذا نشأت «الاُموية» مرّةً اُخرى، تغالب الهاشمية باسم الهاشمية فى علنها، وتكيد لها كيدها فى سرّها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامة بدهائها، وتشترى الخاصة بما تغدقه عليهم من أموال الاُمّة، وبما تؤثرهم به من الوظائف التى ما جعلها الله للخونة من أمثالهم، تستغل مظاهر الفتح وإحراز الرضا من الخلفاء، حتى إذا استتبّ أمر «الاُموية» بدهاء معاوية؛ انسلّت إلى أحكام الدين انسلال الشياطين، تدسّ فيها دسّها، وتفسد إفسادها، راجعة بالحياة إلى جاهلية تبعث الاستهتار والزندقة وفق نهج جاهلى وخطة نفعية ترجوها «الاُموية» لاستيفاء منافعها، وتسخّرها لحفظ امتيازاتها [٣٢۴].

والناس عامة لا يفطنون لشىء من هذا، فإنّ القاعدة المعمول بها فى الإسلام ـ أعنى قولهم: الإسلام يجبّ ما قبله ـ ألقت على فظائع «الاُموية» ستراً حجبها، ولا سيما بعد أن عفا عنها رسول الله وتألّفها، وبعد أن قرّبها الخلفاء منهم، واصطفوها بالولايات على المسلمين، وأعطوها من الصلاحيات ما لم يعطوا غيرها من ولاتهم، فسارت فى الشام سيرتها عشرين عاماً لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا ينهون.

وقد كان الخليفة الثانى عظيم المراقبة لبعض عمّاله دقيق المحاسبة لهم دون بعض، لا يأخذه فى ذلك مانع من الموانع أصلاً، تَعْتَعَ

بخالد بن الوليد عامله على «قنسرين» إذ بلغه أنّه أعطى الأشعث عشرة آلاف، فأمر به فعقله «بلال الحبشى» بعمامته، وأوقفه بين يديه على رِجل واحدة مكشوف الرأس على رؤوس الأشهاد من رجال الدولة ووجوه الشعب فى المسجد الجامع بحمص، يسأله عن العشرة آلاف أهى من ماله أم من مال الاُ مّة؟ فإن كانت من ماله فهو الإسراف والله لا يحبّ المسرفين، وإن كانت من مال الاُ مّة فهى الخيانة والله لا يحب الخائنين، ثم عزله فلم يولّه بعد حتى مات.

وكم لعمر مع بعض عمّاله من أمثال ما فعله بخالد وأبى هريرة يعرفها المتتبعون! لكنّ معاوية كان أثيره وخلّصه، على ما كان من التناقض فى سيرتيهما، ما كفّ يده عن شىء ولا ناقشه الحساب فى شىء، وربّما قال له: «لا آمرك ولا أنهاك»، يفوّض له العمل برأيه، فشدّة مراقبة الخليفة الثانى ودقّة محاسبته كانت من نصيب بعض عمّاله، ولم تشمل الجميع على حدّ سواء، إذ أنّ معاوية ـ وهو عامله على الشام ـ كان طليق اليدين يفعل ما تشاء أهواؤه وما تبغيه شهواته.

وهذا ما أطغى معاوية، وأرهف عزمه على تنفيذ خططه «الاُموية» وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره إزاء خطر فظيع، يهدّد الإسلام باسم الإسلام، ويطغى على نور الحقّ باسم الحقّ، فكانا فى دفع هذا الخطر أمام أمرين لا ثالث لهما: إمّا المقاومة وإمّا المسالمة، وقد رأيا أنّ المقاومة فى دور الحسن تؤدى لا محالة إلى فناء هذا الصفّ المدافع عن الدين وأهله، والهادى إلى الله عزّوجل وإلى صراطه المستقيم.

ومن هنا رأى الحسن (عليه السلام) أن يترك معاوية لطغيانه، ويمتحنه بما يصبو اليه من الملك، لكن أخذ عليه فى عقد الصلح أن لا يعدو الكتاب والسنّة فى شىء من سيرته وسيرة أعوانه، وأن لا يطلب أحداً من الشيعة بذنب أذنبه مع الاُموية، وأن يكون لهم من الكرامة وسائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، وأن، وأن، وأن، إلى غير ذلك من الشروط التى كان الإمام الحسن عالماً بأنّ معاوية لا يفى له بشىء منها وأنّه سيقوم بنقائضها.

هذا ما أعدَّه (عليه السلام) لرفع الغطاء عن الوجه «الاُموى» المموّه، ولصهر الطلاء عن مظاهر معاوية الزائغة، ليبرز حينئذ هو وسائر أبطال «الاُموية» كما هم جاهليّون لم تخفق صدورهم بروح الإسلام لحظة، ثأريّون لم تنسهم مواهب الإسلام ومراحمه شيئاً من أحقاد بدر واُحد والأحزاب.

وبالجملة: فإنّ هذه الخطّة ثورة عاصفة فى سلم لم يكن منه بدّ، أملاه ظرف الإمام الحسن (عليه السلام)، إذ التبس الحقّ بالباطل، وتسنّى للطغيان فيه سيطرة مسلّحة ضارية، ما كان الحسن (عليه السلام) ببادئ هذه الخطة ولا بخاتمها، بل أخذها فيما أخذه من إرثه، وتركها مع ما تركه من ميراثه، فهو كغيره من أئمة هذا البيت (عليهم السلام) يسترشد الرسالة فى إقدامه وإحجامه، امتحن بهذه الخطّة فرضخ لها صابراً محتسباً وخرج منها ظافراً طاهراً.

تهيّأ للحسن (عليه السلام) بهذا الصلح أن يفرش فى طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنّى له أن يلغم نصر الاُموية ببارود الاُموية نفسها، فيجعل نصرها جفاءً وريحَها هباءً.

لم يطل الوقت حتى انفجرت اُولى القنابل المغروسة فى شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره، إذ انضمّ جيش العراق إلى لوائه فى النخيلة، فقال ـ وقد قام خطيباً فيهم ـ: «يا أهل العراق! إنّى والله لم اُقاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتزكّوا، ولا لتحجّوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وأنّ كلّ شىء أعطيته للحسن ابن على جعلته تحت قدمىّ هاتين» [۳۲۵].

ثمّ تتابعت سياسة معاوية، تتفجر بكلّ ما يخالف الكتاب والسنّة من كلّ منكر فى الإسلام، قتلاً للأبرار وهتكاً للأعراض وسلباً للأموال وسجناً للأحرار، ختم معاوية منكراته هذه بحمل خليعه المهتوك على رقاب المسلمين، يعيث فى دينهم ودنياهم، فكان من خليعه ما كان يوم الطفّ، ويوم الحرّة، ويوم مكة إذ نصب عليهم العرّادات والمجانيق.

ومهما يكن من أمر فالمهمّ أنّ الحوادث جاءت تفسّر خطّة الإمام الحسن وتجلوها، وكان أهمّ ما يرمى اليه سلام الله عليه أن يرفع اللثام

عن هؤلاء الطغاة، ليحول بينهم وبين ما يبيّتون لرسالة جدّه من الكيد، وقد تمّ له كلّ ما أراد، حتى برح الخفاء وآذن أمر الأُموية بالجلاء، والحمد لله رب العالمين.

وبهذا استتبّ لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته التى أوضح الله بها الكتاب، وجعله فيها عبرة لأُولى الألباب.

وقد كانا (عليهما السلام) وجهين لرسالة واحدة، كلّ وجه منهما فى موضعه منها، وفى زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر فى النهوض بأعبائها ويوازنه بالتضحية فى سبيلها، فالحسن (عليه السلام) لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين (عليه السلام) أسخى منه بها فى سبيل الله، وإنّما صان نفسه يجنّدها فى جهاد صامت، فلمّا حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنيّة قبل أن تكون حسينيّة. وكان يوم ساباط أعرق بمعانى التضحية من يوم الطفّ لدى أُولى الألباب ممّن تعمّق، لأنّ الإمام الحسن (عليه السلام) أُعطى من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره فى صورة مستكين قاعد، وكانت شهادة الطفّ حسنيّة أولاً وحسينيّة ثانياً؛ لأنّ الحسن أنضج نتائجها ومهّد أسبابها.

وقد وقف الناس ـ بعد حادثتى ساباط والطفّ ـ يمعنون فى الأحداث؛ فيرون فى هؤلاء الأُمويين عصبة جاهلية منكرة، بحيث لو مثلت العصبيات الجلفة النذلة الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم فى الخطر على الإسلام وأهله... [۳۲۶] .

## زبدة المخض

إذن تتلخّص أسباب الصلح فيما يلى:

۱ ـ ضعف أنصار الإمام وتخاذلهم وعدم انصياعهم لأوامره بعد تأثير دسائس معاوية فيهم، وبهذا سوف لا تجدى المقاومة بل سوف تتحتّم الانتكاسة للخط الرسالى أمام مكر معاوية، وعلى الإمام أن يحافظ على بقاء هذا الخط وتناميه فى مجتمع يسوده مكر معاوية وخدائعه.

۲ ـ ويترتّب على انتكاسة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) استشهاده مع الخلَّص من أهل بيته وأصحابه أو أسرهم وبقاؤهم أحياءً فى سجن معاوية أو إطلاق سراحهم مع بقائهم فى موقع الضعف بعد الامتنان عليهم بالحرّية، وكل هذه النتائج غير محمودة.

فإنّ الاستشهاد إذا لم يترتّب عليه أثر مشروع عاجل أو آجل فلا مبرّر له، ولا سيما إذا اقترن بتصفية الخط الإمامى وإبادته الشاملة.

۳ ـ صيانة الثلّة المؤمنة بحقّانية أهل البيت (عليهم السلام) وحفظهم من التصفية والإبادة الأُموية الشاملة بعد إحراز بقاء الحقد الأُموى لبنى هاشم ومن يحذو حذوهم، كما أثبتته حوادث التاريخ الإسلامى الدامى.

۴ ـ حقن دماء المسلمين حيث لا تجدى الحرب مع الفئة الباغية.

۵ ـ كشف واقع المخطّط الأُموى الجاهلى وتحصين الأُمّة الإسلامية ضدّه بعد أن مهّدت الخلافة لسيطرة صبيان بنى أُمية على زمام قيادة الأُمّة المسلمة والتلاعب بمصير الكيان الإسلامى ومصادرة الثورة النبويّة المباركة.

۶ ـ ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لمقارعة الكفر والنفاق المستتر من موقع القوّة.

لقد خفيت الأسباب الحقيقية التى كانت تكمن وراء الموقف الإلهى الذى اتّخذه الإمام المعصوم على كثير من الناس المعاصرين للحدث وعلى بعض اللاحقين من أصحاب الرؤى السطحية أو المُضَلَّلين الذين وقعوا تحت تأثير التزييف للحقائق، لكن الأحداث التى أعقبت الصلح والسياسات العدوانية التى انتهجها معاوية وبقية الحكام الأُمويين والتى ألحقت أضراراً جسيمة بالإسلام والمسلمين كشفت عن بعض أسرار موقف الإمام الحسن (عليه السلام).

## ما بعد الصلح حتى الشهادة

### الاجتماع فى الكوفة

بعد توقيع الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية اتّفقا على مكان يلتقيان به، ليكون هذا اللقاء تطبيقاً عملياً للصلح، وليعترف كلّ منهماعلى سمع من الناس بما أعطى صاحبه من نفسه وبما يلتزم له من الوفاء بعهوده، فاختارا الكوفة فقصدا اليها، وقصدت معهما سيول من الناس غصّت بهم العاصمة الكبرى، وكان أكثر الحاضرين جند الفريقين، تركوا معسكريهما وحفّوا لليوم التاريخى الذى كتب على طالع الكوفة النحس أن تشهده راغمة أو راغبة.

ونودى فى الناس إلى المسجد الجامع، ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقِّعَيْنِ على معاهدة الصلح، وكان لا بدّ لمعاوية أن يستبق إلى المنبر، فسبق اليه وجلس عليه [۳۲۷] ، وخطب فى الناس خطبته الطويلة التى لم ترو المصادر منها إلّا فقراتها البارزة فقط.

منها: «أمّا بعد، ذلكم فإنّه لم تختلف اُ مّـة بعد نبيّها إلّا غلب باطلها حقّها!!». قال الراوى: وانتبه معاوية لما وقع فيه، فقال: إلّا ما كان من هذه الاُ مّة، فإنّ حقّها غلب باطلها [۳۲۸] .

ومنها: «يا أهل الكوفة! أترونى قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنّى قاتلتكم لأتأمّر عليكم وألى رقابكم، وقد آتانى الله ذلك وأنتم كارهون! ألا إنّ كلّ دم اُصيب فى هذه الفتنة مطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدمىّ هاتين!!...» [۳۲۹] .

وروى أبو الفرج الأصفهانى عن حبيب ابن أبى ثابت مسنداً: أنه ذكر فى هذه الخطبة عليّاً فنال منه، ثمّ نال من الحسن [۳۳۰] .

ثمّ قام الإمام الحسن (عليه السلام) فخطب فى هذا الموقف الدقيق خطبته البليغة الطويلة التى جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس وبين أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووعظ ونصح ودعا المسلمين ـ فى أوّلها ـ إلى المحبّة والرضا والاجتماع، وذكّرهم ـ فى أواسطها ـ مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم ردّ على معاوية ـ فى آخرها ـ دون أن يناله بسبٍّ أو شتم، ولكنّه كان بأُسلوبه البليغ أوجع شاتم وسابٍّ.

وكان ممّا قاله (عليه السلام) [۳۳۱] : «أيّها الذاكر عليّاً! أنا الحسن وأبى علىّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمى فاطمة وأُمك هند، وجدّى رسول الله وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتى خديجة، وجدّتك فُتَيْلَة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً».

## المعارضون للصلح

### قيس بن سعد بن عبادة

اشتهر قيس بموالاة أهل البيت (عليهم السلام) وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد عيّنه والياً على مصر فى أوائل خلافته وعندما سمع قيس بن سعد نبأ التوقيع على الصلح بين الإمام (عليه السلام) ومعاوية غشيته سحب من الأحزان، واستولت عليه موجة من الهموم، لكنّه عاد إلى الكوفة فى نهاية المطاف.

وكان معاوية بعد أن خدع عبيد الله بن العباس؛ قد بعث رسالة إلى قيس يمنّيه ويتوعّده، فأجابه قيس: «لا والله لا تلقانى إلّا بينى وبينك السيف أو الرمح...» [۳۳۲] ، فغضب معاوية لهذا الجواب القاطع فأرسل اليه رسالة يشتمه فيها ويتوعّده وجاء فيها: «أمّا بعد، فإنّك يهودى تشقى نفسك، وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين اليك نبذك وغدرك، وإن ظهر أبغضهم اليك نكّل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الجذ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران غريباً، والسلام» [۳۳۳] .

فأجابه قيس: «أمّا بعد، فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت فى الإسلام كرهاً، وأقمت فيه خرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، لم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدوّاً لله ولنبيّه وللمؤمنين من

عباده، وذكرت أبى فلعمرى ما أوتر إلّا قوسه، ولا رمى إلّا غرضه، فشغب عليه من لا تشقّ غباره، ولا تبلغ كعبه، وزعمت أنّى يهودىّ ابن يهودى وقد علمت وعلم الناس أنّى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ـ يعنى الشرك ـ وأنصار الدين الذى دخلت فيه وصرت اليه، والسلام» [۳۳۴].

ولمّا علم معاوية بعودة قيس إلى الكوفة دعاه الى الحضور لمبايعته، لكن قيس رفض لأنّه كان قد عاهد الله أن لا يجتمع معه إلّا وبينهما السيف أو الرمح، فأمر معاوية بإحضار سيف ورمح ليجعل بينهما حتى يبرّ قيس بيمينه ولا يحنث، ووقتذاك حضر قيس الاجتماع وبايع معاوية [۳۳۵].

## حجر بن عدى

وهو من كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن أبدال عصره، وحسب ابن الأثير الجزرى فى «أُسد الغابة» وغيره، أنّه وصل مقاماً فى القرب إلى الله تعالى بحيث أصبح مستجاب الدعوة، وقد قتل شهيداً فى «مرج عذراء» وهى إحدى قرى الشام، بأمر معاوية وبواسطة أزلامه، وقد اندلعت إثر شهادته موجة من الاحتجاجات على سياسات معاوية وحتى ندّدت عائشة وآخرون بالجريمة [۳۳۶].

وبالرغم من الحبّ والولاء اللذين يكنهما «حجر» للإمام الحسن وأبيه (عليهما السلام)، إلّا أنّ الانفعالات دفعت به إلى ظلمات اليأس والقنوط فى اللحظات التى تمّ فيها قرار الصلح، من هنا خاطب الإمام (عليه السلام) وفى حضور معاوية بقوله: «أما والله لوددت أنّك متّ فى ذلك اليوم ومتنا معك، ولم نر هذا اليوم، فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا».

وحسب المدائنى أنّ كلام «حجر» ترك فى نفس الإمام بالغ الأسى والحزن، فانبرى (عليه السلام) وبعد أن فرغ المسجد مبيّناً له العلّة التى صالح من أجلها قائلاً: «يا حجر! قد سمعت كلامك فى مجلس معاوية، وليس كلّ إنسان يحبّ ما تحبّ ولا رأيه كرأيك، وإنّى لم أفعل ما فعلتُ إلّا إبقاءً عليكم، والله تعالى كلّ يوم هو فى شأن» [۳۳۷].

## عدى بن حاتم

وعدى من الشجعان والمخلصين لأهل البيت (عليهم السلام)، وقد نقل أ نّه قال للإمام وقد ذابت حشاه من الحزن والمصاب: «يابن رسول الله! لوددت أنّى متّ قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحقّ الذى كنّا عليه، ودخلنا فى الباطل الذى كنّا نهرب منه، وأعطينا الدنيّة من أنفسنا، وقبلنا الخسيس التى لم تلق بنا»، فأجابه الإمام (عليه السلام): «يا عدى! إنّى رأيت هوى معظم الناس فى الصلح وكرهوا الحرب، فلم أُحبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيتُ دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو فى شأن» [۳۳۸].

## المسيب بن نجبة و سليمان بن صرد

وعرفا بالولاء والإخلاص لأهل البيت (عليهم السلام)، وقد تألّما من الصلح فأقبلا إلى الإمام وهما محزونا النفس فقالا: ما ينقضى تعجّبنا منك! بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز»، فقال الإمام للمسيّب: «ما ترى؟» قال: والله أرى أن ترجع لأنّه نقض العهد، فأجابه الإمام: «إنّ الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت...» [۳۳۹].

وجاء فى رواية أُخرى أنّ الإمام (عليه السلام) أجابه: «يا مسيّب! إنّى لو أردت ـ بما فعلت ـ الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب منّى، ولكن أردت صلاحكم وكفّ بعضكم عن بعض» [۳۴۰].

### الى يثرب

بقى الإمام الحسن (عليه السلام) فى الكوفة أياماً، ثمّ عزم على مغادرة العراق، والشخوص إلى مدينة جدّه، وقد أظهر عزمه ونيّته إلى أصحابه، ولمّا أُذيع ذلك دخل عليه المسيّب بن نجبة الفزارى وظبيان بن عمارة التميمى ليودّعاه، فالتفت لهما قائلاً: «الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا.. إنّه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلاّ أن تضاموا وتنتقصوا، فأمّا نحن فإنّهم سيطلبون مودّتنا بكلّ ما قدروا عليه».

وطلب منه المسيّب وظبيان المكث فى الكوفة فامتنع (عليه السلام) من إجابتهم قائلاً: «ليس إلى ذلك من سبيل» [۳۴۱] .

ولدى توجّهه (عليه السلام) وأهل بيته إلى عاصمة جدّه (صلى الله عليه وآله)؛ خرج أهل الكوفة بجميع طبقاتهم إلى توديعه وهم ما بين باك وآسف [۳۴۲] .

وسار موكب الإمام ولكنّه لم يبعد كثيراً عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يردّه إلى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج قد خرجت عليه، فأبى (عليه السلام) أن يعود وكتب إلى معاوية: «ولو آثرت أن أُقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإنّى تركتك لصلاح الاُ مّة وحقن دمائها» [۳۴۳] .

وانتهت قافلة الإمام إلى يثرب، فلمّا علم أهلها بتشريفه (عليه السلام) خفّوا جميعاً لاستقباله، فقد أقبل اليهم الخير وحلّت فى ديارهم السعادة والرحمة، وعاودهم الخير الذى انقطع عنهم منذ أن نزح أمير المؤمنين (عليه السلام) عنهم.

جاء الحسن (عليه السلام) مع إخوته وأهل بيته إلى يثرب، فاستقام فيها عشر سنين، فملأ رباعها بعطفه المستفيض ورقيق حنانه وحلمه، ونقدّم عرضاً موجزاً لبعض أعماله وشؤونه فيها.

### مرجعية الإمام الحسن العلمية والدينية

#### اشاره

وتمثّلت فى تربيته لكوكبة من طلاّب المعرفة، وتصدّيه للانحرافات الدينية التى كانت تؤدى إلى مسخ الشريعة، كما تصدّى لمؤامرة مسخ السنّة النبويّة الشريفة التى كان يخطّط لها معاوية بن أبى سفيان من خلال تنشيط وضع الأحاديث والمنع من تدوين الحديث النبوىّ.

#### مدرسة الإمام و نشاطه العلمى

أنشأ الإمام مدرسته الكبرى فى يثرب، وراح يعمل مجدّاً فى نشر الثقافة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء وعظماء المحدّثين والرواة، ووجد بهم خير عون لأداء رسالته الإصلاحية الخالدة التى بلورت عقلية المجتمع. وأيقظته بعد الغفلة والجمود، وقد ذكر المؤرّخون بعض أعلام تلامذته ورواة حديثه وهم:

ابنه الحسن المثنى، والمسيّب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلا بن عبد الرحمن، والشعبى، ومبيرة بن بركم، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن خلد، وأبو الجوزا، وعيسى بن مأمون بن زرارة، ونفالة بن المأموم، وأبو يحيى عمير ابن سعيد النخعى، وأبو مريم قيس الثقفى، وطحرب العجلى، واسحاق بن يسار والد محمد بن اسحاق، وعبد الرحمن بن عوف، وسفين بن الليل، وعمرو بن قيس الكوفيون [۳۴۴] ، وقد ازدهرت يثرب بهذه الكوكبة من العلماء والرواة فكانت من أخصب البلاد الاسلامية علماً وأدباً وثقافة.

وكما كان يتولّى نشر العلم فى يثرب كان يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والتأدّب بسنّة النبى (صلى الله عليه وآله)،

وقد رفع (عليه السلام) منار الأخلاق التى جاء بها جدّه الرسول لإصلاح المجتمع وتهذيبهم، فمن سموّ أخلاقه أنّه كان يصنع المعروف والإحسان حتى مع أعدائه ومناوئيه، وقد بلغه أنّ الوليد بن عقبة قد ألمّ به السقم فمضى لعيادته مع ما عُرف به الوليد من البغض والعداء لآل البيت، فلمّا استقرّ المجلس بالإمام انبرى اليه الوليد قائلاً: «إنّى أتوب إلى الله تعالى ممّا كان بينى وبين جميع الناس إلّا ما كان بينى وبين أبيك فإنّى لا أتوب منه» [۳۴۵] .

وأعرض الإمام عنه ولم يقابله بالمثل، ولعلّه أوصله ببعض ألطافه وهداياه [۳۴۶] .

## مرجعيته الاجتماعية

### اشاره

والتى تمثّلت فى عطفه على الفقراء وإحسانه وبذله المعروف، وتجلّت فى استجارة المستجيرين به للتخلّص من ظلم الأُمويين وأذاهم.

### عطفه على الفقراء

وأخذ (عليه السلام) يفيض الخير والبرّ على الفقراء والبائسين، ينفق جميع ما عنده عليهم، وقد ملأ قلوبهم سروراً بإحسانه ومعروفه، ومن كرمه أنّه جاءه رجل فى حاجة فقال له: «اُكتب حاجتك فى رقعة وادفعها الينا»، فكتبها ذلك الشخص ورفعها اليه، فأمر (عليه السلام) بضعفها له، قال بعض الحاضرين: ما كان أعظم بركة هذه الرقعة عليه يابن رسول الله؟!، فأجابه (عليه السلام): «بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا من أعطيته بعد مسألة فإنّما أعطيته بما بذل لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته، أبكآبة أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد، وقلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذلك من وجهه فإنّ ذلك أعظم ممّا نال من معروفك».

لقد كان موئلاً للفقراء والمحرومين، وملجأً للأرامل والأيتام، وقد تقدّمت بعض بوادر جوده ومعروفه التى كان بها مضرب المثل للكرم والسخاء.

### الاستجارة به

كان (عليه السلام) فى عاصمة جدّه (صلى الله عليه وآله) كهفاً منيعاً لمن يلجأ اليه، وملاذاً حصيناً لمن يلوذ به، قد كرّس أوقاته فى قضاء حوائج الناس، ودفع الضيم والظلم عنهم، وقد استجار به سعيد بن أبى سرح من زياد فأجاره، فقد ذكر الرواة أنّه كان معروفاً بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) فطلبه زياد من أجل ذلك فهرب إلى يثرب مستجيراً بالإمام، ولمّا علم زياد ذلك عمد إلى أخيه وولده وزوجه فحبسهم، ونقض داره، وصادر أمواله، وحينما علم الإمام الحسن ذلك شقّ عليه الأمر، فكتب رسالة إلى زياد يأمره فيها بأن يعطيه الأمان، ويخلّى سبيل عياله وأطفاله، ويشيّد داره، ويردّ عليه أمواله [۳۴۷] .

## مرجعيته السياسية

لقد صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية من موقع القوّة، كما نصّت المعاهدة على أن يكون الأمر من بعده للحسن ولا يبغى له الغوائل والمكائد.

إذن من الطبيعى أن يكون الإمام محور المعارضة والشوكة التى تنغّص على بنى اُمية ومعاوية ملكهم وتكدّر صفوهم، ونجد فى أدعية الإمام ولقاءاته بالحاكمين وبطانتهم ورسائله وخطبه نشاطاً سياسياً واضحاً تمثّل فى:

أ ـ مراقبته للأحداث ومتابعتها ومراقبة سلوك الحاكمين وعمّالهم، وأمرهم بالمعروف وردعهم عن المنكر، كما لاحظنا فى مراسلته لزياد لرفع الضغط عن سعيد بن أبى سرح، ولومه لحبيب بن مسلمة وهو فى الطواف على إطاعته لمعاوية [۳۴۸] .

ب ـ النشاط السياسى المنظَّم والذى كان يتمثّل فى استقباله لوفود المعارضة، وتوجيههم ودعوتهم إلى الصبر، وأخذ الحزم وانتظار أوامر الإمام التى ستصدر فى الفرصة المناسبة، كما تمثّل فى تأكيده المستمرّ على الدور القيادى لأهل البيت (عليهم السلام) واستحقاقه للخلافة والإمامة.

ويرى الدكتور طه حسين أنّ الإمام قد شكّل حزباً سياسياً حين مكثه فى المدينة، وتولّى هو رئاسته وتوجيهه الوجهة المناسبة لتلك الظروف.

ج ـ عدم تعاطفه مع أركان النظام الحاكم بالرغم من محاولاتهم لكسب عطف الإمام أو تغطية نشاطاته أو إدانتها، وقد تمثّل هذا الجانب فى رفضه لمصاهرة الاُمويين وفضحه لخططهم وكشفه لواقعهم المنحرف وعدم استحقاق معاوية للخلافة، وتجلّى بوضوح فى مناظراته مع معاوية وبطانته فى المدينة ودمشق على حدّ سواء، ونكتفى بالإشارة إلى بعض مواقفه.

## رفض الامام مصاهرة الامويين

ورام معاوية أن يصاهر بنى هاشم ليحوز بذلك الشرف والمجد، فكتب إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم أن يخطب لیزید زينب بنت عبدالله ابن جعفر على حكم أبيها فى الصداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيّين بنى هاشم وبنى اُمية، فبعث مروان خلف عبدالله، فلمّا حضر عنده فاوضه فى أمر كريمته، فأجابه عبدالله: إنّ أمر نسائنا بيد الحسن بن على فاخطب منه، فأقبل مروان إلى الإمام فخطب منه ابنة عبدالله، فقال (عليه السلام): «اجمع مَن أردت» فانطلق مروان فجمع الهاشميّين والاُمويّين فى صعيد واحد وقام فيهم خطيباً، وبيّن أمر معاوية له.

فردّ الإمام (عليه السلام) عليه، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: «أمّا ما ذكرت من حكم أبيها فى الصداق فإنّا لم نكن لنرغب عن سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أهله وبناته [۳۴۹] ، وأمّا قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهن؟ وأمّا صلح الحيّين فإنّا عاديناكم لله وفى الله فلا نصالحكم للدنيا...».

وفى ختام كلمته قال الإمام (عليه السلام): «وقد رأينا أن نزّوجها (يعنى زينب) من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر، وقد زوّجتها منه، وجعلت مهرها ضيعتى التى لى بالمدينة، وقد أعطانى معاوية بها عشرة آلاف دينار».

ورفع مروان رسالة إلى معاوية أخبره بما حصل، فلمّا وصلت اليه قال: «خطبنا اليهم فلم يفعلوا، ولو خطبوا إلينا لما رددناهم» [۳۵۰] .

## من مواقف الإمام الحسن مع معاوية و بطانته

### مع معاوية فى المدينة

روى الخوارزمى أنّ معاوية سافر إلى يثرب فرأى تكريم الناس وحفاوتهم بالإمام وإكبارهم له ممّا ساءه ذلك، فاستدعى أبا الأسود الدؤلى والضحّاك بن قيس الفهرى، فاستشارهم فى أمر الحسن وأنّه بماذا يوصمه ليتّخذ من ذلك وسيلة للحطّ من شأنه والتقليل من أهميّته أمام الجماهير، فأشار عليه أبو الأسود بالترك قائلاً:

«رأى أمير المؤمنين أفضل، وأرى ألاّ يفعل فإنّ أمير المؤمنين لن يقول فيه قولاً إلاّ أنزله سامعوه منه به حسداً، ورفعوا به صعداً،

والحسن يا أمير المؤمنين معتدل شبابه، أحضر ما هو كائن جوابه، فأخاف أن يرد عليك كلامك بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنوبك [۳۵۱] ، ويبدى به عيوبك، فإنّ كلامك فيه صار له فضلاً، وعليك كلاً، إلاّ أن تكون تعرف له عيباً فى أدب، أو وقيعة فى حسب، وإنّه لهو المهذّب، قد أصبح من صريح العرب فى عزّ لُبابها، وكريم محتدها، وطيب عنصرها، فلا تفعل يا أمير المؤمنين».

وقد أشار عليه أبو الأسود بالصواب، ومنحه النصيحة، فأىّ نقص أو عيب فى الإمام حتى يوصمه به، وهو المطهّر من كلّ رجس ونقص كما نطق بذلك الذكر الحكيم؟ ولكنّ الضحّاك بن قيس قد أشار على معاوية بعكس ذلك فحبّذ له أن ينال من الإمام ويتطاول عليه قائلاً:

«امضِ يا أمير المؤمنين فيه برأيك ولا تنصرف عنه بدائك، فإنّك لو رميته بقوارص كلامك ومحكم جوابك لذلّ لك كما يذلّ البعير الشارف [۳۵۲] من الإبل».

واستجاب معاوية لرأى الضحّاك، فلمّا كان يوم الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه، ثم ذكر أمير المؤمنين وسيّد المسلمين على بن أبى طالب (عليه السلام) فانتقصه، ثم قال:

«أيّها الناس! إنّ صبية من قريش ذوى سفه وطيش وتكدّر من عيش أتعبتهم المقادير، فاتّخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد، وألسنتهم مبارد، فأباض وفرخ فى صدورهم، ودرج فى نحورهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، وأعمى عليهم السُبل، وأرشدهم إلى البغى والعدوان والزور والبهتان، فهم له شركاء وهو لهم قرين (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً)وكفى لهم مؤدّباً، والمستعان الله».

فوثب اليه الإمام الحسن مندفعاً كالسيل رادّاً عليه افتراءه وأباطيله قائلاً:

«أيّها الناس! من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على بن أبى طالب، أنا ابن نبيّ الله، أنا ابن من جعلت له الأرضُ مسجداً وطهوراً، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، وإمام المتّقين، ورسول ربّ العالمين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس، أنا ابن من بعث رحمةً للعالمين».

وشقّ على معاوية كلام الإمام فبادر إلى قطعه قائلاً: «يا حسن! عليك بصفة الرطب»، فقال (عليه السلام): «الريح تلقحه والحرّ ينضجه، والليل يبرده ويطيبه، على رغم أنفك يا معاوية» ثم استرسل (عليه السلام) فى تعريف نفسه قائلاً:

«أنا ابن مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت الملائكة معه ولم تقاتل مع نبيّ قبله، أنا ابن من نصر على الأحزاب، أنا ابن من ذلّت له قريش رَغماً».

وغضب معاوية واندفع يصيح: «أما أنّك تحدّث نفسك بالخلافة».

فأجابه الإمام (عليه السلام) عمّن هو أهل للخلافة قائلاً: «أمّا الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنَّة نبيّه، وليست الخلافة لمن خالف كتاب الله وعطّل السنّة، إنّما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتّع به، وكأنّه انقطع عنه وبقيت تبعاته عليه».

وراوغ معاوية، وانحط كبرياؤه فقال: «ما فى قريش رجل إلاّ ولنا عنده نِعَم جزيلة ويد جميلة».

فردّ (عليه السلام) قائلاً: «بلى، من تعزّزت به بعد الذلّة، وتكثّرت به بعد القلّة».

فقال معاوية: «من أُولئك يا حسن؟»، فأجابه الإمام (عليه السلام): «من يلهيك عن معرفتهم».

ثم استمر (عليه السلام) فى تعريف نفسه إلى المجتمع فقال:

«أنا ابن من ساد قريشاً شاباً وكهلاً، أنا ابن من ساد الورى كرماً ونبلاً، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجود الصادق، والفرع الباسق، والفضل السابق، أنا ابن من رضاه رضى الله، وسخطه سخطه، فهل لك أن تسامیه يا معاوية؟»، فقال معاوية: أقول لا تصديقاً لقولك، فقال الحسن: «الحق أبلج، والباطل لجلج، ولم يندم من ركب الحقّ، وقد خاب من ركب الباطل (والحقّ يعرفه ذوو الألباب)» فقال معاوية على عادته من المراوغة: لا مرحباً بمن ساءك [۳۵۳] .

## فى دمشق

اتفق جمهور المؤرّخين على أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد وفد على معاوية فى دمشق، واختلفوا فى أنّ وفادته كانت مرةً واحدةً أو أكثر، وإطالة الكلام فى تحقيق هذه الجهة لا تغنينا شيئاً، وإنّما المهم البحث عن سرّ سفره، فالذى نذهب اليه أنّ المقصود منه ليس إلاّ نشر مبدأ أهل البيت (عليهم السلام) وإبراز الواقع الأموى أمام ذلك المجتمع الذى ضلّله معاوية وحرّفه عن الطريق القويم، أمّا الاستدلال عليه فإنّه يظهر من مواقفه ومناظراته مع معاوية، فإنّه قد هتك بها حجابه.

أمّا الذاهبون إلى أنّ سفره كان لأخذ العطاء فقد استندوا إلى احدى الروايات الموضوعة فيما نحسب، وهذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأنّ الإمام قد عرف بالعزّة والإباء والشمم، على أنّه كان فى غنىً عن صلات معاوية؛ لأنّ له ضياعاً كبيرة فى يثرب كانت تدرّ عليه بالأموال الطائلة، مضافاً إلى ما كان يصله من الحقوق التى كان يدفعها خيار المسلمين وصلحاؤهم.

على أنّ الأموال التى كان يصله بها معاوية على القول بذلك لم يكن ينفقها على نفسه وعياله، فقد ورد أنّه لم يكن يأخذ منها مقدار ما تحمله الدابة بفيها [۳۵۴] .

وروى الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام): «أنّ الحسن والحسين كانا لا يقبلان جوائز معاوية بن أبى سفيان» [۳۵۵] .

وضاق معاوية ذرعاً بالإمام الحسن (عليه السلام) حينما كان فى دمشق بعد الذى رآه من إقبال الناس واحتفائهم به، فعقد مجالس حشدها بالقوى المنحرفة عن أهل البيت (عليهم السلام) والمعادية لهم مثل: ابن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وزياد بن أبيه وعبدالله بن الزبير، وأوعز لهم بالتطاول على ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والنيل منه، ليزهد الناس فيه، ويشفى نفسه من ابن فاتح مكة ومحطّم أوثان قريش، وقد قابله هؤلاء الأوغاد بمرارة القول وبذاءة الكلام، وكان (عليه السلام) يسدِّد لهم سهاماً من منطقه الفيّاض فيسكتهم.

ولقد كان الإمام فى جميع تلك المناظرات هو الظافر المنتصر، وخصومه الضعفاء قد اعترتهم الاستكانة والهزيمة والذهول.

المناظرة الأُولى:

أقبل معاوية على الإمام (عليه السلام) فقال له: «يا حسن أنا خير منك!» فقال له الإمام (عليه السلام): «وكيف ذاك يابن هند؟»، فقال معاوية: لأنّ الناس قد أجمعوا علىّ، ولم يجمعوا عليك.

فقال له الإمام (عليه السلام): «هيهات، لشرّ ما علوت يابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان: بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنّك لا خير فيك، فإنّ الله قد برّأنى من الرذائل كما برأك من الفضائل» [۳۵۶] .

المناظرة الثانية:

وهناك موقف آخر، ولعلّه من أروع ما نقله التأريخ من مواقف الإمام (عليه السلام)، فقد اجتمع لدى معاوية أربعة من أعمدة حكمه ومروّجى جاهليّته، وهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة، وطلبوا منه إحضار الإمام (عليه السلام) لكى يعيبوه وينالوا منه، بعدما ساءهم إلتفاف الناس حوله يلتمسون منه عطاء العلم والدين.

ويقال: إنّ معاوية رفض أن يرسل اليه، وقال: «لا تفعلوا، فوالله ما رأيته قطّ جالساً عندى إلاّ خفت مقامه وعيبه لى، وقال: إنّه ألسن بنى هاشم» فعزموا عليه بأن يرسل اليه.

فقال: إن بعثت اليه لأنصفنّه منكم، فقال ابن العاص: أتخشى أن يأتى باطله على حقّنا؟! قال معاوية: أما إنّى إن بعثت اليه لآمرنه أن يتكلّم بلسانه كلّه، واعلموا أنّهم أهل بيت، لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: إنّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء قبله.

ثم أرسل إلى الامام من يدعوه، فحضر فأكرمه معاوية وأعظمه، وقال له: إنّى كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك، وإنّ لك منهم النصف ومنّى، وإنّا دعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فأجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلّم بكلّ لسانك.

فتكلّم عمرو بن العاص، فذكر عليّاً، وتجاوز فى سبّه وشتمه، ثم ثنّى بالحسن وعابه وأغرق فى الخدشة، وممّا قاله:

«... يا حسن، تحدّث نفسك أنّ الخلافة صائرة اليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه وإنّما دعوناك لنسبّك أنت وأباك...».

ثم تكلّم الوليد بن عقبة فشنّع وأبان عن عنصريته، ونال من بنى هاشم.

ثم تكلّم عتبة بن أبى سفيان، فأفصح عن حقده ولؤمه، وممّا قال:

«... يا حسن، كان أبوك شرّ قريش لقريش، أسفكه لدمائها، وأقطعه لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحىّ ويصيب الميّت، وأمّا رجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادماً، ولا فى ميزانها راجحاً».

ثم تكلّم المغيرة بن شعبة، فشتم عليّاً وقال: «والله ما أعيبه فى قضية بخون، ولا فى حكم بميل، ولكنّه قتل عثمان.

ثم سكتوا، فتكلّم الإمام (عليه السلام)، وممّا قال:

«أمّا بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتمونى، ولكنّك شتمتنى، فحشاً ألفته، وسوء رأى عرفت به، وخُلقاً سيئاً ثبتّ عليه، وبغياً علينا عداوة لمحمد وآله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم».

ثم أخذ فى المقارنة بين مواقف أبيه ومواقف معاوية وأبيه، فقال:

«أُنشدكم الله، هل تعلمون أ نّه أول الناس إيماناً، وأ نّك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم، تسرّون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال.

وإنّه كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بدر، وإنّ راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم اُحد ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفى كلّ ذلك يفتح الله له، ويفلج حجّته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) فى تلك المواطن كلّها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط».

وأخذ (عليه السلام) فى تعداد فضائل أبيه وما ورد فيه من الأحاديث على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومواقفه العظيمة التى نصر بها الدين وأذلّ بها المشركين، ثم قال: «وجاء أبوك على جمل أحمر يوم الأحزاب يحرّض الناس وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلعن الراكب والقائد والسائق، وأنت يا معاوية، دعا عليك رسول الله لمّا أراد أن يكتب كتاباً إلى بنى خزيمة فبعث اليك، فنهمك إلى يوم القيامة فقال: اللّهمّ لا تشبعه».

ثم أخذ فى بيان بعض مواقف أبيه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمواطن السبعة التى لعن فيها النبىّ (صلى الله عليه وآله) أبا سفيان، وبعد أن أنهى خطابه لمعاوية، التفت إلى عمرو بن العاص فقال:

وأمّا انت يابن النابغة، فادّعاك خمسة من قريش، غلب عليك الأمهم حسباً وأخبثهم منصباً، وولدت على فراش مشترك، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل الله فيه (إنّ شانئك هو الأبتر) وقاتلت رسول الله فى جميع المشاهد وهجوته، وآذيته فى مكة وكدته، وكنت من أشدّ الناس له تكذيباً وعداوة.

ثمّ خرجت تريد النجاشى، لتأتى بجعفر وأصحابه، فلمّا أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدّك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشى، ففضحك الله، وفضح صاحبك، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام.

وهجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من الشعر، فقال: اللهمّ إنّى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى، اللّهمّ العنه بكلّ حرف ألف لعنة.

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعّرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلمّا أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت قرحة

أدميتها، ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حباً، ولا غضبت له مقتولاً...».

والتفت (عليه السلام) إلى الوليد فقال له:

«فوالله ما ألومك على بغض عليٍّ وقد قتل أباك بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صبراً، وجلدك ثمانين فى الخمر لمّا صليت بالمسلمين سكران، وسمّاك الله فى كتابه فاسقاً، وسمّى أمير المؤمنين مؤمناً، حيث تفاخرتما...».

ثم التفت إلى عتبة بن أبى سفيان، وقال له:

«وأمّا أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف فأُجيبك، ولا عاقل فأُحاورك وأُعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شرّ يتقى، وما عقلك وعقل أمتك إلاّ سواء، وما يضرّ عليّاً لو سببته على رؤوس الأشهاد، وأمّا وعيدك إيّاى بالقتل فهلا قتلت اللحيانى إذ وجدته على فراشك... وكيف ألومك على بغض علىّ؟ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشركك حمزة فى قتل جدّك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد».

ثم التفت إلى المغيرة بن شعبة، وقال له:

«وأمّا أنت يا مغيرة، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه.. والله... لا يشقّ علينا كلامك وإنَّ حدَّ الله عليك فى الزنا لثابت، ولقد درأ عمر عنك حقاً، الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها، فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة، ما لم ينو الزنا، لعلمه بأنّك زان.

وأمّا فخركم علينا بالإمارة، فإنّ الله تعالى يقول: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُتْرَفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً)» [۳۵۷].

ثمّ قام الحسن (عليه السلام) فنفض ثوبه وانصرف، فتعلّق عمرو بثوبه وقال: يا أمير المؤمنين، قد شهدت قوله فىّ، وأنا مطالب له بحدّ القذف، فقال معاوية: خلّ عنه، لا جزاك الله خيراً... فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنّه ممّن لا تطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبّوه فعصيتمونى، والله ما قام حتى أظلم علىَّ البيت قوموا عنّى، فلقد فضحكم الله، وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق [۳۵۸].

وينتهى هنا الحوار الفريد الذى ذكرناه بطوله رغم اختصارنا له، واحتفاظنا بالنقاط الأساسية التى يهمّنا أن نضعها بين يدى القارئ، ليتعرّف على الملامح الواقعية لتلك الزمرة المتسلّطة التى تنكّرت لكلّ القيم الأخلاقية، وسلكت طريق الشيطان.

وبهذا الحوار أعطى الإمام (عليه السلام) للمعارضة زخماً جديداً وفاعليةً كبيرةً، حيث كشف للأُمّة عن الواقع المرير الذى اكتنف الحكم الإسلامى بتسلّط هذه النماذج المنحرفة فى أُصولها، والمنفعلة برواسبها الجاهلية، والتى لا يمثّل عندها الإسلام إلاّ الوسيلة الفريدة للتسلّط على رقاب الناس، وتلافى النقائص الذاتية التى قدّر لهم أن يرزحوا تحت عبئها البغيض.

وأثبت الإمام (عليه السلام) أنّه ما يزال يقف فى موقفه الصامد الذى انطلق منه فى صراعه مع الجاهليّة الأُموية. وإن ألجأته ظروف المحنة إلى وضع السيف فى غمده وتخطّى مرحلة الحرب؛ فإنّ كلمة الحقّ الصارخة التى تصمّ آذان الباطل لا يمكن أن يدعها تموت فى زحام أراجيف الضلال.

وهكذا ينطلق الإمام فى خطاه الرسالية ـ التى هى امتداد لخطى جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ـ وعليه تقع مسؤولية حفظ المبادئ الأصيلة التى جاءت من أجلها الرسالة؛ لترتفع كلمة الله فى الأرض.

## مصير شروط الصلح و شهادة الإمام الحسن

### اخلال معاوية بالشروط

كان الشرط الأول ـ وكما مرّ علينا ـ هو أن يسلّم الإمام الأمر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين.

وقد وقف الإمام الحسن (عليه السلام) عند عهده رغم الضغوط الكثيرة من أصحابه ومخلصيه، مع أنّ الإمام كان فى حلّ من شرطه لو أراد؛ لأنّ التسليم كان مشروطاً، ولم يف معاوية بأىّ واحد من الشروط التى أخذت عليه.

أمّا معاوية فلم يلتزم بالشرط الأول، وأمّا عن الشرط الثانى ـ وهو أن يكون الأمر من بعده للحسن ثم للحسين وأن لا يعهد إلى أحد من بعده ـ فقد أجمع المؤرّخون على أنّ معاوية لم يف بشرطه هذا، بل نقضه بجعل الولاية لابنه يزيد من بعده [۳۵۹] .

وفيما يتعلّق بالشرط الثالث ـ وهو رفع السبّ عن الإمام علىّ (عليه السلام) مطلقاً أو فى حضور الإمام الحسن خاصة ـ فقد عزّ على معاوية الوفاء به، لأنّ سبّ علىّ يمثّل لديه الأساس القوى الذى يعتمده فى إبعاد الناس عن بنى هاشم، وقد ركّز معاوية بعناد وقوة على لزوم اتّباع طريقته فى سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فى وصاياه وكتبه لعمّاله [۳۶۰] .

وبخصوص الشرط الرابع فقد قيل: إنّ أهل البصرة حالوا بين الإمام الحسن وبين خراج أبجر، وقالوا: فيئنا [۳۶۱] ، وكان منعهم بأمر من معاوية لهم [۳۶۲] .

وأما الشرط الخامس ـ وهو العهد بالأمان العام، والأمان لشيعة علىّ على الخصوص، وأن لا يبغى للحسنين (عليهما السلام) وأهل بيتهما غائلة سرّاً ولا جهراً ـ وللمؤرّخين فيما يرجع إلى موضوع هذا الشرط نصوص كثيرة، بعضها وصف للكوارث الداجية التى جوبه بها الشيعة من الحكّام الأُمويين فى عهد معاوية، وبعضها قضايا فردية فيما نكب به معاوية الشخصيات الممتازة من أصحاب أمير المؤمنين، وبعضها خيانته تجاه الحسن والحسين خاصة [۳۶۳] .

وأكّد جميع المؤرخين أنّ الصلح بشروطه الخمسة لم يلق من معاوية أيّة رعاية تناسب تلك العهود والمواثيق والأَيْمان التى قطعها على نفسه، ولكنّه طالع المسلمين بشكل عام بالأوليات البكر والأفاعيل النكراء من بوائقه، وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص، فكان أول رأس يُطاف به فى الإسلام منهم ـ أى من الشيعة ـ وبأمره يُطاف به، وكان أول إنسان يدفن حيّاً فى الإسلام منهم، وبأمره يفعل به ذلك.

وكانت أول امرأة تسجن فى الإسلام منهم، وهو الآمر بسجنها، وكانت أول مجموعة من الشهداء يقتلون صبراً فى الإسلام منهم، وهو الذى قتلهم، واستقصى معاوية بنود المعاهدة كلّها بالخلف، فاستقصى أيْمانه المغلّظة بالحنث، ومواثيقه المؤكّدة التى واثق الله تعالى عليها بالنقض، فأين هى الخلافة الدينية يا ترى؟! [۳۶۴] .

وبقى آخر شقٍّ من الشروط وهو الأدقّ والأكثر حساسيةً، وكان عليه إذا أساء الصنيع بهذا الشقّ أن يتحدّى القرآن صراحة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة، فصبر عليه ثمانى سنين، ثم ضاق به ذرعاً، وثارت به أُمويّته التى جعلته ابن أبى سفيان حقاً بما جاء به من فعلته التى أنست الناس الرزايا قبلها.

وهى أول ذلٍّ دخل على العرب، وكانت بطبيعتها أبعد مواد الصلح عن الخيانة، كما كانت بظروفها وملابساتها أجدرها بالرعاية، وكانت بعد نزع السلاح والالتزام من الخصم بالوفاء، أفظع جريمة فى تاريخ معاوية الحافل بالجرائم.

## تآمر معاوية على الإمام الحسن

لقد حاول معاوية أن يجعل الخلافة ملكاً عضوضاً وراثة فى أبنائه، وقد بذل جميع جهوده وصرف الأموال الطائلة لذلك، فوجد أنّه لا يظفر بما يريد والحسن بن علىّ (عليه السلام) حىّ ينتظر المسلمون حكمه العادل وخيره العميم، ومن هنا قرّر اغتيال الإمام المجتبى (صلى الله عليه وآله) بما اغتال به من قبل مالك الأشتر وسعد بن أبى وقاص وغيرهما.

فأرسل الى الإمام غير مرّة سمّاً فاتكاً حين كان فى دمشق فلم ينجح حتى راسل ملك الروم وطلب منه بإصرار أن يرسل له سمّاً فاتكاً، وحصل عليه بعد امتناعه حين أفهمه أنّه يريد قتل ابن من خرج بأرض تهامة لتحطيم عروش الشرك والكفر والجاهلية وهدّد سلطان

أهل الكتاب.

إنّ بائقة الأب هذه كانت هى السبب الذى بعث روح القدوة فى طموح الابن ليشتركا ـ متضامنين ـ فى إنجاز أعظم جريمة فى تاريخ الإسلام، تلك هى قتل سيّدى شباب أهل الجنة اللذين لا ثالث لهما، وليتعاونا معاً على قطع «الواسطة الوحيدة» التى انحصر بها نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والجريمة ـ بهذا المعنى ـ قتل مباشر لحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بامتدادها التأريخى.

نعم، والقاتلان ـ مع ذلك ـ هما الخليفتان فى الإسلام!!!

فواضَيْعَةَ الإسلام إن كان خلفاؤه من هذه النماذج!!!

وكان الدهاء المزعوم لمعاوية هو الذى زيّن له أُسلوباً من القتل قصّر عنه ابنه يزيد، فكان هذا «الشابّ المغرور» وكان ذاك «الداهية المحنّك فى تصريف الأُمور»!!! ولو تنفس العمر بأبى سفيان إلى عهد ولديه هذين لأيقن أنّهما قد أجادا اللعبة التى كان يتمناها لبنى أُمية.

## كيف استشهد الإمام الحسن

لقد دعا معاوية مروان بن الحكم إلى إقناع جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى ـ وكانت من زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) ـ بأن تسقى الحسن السمّ وكان شربة من العسل بماء رومة [۳۶۵] ، فإن هو قضى نحبه زوّجها بيزيد، وأعطاها مائة ألف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بنوّتها للأشعث بن قيس ـ المنافق المعروف الذى أسلم مرتين بينهما ردّة منكرة ـ أقرب الناس روحاً إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «إنّ الأشعث شرك فى دم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وابنته جعدة سمّت الحسن،وابنه محمّد شرك فى دم الحسين (عليه السلام)» [۳۶۶] .

وهكذا تمّ لمعاوية ما أراد، وكانت شهادته (عليه السلام) بالمدينة يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة أو تسع وأربعين.

وحكم معاوية بفعلته هذه على مصير أُمة بكاملها، فأغرقها بالنكبات وأغرق نفسه وبنيه بالذحول والحروب والانقلابات، وتمّ له بذلك نقض المعاهدة إلى آخر سطر فيها.

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) وقد حضرته الوفاة: «لقد حاقت شربته، وبلغ أُمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال» [۳۶۷] .

وورد بريد مروان إلى معاوية بتنفيذ الخطّة المسمومة فلم يملك نفسه من إظهار السرور بموت الإمام الحسن (عليه السلام)، «وكان بالخضراء فكبّر وكبّر معه أهل الخضراء، ثم كبّر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف] زوج معاوية [من خوخة [۳۶۸] لها، فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذى بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن علىّ، فقالت: إنّا لله وإنّا اليه راجعون، ثم بكت وقالت: مات سيّد المسلمين وابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)» [۳۶۹] .

والنصوص على اغتيال معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) بالسمّ متضافرة كأوضح قضية فى التاريخ [۳۷۰] .

## وصاياه الأخيرة

أ ـ وصيّته لجنادة:

دخل جنادة بن أبى أُميّة ـ الصحابىّ الجليل ـ على الإمام عائداً له، فالتفت إلى الإمام قائلًا: عظنى يابن رسول الله.

فأجاب (عليه السلام) طلبته وهو فى أشدّ الأحوال حراجةً، وأقساها ألماً ومحنةً، فأتحفه بهذه الكلمات الذهبية التى هى أغلى وأثمن من الجوهر وقد كشفت عن اسرار إمامته، قائلًا:

«يا جنادة! استعد لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همَّ يومك الذى لم يأت على يومك الّذى أنت فيه، واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ الدنيا فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب، وفى الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العقاب فالعقاب يسير، واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّوجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا أخذت منه صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك وإن قُلتَ صَدَّق قولك، وإن صُلتَ شَدَّ صولَتَك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألت أعطاك، وإن سكت عنه إبتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات واساك من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك» [۳۷۱] .

ويشتدّ الوجع بالإمام (عليه السلام) ويسعر عليه الألم فيجزع، فيلتفت اليه بعض عوّاده قائلاً له: يابن رسول الله، لِمَ هذا الجزع؟ أليس الجدّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأب على والأُمّ فاطمة، وأنت سيّد شباب أهل الجنة؟!.

فأجابه بصوت خافت: «أبكى لخصلتين: هول المطلع، وفراق الأحبّة» [۳۷۲] .

ب ـ وصيّته للإمام الحسين (عليه السلام):

ولمّا ازداد ألمه وثقل حاله استدعى أخاه سيّد الشهداء فأوصاه بوصيّته وعهد اليه بعهده، وهذا نصّه:

«هذا ما أوصى به الحسن بن علىّ إلى أخيه الحسين، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّه يعبده حقّ عبادته، لا شريك له فى الملك، ولا وليّ له من الذلّ، وأنّه خلق كلّ شىء فقدّره تقديراً، وأنّه أولى من عبده، وأحقّ من حمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب اليه اهتدى، فإنّى أُوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلى وولدى وأهل بيتك، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفننى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّى أحقّ به وببيته، فإن أبوا عليك فأُنشدك الله وبالقرابة التى قرّب الله منك والرحم الماسّة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن لا يهراق من أمرى محجمة من دم حتى تلقى رسول الله فتخصمهم وتخبره بما كان من أمر الناس إلينا» [۳۷۳] .

ج ـ وصيّته لمحمد بن الحنفية:

وأمر الإمام (عليه السلام) قنبراً أن يحضر أخاه محمد بن الحنفية، فمضى اليه مسرعاً فلمّا رآه محمد ذُعر فقال: هل حدث إلّا خير؟، فأجابه بصوت خافت: «أجب أبا محمد».

فذهل محمّد واندهش وخرج يعدو حتى أنّه لم يسوِّ شسع نعله من كثرة ذهوله، فدخل على أخيه وهو مصفرّ الوجه قد مشت الرعدة بأوصاله فالتفت (عليه السلام) له:

«إجلس يا محمد، فليس يغيب مثلك عن سماع كلام تحيى به الأموات وتموت به الأحياء. كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى؛ فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ الله عزّوجلّ جعل ولد إبراهيم أئمة، وفضّل بعضهم على بعض، وآتى داود زبوراً؟ وقد علمت بما استأثر الله به محمداً (صلى الله عليه وآله)، يا محمد بن على إنّى لا أخاف عليك الحسد، وإنّما وصف الله به الكافرين، فقال تعالى: (كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)، ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً. يا محمد بن على! ألا أُخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟».

قال محمد: بلى، فأجابه الامام (عليه السلام): «سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحبّ أن يبرّنى فى الدنيا والآخرة فليبرّ محمداً. يا محمد بن على! لو شئت أن أُخبرك وأنت نطفة فى ظهر أبيك لأخبرتك. يا محمد بن على! أما علمت أن الحسين بن على بعد وفاة نفسى ومفارقة روحى جسدى إمام بعدى، وعند الله فى الكتاب الماضى وراثة النبيّ (صلى الله عليه وآله) أصابها فى وراثة أبيه وأُمه؟

علم الله أنّكم خير خلقه فاصطفى منكم محمداً، واختار محمد علياً، واختارنى علىّ للإمامة، واخترت أنا الحسين».

فانبرى اليه محمّد مظهراً له الطاعة والانقياد [۳۷۴] .

## الى الرفيق الأعلى

وثقل حال الإمام (عليه السلام) واشتدّ به الوجع فأخذ يعانى آلام الإحتضار، فعلم أنّه لم يبق من حياته الغالية إلّا بضع دقائق فالتفت إلى أهله قائلًا:

«أخرجونى إلى صحن الدار أنظر فى ملكوت السماء».

فحملوه إلى صحن الدار، فلمّا استقرّ به رفع رأسه إلى السماء وأخذ يناجى ربّهُ ويتضرع اليه قائلًا:

«اللّهم إنّى احتسب عندك نفسى، فإنّها أعزّ الأنفس علىَّ لم أصب بمثلها، اللّهم آنس صرعتى، وآنس فى القبر وحدتى».

ثم حضر فى ذهنه غدر معاوية به، ونكثه للعهود، واغتياله إيّاه فقال:

«لقد حاقت شربته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال» [۳۷۵] .

وأخذ يتلو آى الذكر الحكيم ويبتهل إلى الله ويناجيه حتى فاضت نفسه الزكية إلى جنّة المأوى، وسمت إلى الرفيق الأعلى، تلك النفس الكريمة التى لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمن وما هو آت حلماً وسخاءً وعلماً وعطفاً وحناناً وبرّاً على الناس جميعاً.

لقد مات حليم المسلمين، وسيّد شباب أهل الجنّة، وريحانة الرسول وقرّة عينه، فأظلمت الدنيا لفقده، وأشرقت الآخرة بقدومه [۳۷۶] .

وارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميّين، وعلا الصراخ والعويل من بيوت يثرب، وهرع أبو هريرة وهو باكى العين مذهول اللبّ إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ينادى بأعلى صوته:

«يا أيّها الناس! مات اليوم حبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فابكوا» [۳۷۷] .

وصدعت كلماته القلوب، وتركت الأسى يحزّ فى النفوس، وهرع من فى يثرب نحو ثوى الإمام وهم ما بين واجم وصائح ومشدوه ونائح قد نخب الحزن قلوبهم على فقد الراحل العظيم الذى كان ملاذاً لهم وملجأً ومفزعاً إن نزلت بهم كارثة أو حلّت بهم مصيبة.

## تجهيز الإمام و تشييعه

وأخذ سيد الشهداء فى تجهيز أخيه، وقد أعانه على ذلك عبدالله بن عباس وعبد الرحمن بن جعفر وعلى بن عبدالله بن عباس وأخواه محمد بن الحنفية وأبو الفضل العباس، فغسّله وكفّنه وحنّطه وهو يذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون، وبعد الفراغ من تجهيزه؛ أمر (عليه السلام) بحمل الجثمان المقدّس إلى مسجد الرسول لأجل الصلاة عليه [۳۷۸] .

وكان تشييع الإمام تشييعاً حافلًا لم تشهد نظيره عاصمة الرسول، فقد بعث الهاشميّون إلى العوالى والقرى المحيطة بيثرب من يعلمهم بموت الإمام، فنزحوا جميعاً إلى يثرب ليفوزوا بتشييع الجثمان العظيم [۳۷۹] وقد حدّث ثعلبة ابن مالك عن كثرة المشيعين فقال:

«شهدت الحسن يوم مات، ودفن فى البقيع، ولو طرحت فيه إبرة لما وقعت إلّا على رأس إنسان» [۳۸۰] .

وقد بلغ من ضخامة التشييع أنّ البقيع ما كان يسع أحداً من كثرة الناس.

## دفن الإمام و فتنة عائشة

ولم يشكَّ مروان ومن معه من بنى اُمية أنّهم سَيَدْفُنونَه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتجمَّعوا لذلك ولبسوا السلاح، فلمّا توجّه به الحسين (عليه السلام) إلى قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليجدّد به عهداً؛ أقبلوا اليهم فى جمعهم، ولحقتهم عائشة على

بغل وهى تقول: ما لى ولكم تريدون أن تدخلوا بيتى من لا اُحبّ، وجعل مروان يقول: يا رُبَّ هيجا هى خير مِن دَعَة، اَيُدْفَنُ عثمانُ فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبىّ؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة أن تقع بين بنى هاشم وبنى اُمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثم نردّه إلى جدّته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبى (صلى الله عليه وآله) لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنّه (عليه السلام) كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً، كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة وقال لها: وا سوأتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدين أن تطفِئى نور الله وتقاتلى أولياء الله، ارجعى فقد كُفيت الذى تخافين وبلغت ما تحبين والله منتصر لأهل البيت ولو بعد حين.

وقال الحسين (عليه السلام): «والله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا اُهريق فى أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا».

ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضى الله عنها [۳۸۱].

ووقف الإمام الحسين (عليه السلام) على حافة القبر، وأخذ يؤبّن أخاه قائلاً: «رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند التداحض فى مواطن التقية بحسن الرويّة، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف، نقية الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو فأنت ابن سلالة النبوّة ورضيع لبان الحكمة، فإلى رَوْح ورَيْحان، وجنّة ونعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حسن الأسى عنه» [۳۸۲].

## تراث الإمام المجتبى

### نظرة عامة فى تراث الإمام المجتبى

الإمام المجتبى (عليه السلام) كأبيه المرتضى وجدّه المصطفى قائد مبدئى تتلخّص مهمّاته القيادية فى كلمة موجزة ذات معنىً واسع وأبعاد شتى هى: «الهداية بأمر الله تعالى» انطلاقاً من قوله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) [۳۸۳].

والهداية بأمر الله سبحانه تتجلّى فى تبيان الشريعة وتقديم تفاصيل الأحكام العامة أو المطلقة التى نصّ عليها القرآن الكريم والرسول العظيم، كما تتجلّى فى تفسير القرآن الحكيم وايضاح مقاصد الرسول الكريم.

وتتجلّى الهداية فى تطبيق أحكام الله تعالى على الاُ مّة المسلمة وصيانة الشريعة والنصوص الإلهية من أىّ تحريف أو تحوير يتصدّى له الضالّون المضلّون.

والثورة التى فجّرها الإسلام العظيم هى ثورة ثقافية قبل أن تكون ثورة اجتماعية أو اقتصادية، فلا غرو أن تجد الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يفرّغون أنفسهم لتربية الاُ مّة وتثقيفها على مفاهيم الرسالة وقيمها، وهم يرون أنّ مهمّتهم الاُولى هى التربية والتثقيف انطلاقاً من النصّ القرآنى الصريح فى بيان أهداف الرسالة والرسول الذى يرى الإمام نفسه استمراراً له وقيّماً على ما أثمرته جهود الرسول (صلى الله عليه وآله) من «رسالة» و «اُ مّة» و «دولة»، قال تعالى مفصّلاً لأهداف الرسالة ومهمّات الرسول: (يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة) [۳۸۴].

ولئن غضّ الإمام المجتبى الطرف عن الخلافة لأسباب دينية ومبدئية؛ فهو لم يترك الساحة ومواريث الرسول (صلى الله عليه وآله) لتنهب بأيدى الجاهليّين، بل نجده قد تصدّى لتربية القاعدة التى على أساسها تقوم الدولة وعليها تطبّق أحكام الشريعة.

وقد خلّف الإمام المجتبى تراثاً فكرياً وعلمياً ثرّاً من خلال ما قدّمه من نصوص للأُمّة الإسلامية على شكل خطب أو وصايا أو احتجاجات أو رسائل أو أحاديث وصلتنا فى فروع المعرفة المختلفة، ممّا يكشف عن تنوّع اهتمامات الإمام الحسن وسعة علمه وإحاطته بمتطلّبات المرحلة التى كانت تعيشها الأُمّة المسلمة فى عصره المحفوف بالفتن والدواهى التى قلّ فيها من كان يعى طبيعة المرحلة ومتطلباتها إلّا أن يكون محفوفاً برعاية الله وتسديده.

ونستعرض صوراً من اهتمامات الإمام العلمية، ونلتقط شيئاً من المفاهيم والقيم المُثلى التى ظهرت على لسانه وعبّر عنها ببليغ بيانه، أو تجلّت فى تربيته لتلامذته وأصحابه.

## فى رحاب العلم والعقل

أ ـ قال (عليه السلام) فى الحثّ على طلب العلم وكيفية طلبه وأُسلوب تنميته:

١ ـ «تعلّموا العلم، فإنّكم صغار فى القوم، وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب» [٣٨٥].

٢ ـ «حُسن السؤال نصف العلم» [٣٨٦].

٣ ـ «علّم الناس، وتعلَّم عِلمَ غيرك، فتكون قد أتقنت علمك وعلمتَ ما لَمَ تَعلم» [٣٨٧].

۴ ـ «قَطعَ العلم عُذر المتعلّمين».

۵ ـ «اليقين معاذ السلامة».

۶ ـ «أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكّر، فإنّ التفكّر أبو كلّ خير وأُمّه» [٣٨٨].

ب ـ إنّ العقل أساس العلم، ومن هنا فقد عرّف العقل من خلال لوازمه وآثاره العلمية ومدى أهميته ودوره فى كمال الإنسان بقوله:

١ ـ «العقل حفظ القلب كلّ ما استرعيته» [٣٨٩].

٢ ـ «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً».

٣ ـ «لا يغشّ العقل من استنصحه».

## فى رحاب القرآن الكريم

أ ـ قال (عليه السلام) فى بيان حقيقة القرآن ورسالته وأهدافه وفضله وكيفية الارتواء من معينه الثرّ:

١ ـ «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليُجل جال بضوئه وليُلجم الصفة قلبَه؛ فإنّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور» [٣٩٠].

٢ ـ «ما بقى من هذه الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتّخذوه إماماً، وإنّ أحقّ الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم عنه مَن لم يعمل به وإن كان يقرؤه» [٣٩١].

٣ ـ «.. واعلموا علماً يقيناً أنّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتى تعرفوا الذى حرّفه، فإذا عرفتم ذلك؛ عرفتم البدع والتكلّف ورأيتم الفرية على الله ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا يجهلنّكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله فإنّهم خاصّة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل» [٣٩٢].

۴ ـ «.. كتاب الله فيه تفصيل كلّ شىء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل عليه فى كلّ شىء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأُولى الأمر مقرونة..».

ب ـ وروى المؤرّخون نماذج من تفسير الإمام المجتبى للقرآن الكريم، وإليك نموذجاً واحداً منها:

«جاء رجل إلى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ليسأل عن تفسير قوله تعالى: (وشاهد ومشهود) فرأى ثلاثة أشخاص قد احتفّ بكلّ واحد منهم جمع من الناس يحدّثهم عمّا سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسأل أحدهم عن الشاهد والمشهود فقال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، ثم سأل الآخر فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر، ثم سأل الثالث فأجابه: الشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمشهود يوم القيامة لقوله تعالى: (يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)، وقوله تعالى عن يوم القيامة: (ذلك يوم مشهود)، فسأل عن الأول فقيل له: عبدالله بن عباس، وسأل عن الثانى فقيل له: عبدالله بن عمر، وسأل عن الثالث فقيل له: الحسن بن علىّ بن أبى طالب (عليهما السلام) [۳۹۳] .

إنّ المتتبع لخُطب الإمام ومواعظه يلمس فيها الاستدلال والاستشهاد الدقيق بآيات الذكر الحكيم، ممّا يفيدنا مدى إحاطته صلوات الله عليه بمقاصد القرآن وأسراره وبواطن آياته، وسوف تلاحظ نماذج من ذلك فيما سيأتى من كلامه.

## فى رحاب الحديث النبوى والسيرة الشريفة

لقد اهتمّ الإمام الحسن المجتبى بنشر حديث النبىّ (صلى الله عليه وآله) وسيرته ومكارم أخلاقه، ونختار من الأحاديث التى رواها عن جدّه (صلى الله عليه وآله) ما يلى:

۱ ـ «إنّ من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم..».

۲ ـ «يا مسلم! اضمن لى ثلاثاً أضمن لك الجنّة: إن أنت عملت بما افترض عليك فى القرآن فأنت أعبد الناس،وإن قنعت بما رُزِقت فأنت أغنى الناس،وإن اجتنبت ما حرّم الله فأنت أورع الناس...».

۳ ـ «من صلّى الفجر فجلس فى مصلاّه إلى طلوع الشمس ستره الله من النار».

۴ ـ «حيثما كنتم فصلّوا علىَّ، فإنّ صلاتكم تبلغنى».

۵ ـ «جاءت امرأة إلى النبى (صلى الله عليه وآله) ومعها ابناها فسألته فأعطاها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ واحد منهما تمرةً فأكلاها، ثم نظرا إلى اُمّهما فشقّت التمرة اثنتين فأعطت كلّ واحدة منهما شقّ تمرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحمها الله برحمتها ابنيها».

۶ ـ «ودعا (صلى الله عليه وآله) بهذا الدعاء: اللهم أقلنى عثرتى، وآمن روعتى، واكفنى من بغى علىّ، وانصرنى على من ظلمنى، وأرنى ثأرى منه...».

وأمّا ما يخصّ سيرة النبىّ (صلى الله عليه وآله) ومكارم أخلاقه فقد اهتمّ السبط المجتبى بنشرها تارةً عن خاله هند بن أبى هالة التميمى ربيبِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخِ الزهراء من اُمّها؛ إذ كان دقيقاً فى وصفه لحلية النبىّ (صلى الله عليه وآله) ومكارم أخلاقه، وممّا جاء فى وصفه لمنطق الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلّم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداق [۳۹۴] ، ويتكلّم بجوامع الكلم، فصل لا ـ فضول ولا ـ تقصير، دمثاً ليس بالجافى ولا المهين، يعظم المنّة وإن دقّت، لا يذمّ منها شيئاً، ولا يذّم ذوّاقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطى الحقّ لم يعرفه أحد، ولم يستقم لغضبه شىء حتى ينتصر له، إذا أشار بكفّه أشار بكفه كلّها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدّث اتّصل بها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليُسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جلّ ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حبّ الغمام...».

واعتنى الإمام المجتبى بهذه السيرة المباركة أيّما اعتناء، فسأل أباه المرتضى الذى كان ربيب الرسول وتلميذه وصهره وأخاه وشريكه فى حمل أعباء الرسالة، وهو الذى لازمه من قبل بعثته حتى رحلته، وطلب منه أن يصف له سيرة رسول الله فأجابه أمير المؤمنين إجابةً

تتضمن منهاجاً كاملاً للإنسان المسلم الذى يريد الاقتداء بسيرته (صلى الله عليه وآله).

قال الإمام علىّ صلوات الله عليه: «كان النبىّ (صلى الله عليه وآله) إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله جل ثناؤه، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدّخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته فى جزء الاُمّة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم فى الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والاُمّة من مسألتهم وأخبارهم بالذى ينبغى لهم، ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب، وابلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنّ من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه ثبّت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلّا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رواداً ولا يفترقون إلّا عن ذواق، ويخرجون أدلة..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟» فقال:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخزن لسانه إلّا ممّا يعينهم، ويؤلّفهم ولا يفرّقهم، أو قال: ينفرهم، ويكرم كريم كلّ قوم، ويوليه عليهم ويحذّر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد بشره ولا خلقه، يتفقّد أصحابه، ويسأل عمّا فى الناس، فيحسن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكلّ حال عنده عتاب، لا يقصّر عن الحقّ ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «فسألته عن مجلسه، فقال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر الله ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك ويعطى كلاًّ من جلسائه نصيبه، فلا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قارنه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلّا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده فى الحقّ سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع عنده الأصوات، ولا تؤبّن فيه الحرم، ولا تُثنى فلتاته، ترى جلّاسه متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «قلت له: كيف سيرته فى جلسائه؟ قال (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دائم السرور، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهى، ولا يؤيس منه، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحداً، ولا يعيّره ولا يطلب عثرته، ولا يتكلم إلّا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلّموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلّم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممّا يضحكون منه، ويتعجّب ممّا يتعجّبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتى أن كان أصحابه ليستجلبوا منهم ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوّزه فيقطعه بنهى أو قيام..».

قال الإمام الحسن (عليه السلام): «كيف كان سكوته؟ قال (عليه السلام): كان سكوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أربع: الحكم، والحذر، والتقدير، والتفكير.

فأمّا تقديره ففى تسويته للنظر بين الناس واستماعه منهم.

وأمّا تفكيره ففيما يبقى ويفنى.

وجمع له الحلم فى الصبر، فكان لا يعصيه شىء ولا يستفزّه.

وجمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأى فيما أصلح اُمّته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة...» [۳۹۵].

## فى رحاب العقيدة

۱ ـ التوحيد: أمر الإمام علىّ المرتضى (عليه السلام) نجله المجتبى (عليه السلام) ليخطب الناس فى مسجد الكوفة، فصعد المنبر، وقال: «الحمد لله الواحد بغير تشبيه، والدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، والموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدود، العزيز، لم يزل قديماً فى القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزّته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا ـ يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكُنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكر بتدابير اُمورها، أعلم خلقه به الذى بالحدّ لا يصفه، يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير...» [۳۹۶].

وجاء اليه رجل فقال له: يابن رسول الله! صف لى ربّك كأنّى اُنظر اليه، فأطرق الحسن مليّاً ثم رفع رأسه فأجابه: «الحمد لله الذى لم يكن له أوّل معلوم ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود ولا أمد بحتّى، ولا شخص فيتجزّأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها، صفته فيقول: متى، ولا بدئ ممّا، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلّا، خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استراد، ذلك الله ربّ العالمين» [۳۹۷].

۲ ـ إبطال الجبر: رفع أهالى البصرة اليه (عليه السلام) رسالةً يطالبون منه رأيه فى مسألة الجبر فأجابهم (عليه السلام): «من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربّه فقد فجر، إنّ الله لا يُطاع استكراهاً ولا يُعصى لغلبة؛ لأنّه المليك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا، فليس هو الذى أجبرهم على ذلك، فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصى لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً فى القدرة، ولكن فيهم المشيئة التى غيّبها عنهم، فإن عملوا بالطاعات كانت له المنّة عليهم، وإن عملوا بالمعصية كانت الحجّة عليهم» [۳۹۸].

۳ ـ تفسير صفاته تعالى: وسأله رجل عن معنى الجواد فقال: «... وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له» [۳۹۹].

## فى رحاب ولاية أهل البيت

۱ ـ قال (عليه السلام) مبيّناً لحقيقة الثقلين وموقع كلّ منهما من الآخر:

«... واعلموا علماً يقيناً أ نّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتى تعرفوا الذى حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله، ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا ـ يجهلنّكم الذين لا ـ يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله فإنّهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن علمهم، وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا ـ يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سابقة، ومضى فيهم من الله حكم: (إنّ فى ذلك لذكرى للذاكرين)» [۴۰۰].

۲ ـ «أيّها الناس، اعقلوا عن ربّكم، إنّ الله عزّوجلّ اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرّيةً بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذرّيّة من آدم والاُسرة من نوح والصفوة من إبراهيم والسلالة من اسماعيل وآل محمد (صلى الله عليه وآله)، نحن فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوّة والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية التى بورك زيتها، النبىّ أصلها وعلىّ فرعها، ونحن والله ثمر تلك الشجرة، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلّف عنها فإلى النار هوى...» [۴۰۱].

۳ ـ وخطب قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه: «إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً، فوالذى بعث محمّداً بالحقّ لا ينتقص من حقّنا أهل البيت أحد إلّا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلّا وتكون لنا العاقبة، (ولتعلمنّ نبأه بعد حين)» [۴۰۲].

۴ ـ وقال (عليه السلام): «نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيّبون، وأحد

الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) والثانى كتاب الله... فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأُولى الأمر مقرونة...» [۴۰۳].

۵ ـ وخطب (عليه السلام) فتحدّث عن فلسفة التشريع وعن ارتباط الأحكام بولاية أهل البيت، ثمّ قال: «ولو لا محمد (صلى الله عليه وآله) وأوصياؤه كنتم حيارى، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخلون داراً إلّا من بابها».

وبعد أن استدلّ (عليه السلام) على كمال الدين وإتمام النعمة وأشار إلى حقوق أولياء الله ودور أداء هذه الحقوق فى سلامة الحياة ونمائها وأنّ البخيل هو من يبخل بالمودة بالقربى... قال: «سمعت جدّى (صلى الله عليه وآله) يقول: خلقتُ أنا من نور الله، وخُلق أهل بيتى من نورى، وخلق محبّوهم من نورهم، وسائر الناس من الناس» [۴۰۴].

## البشارة بالإمام المهدى المنتظر

۱ ـ قال (عليه السلام) بعد أن صالح معاوية ودخل عليه الناس ولامه بعضهم على بيعته: «... أما عَلِمتم أنّه ما مِّنا من أحد إلّا ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الذى يصلّى روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإنّ الله يخفى ولادته ويُغيِّب شخصه، لئلّا يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من وُلد أخى الحسين، ابن سيّدة الإماء، يطيلُ الله عُمَره فى غيبته ثم يُظهره بقدرته فى صورة شاب دون أربعين سنة...» [۴۰۵].

۲ ـ وروى (عليه السلام) حديثاً عن أبيه (عليه السلام) أخبره فيه عن ولاية بنى اُمية وبِدَعِهِم وفتكهم بأعدائهم حتى قال: «... حتى يبعث الله رجلاً ـ فى آخر الزمان وكَلَب من الدهر وجَهل من الناس، يؤيّده الله بملائكته، ويَعصِم أنصاره وينصُرُه بآياته، ويُظهره على أهل الأرض حتى يَدينوا طوعاً وكرهاً، يملؤها قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عَرض البلاد وطولها، لا يبقى كافرٌ إلّا آمن به، ولا طالح إلّا صلح، وتصطلح فى ملكه السباع، وتُخرِج الأرض نبتها، وتُنزل السماءُ بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيّامه وسمع كلامه» [۴۰۶].

## فى رحاب الأخلاق والتربية

عن جابر (رضى الله عنه) قال: سمعت الحسن (عليه السلام) يقول: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمّم على الجار [۴۰۷]، ومعرفة الحقّ للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهنّ الحياء» [۴۰۸].

وعرّف الإمام المجتبى (عليه السلام) مجموعة من (مكارم الأخلاق) فى إجابته على أسئلة أبيه المرتضى (عليه السلام) نختار منها ما يلى:

۱ ـ السداد: دفع المنكر بالمعروف.

۲ ـ الشرف: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة (موافقة الإخوان) [۴۰۹].

۳ ـ المروءة: العفاف وإصلاح المرء ماله (إصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، وإفشاء السلام والتحبّب إلى الناس) [۴۱۰].

۴ ـ السماحة: البذل فى العسر واليسر.

۵ ـ الإخاء: الوفاء فى الشدّة والرخاء.

۶ ـ الغنيمة: الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا.

۷ ـ الحلم: كظم الغيظ وملك النفس.

۸ ـ الغنى: رضى النفس بما قسم الله وإن قلّ، فإنّما الغنى غنى النفس.

۹ ـ المنعة: شدّة البأس ومقارعة أشد الناس.

۱۰ ـ الصمت: ستر العيب وزين العرض، وفاعله فى راحة، وجليسه آمن [۴۱۱] .

۱۱ ـ المجد: أن تعطى فى الغرم، وأن تعفو عن الجرم.

۱۲ ـ العقل: حفظ القلب كلّ ما استرعيته (استوعيته) أو حفظ القلب لكلّ ما استتر فيه [۴۱۲] .

۱۳ ـ الثناء: إتيان الجميل وترك القبيح.

۱۴ ـ الحزم: طول الأناة والرفق بالولاة والاحتراس من الناس بسوء الناس.

۱۵ ـ الكرم: العطيّة قبل السؤال والتبرع بالمعروف والإطعام فى المحلّ [۴۱۳] .

۱۶ ـ النجدة: الذبّ عن الجار والمحاماة فى الكريهة والصبر عند الشدائد [۴۱۴] .

وأجاب الإمام بكل استرسال وعدم تكلّف على مجموعة اُخرى من أسئلة أبيه فيما يخصّ (مساوئ الأخلاق) ونختار منها ما يلى:

۱ ـ الدنيئة: النظر فى اليسير ومنع الحقير.

۲ ـ اللؤم: احتراز المرء نفسه (ماله) وبذله عرسه (عرضه) [۴۱۵] .

۳ ـ الشحّ: أن ترى ما فى يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً.

۴ ـ الجبن: الجرأة على الصديق والنكول عن العدوّ.

۵ ـ الفقر: شره النفس فى كلّ شىء.

۶ ـ الجرأة: موافقة الأقران.

۷ ـ الكلفة: كلامك فيما لا يعنيك.

۸ ـ الخُرْق: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك.

۹ ـ السفه: اتباع الدناة ومصاحبة الغواة.

۱۰ ـ الغفلة: تركك المسجد وطاعتك المُفسِد.

۱۱ ـ الحرمان: تركك حظّك وقد عرض عليك [۴۱۶] .

۱۲ ـ شرّ الناس: من لا يعيش فى عيشه أحد [۴۱۷] .

وتحدّث الإمام عن اُصول الجرائم الأخلاقية واُمّهات الرذائل قائلاً: هلاك الناس فى ثلاث: الكبر، الحرص، الحسد.

الكبر: به هلاك الدين وبه لُعِن ابليس.

الحرص: عدو النفس وبه اُخرج آدم من الجنّة.

الحسد: رائد السوء وبه قتل هابيل قابيل [۴۱۸] .

## فى رحاب المواعظ الحكيمة

۱ ـ قال (عليه السلام) فى تعريف التقوى والحثّ عليها: «إنّ الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتاركم سدىً، كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم ليعرف كلُّ ذى منزلة منزلته، وإنّ ما قدّر له أصابه، وما صُرِف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدنيا، وفرّغكم لعبادته، وحثّكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى بابُ كلِّ توبة ورأسُ كلِّ حكمة وشرفُ كلِّ عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين، قال الله تبارك وتعالى: (إنّ للمتقين مفازاً) وقال: (وينجّى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم يحزنون)، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ من يتّقِ الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ويسدّده فى أمره، ويُهيّئ له رشده، ويُفلجه بحجّته، ويُبيّض وجهه، ويُعطِهِ رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن

أُولئك رفيقاً» [۴۱۹] .

۲ ـ وجاءه رجل من الأثرياء فقال له: يابن رسول الله! إنّى أخاف من الموت، فقال له (عليه السلام): «ذاك لأنّك أخّرت مالك، ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به» [۴۲۰] .

۳ ـ وقال (عليه السلام) عن طلب الرزق: «لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تشكل على القدر إشكال المستسلم؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُنّة، والإجمال فى الطلب من العفة، وليست العفة بدافعة رزقاً، ولا الحرص بجالب فضلاً، فإنّ الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المآثم» [۴۲۱] .

۴ ـ وقال فى الحثّ على الالتزام بالمساجد: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آيةً محكمةً، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرةً، وكلمةً تدل على هدىً، أو تردعه عن ردىً، وترك الذنوب حياءً، أو خشيةً» [۴۲۲] .

۵ ـ وحدّد السياسة تحديداً جامعاً ودقيقاً بقوله (عليه السلام): «هى أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات.

فأمّا حقوق الله: فأداء ما طلب والاجتناب عمّا نهى.

وأمّا حقوق الأحياء: فهى أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخّر عن خدمة أُمتك، وأن تخلص لوليّ الأمر ما أخلص لأُ مّته، وأن ترفع عقيرتك فى وجهه إذا حاد عن الطريق السوى.

وأمّا حقوق الأموات: فهى أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم، فإنّ لهم ربّاً يحاسبهم» [۴۲۳] .

ومن قصار كلماته الحكيمة وغرر حكمه الثمينة:

۱ ـ إنّ من طلب العبادة تزكّى لها.

۲ ـ المصائب مفاتيح الأجر.

۳ ـ النعمة محنة فإن شكرت كانت كنزاً وإن كفرت كانت نقمة.

۴ ـ أشدّ من المصيبة سوء الخُلق.

۵ ـ من تذكّر بُعد السفر اعتدّ.

۶ ـ العار أهون من النار.

۷ ـ خير المال ما وُقِىَ به العرض.

۸ ـ الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود.

۹ ـ المسؤول حرٌّ حتى يعد ومسترقٌّ بالوعد حتى ينجز.

۱۰ ـ فضح الموتُ الدنيا، اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك.

۱۱ ـ فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.

## فى رحاب الفقه و أحكام الشريعة

۱ ـ عن عاصم بن ضمرة قال: كنت أسير مع الحسن بن علىّ على شاطئ الفرات وذلك بعد العصر ونحن صيام وماء الفرات يجرى على رضراض [۴۲۴] والماء صاف ونحن عطاش، فقال الحسن بن على (عليهما السلام): «لو كان معى مئزر لدخلت الماء» قلت: إزارى أُعطيكه، قال: «فما تلبس أنت؟» قلت: أدخل كما أنا، قال: «فذاك الذى أكره، إنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّ للماء عوامر من الملائكة كعوامر البيوت استحيوهم وهابوهم وأكرموهم إذا دخلتم عليهم الماء فلا تدخلوا إلّا بمئزر» [۴۲۵] .

۲ ـ وقال: «أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيّب بأجود ما نجد، وأن نضحّى بأسمن ما نجد، البقرة عن سبعة والجزور عن عشرة، وأن نظهر التكبير وعلينا السكينة والوقار» [۴۲۶] .

٣ ـ وقال: «علّمنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قنوت الوتر: ربّ اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولّنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شرّ ما قضيت، إنّك تقضى ولا يُقضى عليك، إنّه لا يذل من واليت (تباركت ربّنا وتعاليت)» [٤٢٧].

٤ ـ وقال (عليه السلام): «إذا أضرّت النوافل بالفريضة فاتركوها» [٤٢٨].

٥ ـ وقال (عليه السلام): «لا طلاق إلاّ من بعد نكاح» [٤٢٩].

## فى رحاب أدعية الإمام المجتبى

وللإمام الحسن بن علىّ (عليهما السلام) أنواع من الأدعية والابتهالات تدلّ على مدى اتّصاله بالله ومدى تعلّقه به وانقطاعه اليه، واليك بعض نماذجها:

١ ـ كان (عليه السلام) يدعو بهذا الدعاء الشريف فى قنوته، وكان يبدو عليه الخضوع والخشوع أمام الله، وهذا نصه:

«يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، وبعونه يعتصم المكلوم، سبقت مشيئتك، وتمّت كلمتك، وأنت على كلّ شىء قدير، وبما تمضيه خبير، يا حاضر كلّ غيب وعالم كلّ سر وملجأ كلّ مضطرّ، ضلّت فيك الفهوم، وتقطّعت دونك العلوم، أنت الله الحىّ القيوم، الدائم الديّوم، قد ترى ما أنت به عليم، وفيه حكيم، وعنه حليم، وأنت القادر على كشفه، والعون على كفّه غير ضائق، وإليك مرجع كلّ أمر، كما عن مشيئتك مصدره، وقد أبنت عن عقود كلّ قوم، وأخفيت سرائر آخرين، وأمضيت ما قضيت، وأخّرت ما لا فوت عليك فيه، وحملت العقول ما تحملت فى غيبك، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حىّ عن بيّنة، وإنّك أنت السميع العليم، الأحد البصير، وأنت الله المستعان، وعليك التوكّل، وأنت ولىّ من تولّيت، لك الأمر كلّه، تشهد الانفعال، وتعلم الاختلال، وترى تخاذل أهل الخبال، وجنوحهم إلى ما جنحوا إليه من عاجل فان، وحطام عقباه حميم آن، وقعود من قعد، وارتداد من ارتد.. وخلوى من النصار وانفرادى عن الظهار، وبك اعتصم، وبحبلك استمسك، وعليك أتوكّل.

اللهمّ فقد تعلم أنّى ما ذخرت جهدى، ولا منعت وجدى، حتى انفلّ حدّى، وبقيت وحدى، فاتبعت طريق من تقدّمنى فى كفّ العادية وتسكين الطاغية عن دماء أهل المشايعة، وحرست ما حرسه أوليائى من أمر آخرتى ودنياى، فكنت ككظمهم أكظم، وبنظامهم أنتظم، ولطريقتهم أتسنّم، وبميسمهم أتّسم حتى يأتى نصرك، وأنت ناصر الحقّ وعونه، وإن بعد المدى عن المرتاد، ونأى الوقت عن إفناء الأضداد، اللهمّ صلِ على محمّد وآل محمّد، وامزجهم مع النصاب فى سرمد العذاب، وأعم عن الرشد أبصارهم، وسكعهم فى غمرات لذاتهم حتى تأخذهم البغتة وهم غافلون، وسحرة وهم نائمون، بالحقّ الذى تظهره، واليد (التى) تبطش بها، والعلم الذى تبديه، إنّك كريم عليم...» [٤٣٠].

ويلمس فى الفقرات الأخيرة من دعائه الآلام المرهقة التى كان يعانيها من الحكم الأموى، وقد دعا الله أن يأخذ الأمويين أخذ عزيز مقتدر على انتهاكهم لحرمته وحرمات رسوله.

٢ ـ وكان يدعو بهذا الدعاء على الظالمين له والمعتدين عليه، ويطلب من الله أن يكفيه شرّهم ويعلوه عليهم:

«اللهمّ يا من جعل بين البحرين حاجزاً وبرزخاً، وحجراً محجوراً، يا ذا القوة والسلطان، يا علىّ المكان، كيف أخاف وأنت أملى، وكيف أضام وعليك متكلى، فغطّنى من أعدائك بسترك، وأظهرنى على أعدائى بأمرك، وأيّدنى بنصرك، إليك ألجأ ونحوك الملتجأ، فاجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً، يا كافى أهل الحرم من أصحاب الفيل، والمرسِل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجّيل، إرمِ من عادانى بالتنكيل.

اللهمّ إنّى أسألك الشفاء من كلّ داء، والنصر على الأعداء، والتوفيق لما تحبّ وترضى، يا إله السماء والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، بك استشفى، وبك استعفى، وعليك أتوكّل فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» [٤٣١].

## فى رحاب أدب الإمام المجتبى

كتب الحسن البصرى ـ وهو من أبرز الشخصيات المعاصرة للإمام ـ معرّفاً بأدب الإمام (عليه السلام) وثقافته:

«أمّا بعد، فإنّكم معشر بنى هاشم الفلك الجارية فى اللّجج الغامرة والأعلام التيّرة الشاهرة أو كسفينة نوح (عليه السلام) التى نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون، كتبتُ اليك يابن رسول الله عند اختلافنا فى القدر وحيرتنا فى الاستطاعة فأخبرنا بالذى عليه رأيك ورأى آبائك، فإنّ مِن علم الله علمَكم وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم (ذرّيّةً بعضها من بعض والله سميع عليم) [۴۳۲].

كما تتجلّى لنا مقدرة الإمام الفنّيّة والبلاغيّة من خلال محاولة معاوية لأن يقاطع ذات يوم خطاب الإمام (عليه السلام) حتى لا يفتتن الجمهور ببلاغته بعد أن اقترح ابن العاص على معاوية أن يخطب الحسن (عليه السلام) ليظهر عدم مقدرته [۴۳۳].

وقد أسهم الإمام الحسن (عليه السلام) فى صياغة الخطب العسكرية فى عهد أبيه وبعده، كما مرّ علينا، وقد لاحظنا إحكام البناء والتطعيم بالعنصر الإيقاعى والصورى بشكل واضح.

وتميّزت رسائل الإمام ومكاتباته بالاقتصاد اللغوى وبتكثيف عنصر (الإشارة الدالّة) أى العبارة المنطوية على شفرات دلالية، وهذا ما نجده مثلاً فى رسالته إلى معاوية ورسالته إلى زياد بن أبيه، حيث لم تتجاوز كلٌّ منهما السطرين، فالأوّل ـ وهو معاوية ـ بعث رجلين يتجسّسان، فكتب (عليه السلام):

«أمّا بعد، فإنّك دسست الرجال كأنّك تحبّ اللقاء، لا أشكّ فى ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وبلغنى أنّك شَمَتَّ بما لم تشمت به ذوو الحجى» [۴۳۴].

وأمّا الرسالة الأُخرى فقد بعثها إلى زياد حيث نكّل بأحد المؤمنين، فطالبه (عليه السلام) بالكفّ عن ذلك، فردّ زياد برسالة إلى الحسن (عليه السلام) جاء فيها:

«من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة: أمّا بعد، فقد أتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى، وأنت طالب حاجة وأنا سلطان» [۴۳۵].

واضح أنّ هذه الرسالة من زياد تعبير عن إحساسه المَرَضىّ بعقدة الحقارة والنقص، فهو ينسب نفسه إلى أبى سفيان، وينسب الحسن (عليه السلام) إلى فاطمة (عليها السلام)، إلاّ أنّ الحسن (عليه السلام) أجابه بسطرين، نحسب أنّهما مزّقاه كلّ التمزيق، حيث كتب (عليه السلام):

«من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سميّة، أمّا بعد، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الولد للفراش، وللعاهر الحجر» [۴۳۶].

من أدبه (عليه السلام) المنظوم:

۱ ـ قال (عليه السلام) فى التذكير بالموت:

قل للمقيم بغير دار إقامةٍ
حان الرحيل فودع الأحبابا

إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم
صاروا جميعاً فى القبور ترابا

۲ ـ وقال (عليه السلام) فى الزهد فى الدنيا:

لكسرة من خسيس الخبز تشبعنى

وشربة من قراح الماء تكفينى

وطمرة من رقيق الثوب تسترنى

حياً وإن متّ تكفينى لتكفينى [۴۳۷] .

۳ ـ وله (عليه السلام) فى السخاء:

إنّ السخاء على العباد فريضة

لله يقرأ فى كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه

وأعدّ للبخلاء نار جهنّمِ

من كان لا تندى يداه بنائلٍ

للراغبيل فليس ذاك بمسلم [۴۳۸] .

۴ ـ وبلغه (عليه السلام) سبّ ابن العاص له فى مجلس معاوية، فقال (عليه السلام):

أتأمر يا معاوىَ عبد سهم

بشتمى والملا منّا شهودُ؟

إذا أخذت مجالسها قريش

فقد علمت قريش ما تريدُ

أأنت تظل تشتمنى سفاهاً

لضغنٍ ما يزول وما يبيدُ؟

فهل لك من أب كأبى تسامى

به من قد تسامى أو تكيدُ؟

ولاجدٌّ كجدى يا ابن حربٍ

رسول الله إن ذُكر الجدودُ

ولا اُمّ كاُمّى فى قريش
إذا ما حصّل الحسب التليدُ

فما مثلى تهكّم يا ابن حرب
ولا مثلى ينهنهه الوعيدُ

فمهلاً لا تهيّج بنا اُمورا
شيب لهولها الطفل الوليدُ [۴۳۹] .

۵ ـ وله (عليه السلام) فى الاستغناء عن الناس:

أغنَ عن المخلوق بالخالقِ
تغنَ عن الكاذب والصادق

واسترزقِ الرحمن من فضله
فليس غير الله بالرازقِ

من ظنّ أن الناس يغنونه
فليس بالرحمن بالواثق

من ظنّ أنّ الرزق من كسبه
زلّت به النعلان من حالقِ [۴۴۰] .

## پاورقى

[۱] آل عمران (۳): ۶۱.

[۲] نور الأبصار: ۱۲۲ ـ ۱۲۳ وراجع تفاسير الجلالين وروح البيان والكشّاف والبيضاوى والرازى، وصحيح الترمذى: ۲ / ۱۶۶، وسنن البيهقى: ۷ / ۶۳، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد: ۱ / ۸۵، ومصابيح السنة: ۲ / ۲۰۱.

[۳] الأحزاب (۳۳): ۳۳.

[۴] راجع التفسير الكبير للفخر الرازى، وتفسير النيسابورى، وصحيح مسلم: ۲ / ۳۳، وخصائص النسائى: ۴، ومسند أحمد: ۴ / ۱۰۷، وسنن البيهقى: ۲ / ۱۵۰، ومشكل الآثار: ۱ / ۳۳۴، ومستدرك الحاكم: ۲ / ۴۱۶، واُسد الغابة: ۵ / ۵۲۱.

[۵] قال تعالى فى سورة الشورى الآية ۲۳ مخاطباً رسوله الكريم: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة فى القربى).وقال فى سورة سبأ

الآية ۴۷: (ما سألتكم من أجر فهو لكم).

[۶] راجع التفسير الكبير والطبرى والدرّ المنثور فى تفسير آية المودّة.

[۷] الإنسان (۷۶): ۹ ـ ۱۲.

[۸] الإنسان (۷۶): ۵ ـ ۷.

[۹] صحيح البخارى: ۲ / ۱۸۸، وسنن الترمذى: ۵۳۹.

[۱۰] عيون أخبار الرضا: ۱ / ۶۷.

[۱۱] سنن ابن ماجة: ۱ / ۵۶، والترمذى: ۵۳۹.

[۱۲] المناقب لابن شهر آشوب: ۳ / ۱۶۳ نقلاً عن مسند أحمد وجامع الترمذى وسنن ابن ماجة وغيرهم.

[۱۳] جامع الترمذى: ۵۴۱، ومستدرك الحاكم: ۳ / ۱۰۹.

[۱۴] حلية الأولياء: ۴ / ۳۰۶.

[۱۵] مستدرك الحاكم: ۳ / ۱۴۹.

[۱۶] خصائص النسائى: ۲۶.

[۱۷] سنن الترمذى: ۵۳۹.

[۱۸] مستدرك الحاكم: ۳ / ۱۶۶.

[۱۹] سنن الترمذى: ۵۴۰.

[۲۰] المناقب لابن شهر آشوب ۳: ۱۵۶.

[۲۱] نزهة المجالس: ۲ / ۲۰۶.

[۲۲] العقد الفريد: ۳ / ۲۸۳.

[۲۳] المحاسن والأضداد: ۹۰، طبعة مصر ۱۳۲۴ هـ

[۲۴] أى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

[۲۵] مسند أحمد: ۴ / ۱۳۲، طبعة مصر ۱۳۱۳ هـ

[۲۶] صحيح البخارى: ۲ / ۱۸۸.

[۲۷] سنن الترمذى: ۵۳۹.

[۲۸] مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر: ۷ / ۱۰، طبعة دار الفكر ۱۴۰۵ هـ

[۲۹] نور الأبصار: ۱۷۱.

[۳۰] تهذيب التهذيب: ۲ / ۲۹۸.

[۳۱] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۴۷.

[۳۲] بحار الأنوار: ۴۳ / ۳۵۸.

[۳۳] البداية والنهاية: ۸ / ۳۷.

[۳۴] مروج الذهب: ۳ / ۷.

[۳۵] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۴۴۰.

[۳۶] أخبار إصبهان: ۱ / ۴۴، طبعة ليدن سنة ۱۹۳۱.

[۳۷] الاستيعاب: ۱ / ۳۸۵، طبعة مصر ۱۳۸۰.

إنّ الملك والحكم إذا كان لإقامة حكم الله فى الأرض فلا يكون تركه زهداً وورعاً، وإنما تنازل الإمام عن الملك لأنّ مسؤولية الإمام الشرعية كانت تتطلب ذلك فى تلك الظروف..

[۳۸] البداية والنهاية: ۸ / ۳۷ طبعة مصر ـ ۱۳۵.

[۳۹] مختصر تاريخ دمشق: ۷ / ۵.

[۴۰] تاريخ الخلفاء: ۷۳.

[۴۱] راجع المناقب لابن شهرآشوب: ۲ / ۱۴۸.

[۴۲] الحسن المجتبى: ۱۳۹ نقلاً عن المناقب: ۲ / ۱۴۸.

[۴۳] مطالب السؤول: ۶۵.

[۴۴] تذكرة الخواص: ۱۱۱.

[۴۵] أسد الغابة: ۲ / ۹.

[۴۶] اضطراب السليم من لسعة العقرب.

[۴۷] راجع الأمالى للصدوق: ۱۵۰، وبحار الأنوار: ۴۳ / ۳۳۱.

[۴۸] المناقب: ۳ / ۱۸۰، والبحار: ۴۳ / ۳۳۹.

[۴۹] بحار الأنوار: ۴۳ / ۳۳۹، وأخبار إصبهان: ۱ / ۴۴.

[۵۰] المناقب: ۳ / ۱۸۰، وبحار الأنوار: ۴۳ / ۳۳۹.

[۵۱] المصدر السابق.

[۵۲] مهج الدعوات: ۱۴۴.

[۵۳] راجع البداية والنهاية: ۸ / ۴۲، طبعة دار إحياء التراث العربى ۱۴۰۸ هـ

[۵۴] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۲۶.

[۵۵] بحار الأنوار: ۴۳ / ۳۵۲.

[۵۶] العوالم (الإمام الحسن): ۱۲۱ نقلاً عن المناقب: ۳ / ۱۸۴.

[۵۷] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۱۶ ـ ۳۱۷ عن أنساب الأشراف: ۱ / ۳۱۹، والطبقات الكبرى: ۱ / ۲۳.

[۵۸] راجع البداية والنهاية: ۸ / ۳۸.

[۵۹] النساء (۴): ۸۶.

[۶۰] المناقب لابن شهر آشوب: ۲ / ۲۳، وحياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۲۲ عن الخوارزمى.

[۶۱] نور الأبصار: ۱۳۵ ـ ۱۳۶.

[۶۲] المصدر السابق: ۳۲۵، وحياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۲۵.

[۶۳] عوالم العلوم (الإمام الحسن): ۱۲۳ عن المناقب: ۳ / ۱۸۷.

[۶۴] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۱۳ عن الصبان على هامش نور الأبصار: ۱۹۶.

[۶۵] مختصر تاريخ دمشق: ۷ / ۲۱، طبعة دار الفكر.

[۶۶] راجع كشف الغمة: ۱ / ۵۱۴، والبحار: ۴۴ / ۱۳۶، والعوالم (الإمام الحسن): ۱۳.

[۶۷] راجع معانى الأخبار: ۵۷ وعلل

الشرائع: ۱۳۸ وبحار الأنوار: ۴۳ / ۲۴۰ الحديث ۸.

[۶۸] المناقب: ۳ / ۱۶۶.

[۶۹] العوالم: ۲۰ ـ ۲۲ نقلاً عن الكافي:۶ / ۳۳ وعن عيون أخبار الرضا: ۲ / ۴۵ أنّ الزهراء أعطت القابلة رِجل شاة ودیناراً.

[۷۰] العوالم: ۲۳ عن البحار: ۴۳ / ۲۴۲ و ۲۵۵، والعدد القوية (مخطوط): ۵، وكشف الغمّة: ۱ / ۵۲۳.

[۷۱] راجع الكافي: ۶ / ۴۷۳ و۴۷۴، والبحار: ۴۳ / ۲۵۸، والعوالم: ۲۹.

[۷۲] راجع كشف الغمة: ۱ / ۵۲۲، والمناقب: ۳ / ۱۶۵ نقلاً عن صحيح الترمذی.

[۷۳] شديدتی السواد مع سعتهما.

[۷۴] الشعر وسط الصدر الی البطن.

[۷۵] الشعر الی شحمة الاذن.

[۷۶] رؤوس المفاصل.

[۷۷] ضد السبط والاسترسال.

[۷۸] راجع كشف الغمة: ۱ / ۵۲۵ والعوالم: ۳۰.

[۷۹] الإرشاد: ۱ / ۱۵.

[۸۰] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۶۷، وسيرة الأئمة الإثنی عشر للحسنی: ۱ / ۵۱۳، وصلح الإمام الحسن لفضل الله ـ ۱۵ عن الغزالی فی إحياء العلوم.وحول شبهه (عليه السلام) بجدّه راجع: تاريخ اليعقوبی: ۲ / ۲۲۶ ط.صادر، والبحار ج ۱۰، وأعيان الشيعة ج۴، وذكر ذلك العلّامة المحقّق الأحمدی عن كشف الغمة: ۱۵۴، والفصول المهمة للمالكی، والإصابة: ۱ / ۳۲۸، وكفاية الطالب ۲۶۷، وتهذيب تاريخ ابن عساكر: ۴ /

۲۰۲، وينابيع المودة: ۱۳۷، وتاريخ الخلفاء: ۱۲۶ ـ ۱۲۷، والتنبيه والاشراف: ۲۶۱.

[۸۱] راجع كتاب أهل البيت تأليف توفيق أبو علم: ۳۰۷، والارشاد للمفيد ۲۲۰،وكشف الغمة للأربلی:۲ / ۱۵۹، وعلل الشرائع: ۱ / ۲۱۱،والمناقب لابن شهر آشوب: ۳ / ۳۶۷ وعبر عنه بالخبر المشهور.

[۸۲] اثبات الهداة: ۵ / ۵۲، والإتحاف بحب الأشراف: ۱۲۹.

[۸۳] ينابيع المودة: ۱۶۸، وإثبات الهداة: ۵ / ۱۲۹.

[۸۴] فرائد السمطين: ۲ / ۳۵، وأمالی الصدوق: ۱۰۱.وحول ما يثبت إمامة الإمام الحسن (عليه السلام) راجع: ينابيع المودة: ص۴۴۱ و۴۴۲ و۴۴۳ و۴۸۷ عن المناقب، وفرائد السمطين: ۲ / ۱۴۰ ـ ۱۳۴ ـ۱۵۳ ـ ۲۵۹ وفی هوامشه عن المصادر التالية: غاية المرام: ۳۹، وكفاية الأثر المطبوع فی آخر الخرائج والجرائح: ۲۸۹، وعيون أخبار الرضا: باب ۶ ص ۳۲، وبحار الأنوار: ۳ / ۳۰۳ و ۳۶ / ۲۸۳ و۴۳ / ۲۴۸.

[۸۵] راجع سنن الترمذی: ۵ / ۶۹۹، وسنن ابن ماجة: ۱ / ۵۲، وينابيع المودة: ۱۶۵ و ۲۳۰ و ۲۶۱ و ۳۷۰ عن جامع الاصول وغيره.

[۸۶] أهل البيت تأليف توفيق أبو علم:۲۷۴، وراجع سنن ابن ماجة: ۱ / ۵۱.

[۸۷] نسب قريش لمصعب الزبيری: ص ۲۳ ـ ۲۵.

[۸۸] تهذيب تاريخ ابن عساكر: ۴ / ۲۰۵ و۲۰۶ و۲۰۷، والغدير: ۷ / ۱۲۴.

[۸۹] راجع الكثير من هذه النصوص فی المصدرين السابقين، وسيرتنا وسنتنا: ۱۱ ـ ۱۵، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة، وفرائد السمطين، وترجمة الحسن وترجمة الحسين من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودی، والفصول المهمة للمالكی، وترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف، ونور الأبصار.

[۹۰] من البهلة: وهی اللعنة، ثم كثراستعمال الابتهال فی المسألة والدعاء إذا كان بإلحاح.

[۹۱] آل عمران (۳): ۵۹ ـ ۶۱.

[۹۲] راجع تفسير القمى: ۱ / ۱۰۴، والقرشى: ۱ / ۸۸ ـ ۹۱.وقد روى قضية المباهلة بأهل الكساء ـ بالاختصار تارة وبالتفصيل اُخرى ـ جم غفير من الحفاظ والمفسّرين، راجع الحياة السياسية للإمام الحسن: ص۱۸ ـ ۱۹، وراجع الميزان فى تفسير القرآن: ۳ / ۳۶۸ طبعة الأعلمى.

[۹۳] مجمع البيان: ۲ / ۴۵۲، وراجع التبيان: ۲ / ۴۸۵، وتفسير الرازى: ۸ / ۸۰، وحقائق التأويل ۱۱۴ وفيه: أجمع العلماء...الخ.

[۹۴] الكشاف: ۱ / ۳۷۰، وراجع الصواعق المحرقة: ص۱۵۳ عنه، وراجع الإرشاد للمفيد: ص۹۹، وتفسير الميزان: ۳ / ۲۳۸.

[۹۵] مريم (۱۹): ۲۹ ـ ۳۰.

[۹۶] مريم (۱۹): ۱۲.

[۹۷] راجع تفسير الميزان: ۳ / ۲۲۴، و دلائل الصدق: ۳ / قسم۱ ص۸۴.

[۹۸] نقله عنه أبو حيّان فى «البحر المحيط» فى تفسير آية المباهلة.

[۹۹] راجع: الصحيح من سيرة النبىّ الأعظم (صلى الله عليه وآله): ۱ / ۴۵ ـ ۴۷.

[۱۰۰] تفسير الرازى: ۸ / ۸۱، وفتح القدير: ۱ / ۳۴۷، وتفسير النيسابورى بهامش تفسير الطبرى: ۳ / ۲۱۴، والتبيان: ۲ / ۴۸۵ عن أبى بكر الرازى (وهو غير الفخر الرازى)، ومجمع البيان: ۲ / ۴۵۲، والغدير: ۷ / ۱۲۲ عنه وعن تفسير القرطبى: ۴ / ۱۰۴.

[۱۰۱] راجع: الحياة السياسية للإمام الحسن: ۲۷ ـ ۲۸.

[۱۰۲] ينابيع المودة: ۴۷۹ عن الزرندى المدنى وص۴۸۲ و۵۲، وتفسير البرهان: ۱ / ۲۸۶.

[۱۰۳] تفسير الرازى: ۱۳ / ۶۶، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ۱ / ۲۴۷ عنه.

[۱۰۴] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۲۰ / ۳۳۴.

[۱۰۵] مستدرك الحاكم: ۳ / ۱۷۲، وذخائر العقبى ۱۳۸ عن الدولابى.

[۱۰۶] المناقب لابن شهر آشوب: ۴ / ۱۲ عن العقد الفريد والمدائنى.

[۱۰۷] الأموال: ص۲۷۹ ـ ۲۸۰، وراجع التراتيب الادارية: ۱ / ۲۷۴.

[۱۰۸] الحياة السياسية للإمام الحسن، للعاملى: ۴۴.

[۱۰۹] الإرشاد: ۲۱۹، وفدك للقزوينى هامش: ۱۶ عنه.

[۱۱۰] راجع علل الشرائع: ۱ / ۲۱۱.

[۱۱۱] راجع علل الشرائع: ۱ / ۲۱۱.

[۱۱۲] تاريخ الخلفاء للسيوطى: ۸۰، الصواعق المحرقة: ۱۷۵.

[۱۱۳] الغدير: ۱ / ۱۹۸.

[۱۱۴] راجع مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله): ۱ / ۵۹ ـ ۸۹.

[۱۱۵] الناقة السلوب: التى مات ولدها، أو ألقته لغير تمام.

[۱۱۶] مرقت البيضة: فسدت.

[۱۱۷] المناقب لابن شهر آشوب: ۴ / ۱۰.

[۱۱۸] الإمامة والسياسة: ۱ / ۲۸.

[۱۱۹] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۸ / ۲۵۳، والغدير: ۸ / ۳۰۱، وروضة الكافى: ۸ / ۲۰۷.

[۱۲۰] العبر (تاريخ ابن خلدون): ۱ / ۱۲۸.

[۱۲۱] مستدرك الحاكم: ۳ / ۴۴۲ ـ ۴۴۳.

[۱۲۲] المصنف لعبد الرزاق: ۱۱ / ۲۴۵ فما بعدها.

[۱۲۳] تاريخ الدولة العربية: ۲۳۵، وتاريخ التمدن الإسلامى: ۱ / ۲۷۳ ـ ۲۷۴.

[۱۲۴] المصنف: ۶ / ۹۴.

[۱۲۵] سنن البيهقى: ۹ / ۲۱۶.

[۱۲۶] الرفغ: الأرض الكثيرة التراب.

[۱۲۷] العراق فى العصر الأُموى ۱۱ عن الطبرى: ۴ / ۹.

[۱۲۸] المصنف: ۵ / ۲۲۲ و ۲۲۳.

[۱۲۹] المحاسن والمساوى: ۲ / ۲۲۲.

[۱۳۰] يلاحظ أنّ هؤلاء قد كانوا عمّاله باستثناء عمرو بن العاص، فإنّه كان معزولاً آنئذ.

[۱۳۱] من الطريف أن يستشير عثمان نفس أُولئك الذين يطالب الناس بعزلهم فى أمر الغزو.

[۱۳۲] التجمير: حبس الجيش فى أرض العدو.

[۱۳۳] تاريخ الطبرى: ۳ / ۳۷۳ ـ ۳۷۴.

[۱۳۴] الوسائل ۱۱: ۳۲ فصاعداً، والكافى: ۵ / ۲۰.

[۱۳۵] التهذيب: ۶ / ۱۲۷، والكافى: ۵ / ۱۹، والوسائل: ۱۱ / ۳۲.

[۱۳۶] الوسائل: ۱۱ / ۲۱ ـ ۲۲ عن قرب الاسناد ص ۱۵۰، والتهذيب: ۶ / ۱۳۴، والكافى: ۵ / ۲۱.

[۱۳۷] الوسائل: ۱۱ / ۲۲، والكافى: ۵ /۲۱، والتهذيب: ۶ / ۱۲۵.

[۱۳۸] الوسائل: ۱۱ / ۳۴.

[۱۳۹] الفتوح لابن أعثم، الترجمة الفارسية: ۱۲۶.

[۱۴۰] والبحث يحتاج الى تحقيق أعمق وأوسع لا يتناسب مع هذا الكتاب.

[۱۴۱] نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ۲ /۲۱۲، وتاريخ الطبرى: حوادث سنة ۴:۳۷ / ۴۴.

[۱۴۲] راجع الصواعق المحرقة: ۱۱۵ ـ ۱۱۶، ومروج الذهب: ۲ / ۳۴۴ ـ ۳۴۵، والإمامة والسياسة: ۱ / ۴۴ و ۴۲ و ۴۳، وأنساب الأشراف: ۵ / ۶۹ و ۷۰ و ۷۴ و۹۳ و۹۵، والبدء والتاريخ: ۵ / ۲۰۶، وتاريخ مختصر الدول ۱۰۵.

[۱۴۳] راجع: حياة الإمام الحسن (عليه السلام) للقرشى: ۱ / ۱۱۵ ـ ۱۱۶.

[۱۴۴] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۳ / ۸.

[۱۴۵] سيرة الأئمة الإثنى عشر: ۱ / ۴۲۸.

[۱۴۶] صلح الإمام الحسن لآل ياسين: ۵۰ـ ۵۱.

[۱۴۷] الغدير: ۹ / ۶۹ ـ ۷۷ عن مصادر كثيرة.

[۱۴۸] نهج البلاغة: ۱ / ۷۲ بشرح عبده، الخطبة رقم ۲۹.

[۱۴۹] راجع هذه الأجوبة فى كتاب الغدير: ۹ / ۷۰.

[۱۵۰] نهج البلاغة بشرح عبده: ۲ / ۲۶۱، والغدير: ۹ / ۶۰.

[۱۵۱] نهج البلاغة بشرح عبده: ۲ / ۲۶۱، والغدير: ۹ / ۶۰.

[۱۵۲] الحياة السياسية للإمام الحسن: ۱۵۰ ـ ۱۵۱.

[۱۵۳] الفتوح لابن أعثم: ۲ / ۲۲۸.

[۱۵۴] المحاسن والمساوى: ۱ / ۱۳۵.

[۱۵۵] الفتنة الكبرى قسم: على وبنوه ۱۷۶، وأنساب الأشراف: ۳ / ۱۲ بتحقيق المحمودى.

[۱۵۶] أنساب الأشراف: ۲ / ۲۱۶ ـ ۲۱۷، وتاريخ الطبرى: ۳ / ۴۷۴.

[۱۵۷] راجع سيرة الأئمة الاثنى عشر: ۱ / ۵۴۲ ـ ۵۴۴ وغير ذلك.

[۱۵۸] أنساب الاشراف، بتحقيق المحمودى ترجمة الإمام الحسن: ۱۲ الطبعة الأُولى، دارالتعارف ـ بيروت.

[۱۵۹] أمالى المفيد: ۴۹.

[۱۶۰] ينابيع المودة: ۴۸ وعن الأمالى للطوسى: ۵۶.

[۱۶۱] ينابيع المودة: ۲۱.

[۱۶۲] كشف الغمة للاربلى: ۱ / ۱۴۳ ـ ۱۴۸.

[۱۶۳] أنساب الأشراف: بيعة الإمام علىّ بن أبى طالب: ۲۰۵ ـ ۲۱۹، تحقيق المحمودى.

[۱۶۴] تأريخ الطبرى: ۳ / ۴۵۰، مؤسسة الأعلمى ـ بيروت.

[۱۶۵] اليعقوبى: ۲ / ۷۵.

[۱۶۶] الفتوح: ۱ ـ ۲ / ۴۳۶، الأُمم والملوك: ۳ / ۴۵۶.

[۱۶۷] راجع الكامل: ۳ / ۹۸ ـ ۹۹، واليعقوبى: ۲ / ۷۵، الفتوح: ۱ ـ ۲ / ۴۳۶.

[۱۶۸] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۸۴ عن الفتوح: ۲ / ۲۵۸ ـ ۲۵۹.

[۱۶۹] نهج البلاغة: ۳۳۶، طبعة صبحى الصالح، رقم ۲۱۷، الخطبة ۳۳.

[۱۷۰] راجع سيرة الأ ئمة الاثنى عشر للسيد هاشم معروف الحسنى: ۱ / ۳۹۰ ـ ۳۹۳.

[۱۷۱] الطبرى: ۳ / ۳۹۳ و ۳۹۴.

[۱۷۲] الطبرى: ۳ / ۳۹۳ و ۳۹۴.

[۱۷۳] حياة الإمام الحسن للقرشى: ۱ / ۴۳۴.

[۱۷۴] النساء (۴): ۲۹.

[۱۷۵] النساء (۴): ۹۳.

[۱۷۶] حياة الإمام الحسن للقرشى: ۱ / ۴۳۴ ـ ۴۳۵.

[۱۷۷] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۳۶.

[۱۷۸] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۳۷.

[۱۷۹] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۳۸.

[۱۸۰] الغدير: ۲ / ۷۶.

[۱۸۱] ذى قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة يقع بينها وبين واسط.معجم البلدان: ۷ / ۸.

[۱۸۲] الزاوية: موضع قريب من البصرة

.معجم البلدان: ۴ / ۳۷.

[۱۸۳] حياة الإمام الحسن للقرشى: ۱ / ۴۴۲ ـ ۴۴۳.

[۱۸۴] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۴۴.

[۱۸۵] زندگانى إمام حسن مجتبى، للسيد هاشم رسولى: ۱۳۸.

[۱۸۶] بحار الأنوار: ۴۳ / ۳۵۸.

[۱۸۷] زندگانى أمير المؤمنين: ۲ / ۵۲ ـ ۵۷ فقد نقل كلمات التأييد التى أُلقيت آنذاك.

[۱۸۸] الامتناع: العزّة والقوة.

[۱۸۹] الجوائح: جمع، مفردها جائحة وهى الدواهى والشدائد.

[۱۹۰] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱ / ۲۸۳.

[۱۹۱] مناقب ابن شهرآشوب: ۳ / ۱۶۸.

[۱۹۲] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۹۲.

[۱۹۳] المصدر السابق: ۴۹۲ ـ ۴۹۳.

[۱۹۴] الخلوق: الطيب.

[۱۹۵] حياة الإمام الحسن: ۴۹۲ ـ ۴۹۳.

[۱۹۶] حياة الإمام الحسن: ۴۹۲ ـ ۴۹۳.

[۱۹۷] حياة الإمام الحسن: ۴۹۲ ـ ۴۹۳.

[۱۹۸] يهدّنى: أى يهلكنى.

[۱۹۹] أنفس: أبخل.

[۲۰۰] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۴۹۷.

[۲۰۱] وفى رواية ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة: ۱ / ۱۴۴ «أنه لم يستأمر الرجل فى نفسه ولا علم ما عنده من رد أو قبول».

[۲۰۲] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۵۳۰ ـ ۵۳۲.

[۲۰۳] المقر للزمان: المعترف له بالشدة.

[۲۰۴] الراحل.

[۲۰۵] غرض الأسقام: هدف الأمراض ترمى إليه سهامها.

[۲۰۶] الرهينة: المرهونة.

[۲۰۷] ما أصاب السهم.

[۲۰۸] جموح الدهر: استقصاؤه وتغلّبه.

[۲۰۹] يزعنى: يكفّنى ويصدنى.

[۲۱۰] ما ورائى: كناية عن أمر الآخرة.

[۲۱۱] صدفه: صرفه.

[۲۱۲] محض الأمر: خالصه.

[۲۱۳] مستظهراً به: مستعيناً به.

[۲۱۴] قرره بالفناء: اطلب منه بالإقرار بالفناء.

[۲۱۵] الغمرات: الشدائد.

[۲۱۶] الكهف: الملجأ.

[۲۱۷] حريز: الحافظ.

[۲۱۸] شفقتك: خوفك.

[۲۱۹] لم آلك النصيحة: أى لم أقصّر فى نصيحتك.

[۲۲۰] خطره: أى قدره.

[۲۲۱] استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً.

[۲۲۲] آفة: علّة.

[۲۲۳] الكدح: أشد السعى.

[۲۲۴] خازناً لغيرك: تجمع المال ليأخذه الوارثون بعدك.

[۲۲۵] شآبيب: جمع الشؤبوب ـ بالضم ـ وهو الدفعة من المطر، وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها.

[۲۲۶] القنوط: اليأس.

[۲۲۷] الحِذر ـ بالكسر ـ: الاحتراز والاحتراس.

[۲۲۸] بهر ـ كمنع ـ: غلب، أى يغلبك

على أمرك.

[۲۲۹] إخلاد أهل الدنيا: سكونهم اليها.

[۲۳۰] التكالب: التواثب.

[۲۳۱] نعاه: أخبر بموته.والدنيا بحالها عن فنائها.

[۲۳۲] ضارية: مولعة بالافتراس.

[۲۳۳] يهرّ ـ بكسر الهاء ـ: يعوى وينبح وأصلها هرير الكلب وهو صوته دون حاجة من قلة صبره على البرد فقد شبه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاوية.

[۲۳۴] خفّض: أمر من خفّض ـ بالتشديد ـ: أى ارفق.

[۲۳۵] أجمل فى كسبه: أى سعى سعياً جميلاً لا يحرص فيمنع الحق ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق.

[۲۳۶] حَرَب ـ بالتحريك ـ: سلب المال.

[۲۳۷] الدنيّة: الشيء الحقير المبتذل.

[۲۳۸] الرغائب: جمع رغيبة، وهى ما يرغب فى اقتنائه من مال وغيره.

[۲۳۹] عِوضاً: بدلاً.

[۲۴۰] اليُسر: السهولة، والمراد سعة العيش.

[۲۴۱] العُسر: الصعوبة، والمراد ضيق العيش.

[۲۴۲] توجف: تسرع.

[۲۴۳] المطايا: جمع مطية، وهى ما يركب ويمتطى من الدواب ونحوها.

[۲۴۴] المناهل: ما ترده الإبل ونحوها للشرب.

[۲۴۵] الهلكة: الهلاك والموت.

[۲۴۶] مثواك: مُقامك، من ثوى يثوى: أقام يقيم، والمراد هنا منزلتك من الكرامة.

[۲۴۷] تفلّت ـ بتشديد اللام ـ: أى تملّص من اليد فلم تحفظه.

[۲۴۸] لقمان (۳۱): ۳۴.

[۲۴۹] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۵۵۷ ـ ۵۵۸.

[۲۵۰] جميع النصوص التى وردت تحت عنوان «بجوار والده (عليه السلام) الجريح» نقلت عن: زندگانى امام حسن مجتبى (عليه السلام) ۱۵۳ ـ ۱۵۴.

[۲۵۱] أثير بن عمرو السكونى، كان أحد الأطباء الماهرين يعالج الجراحات الصعبة، وكان صاحب كرسى، وله تنسب صحراء أثير.

[۲۵۲] الاستيعاب: ۲ / ۶۲.

[۲۵۳] المعنى: لا تطلبا الدنيا، وإن طلبتكما.

[۲۵۴] لا تغبوا أفواههم: أى لا تقطعوا صلتكم عنهم وصلوا أفواههم بالطعام دوماً.

[۲۵۵] لم تناظروا، مبنى للمجهول: أى يتعجّل الانتقام منكم.شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد: ۱۷ / ۱۱.

[۲۵۶] التباذل: العطاء.

[۲۵۷] لا ألفينكم: أى لأجدنكم تخوضون دماء المسلمين بالسفك انتقاماً منهم بقتلى.

[۲۵۸] شرح نهج البلاغة محمد عبده: ۳ / ۸۵.

[۲۵۹] تاريخ ابن الأثير: ۳ / ۱۷۰.

[۲۶۰] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۵۶۳ ـ ۵۶۶.

[۲۶۱] أُصول الكافى: ۱ / ۲۹۷ ـ ۲۹۸.

[۲۶۲] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۵۶۸ ـ ۵۶۹.

[۲۶۳] راجع أعيان الشيعة: ۱ / ۵۲۴ طبعة دار التعارف سيرة المؤمنين (مبحث الخوارج) عن ابن الأثير.

[۲۶۴] راجع أعيان الشيعة: ۱ / ۵۲۴ طبعة دار التعارف سيرة المؤمنين (مبحث الخوارج) عن ابن الأثير.

[۲۶۵] راجع أعيان الشيعة: ۱ / ۵۲۵ ـ ۵۲۶.

[۲۶۶] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۵ ـ ۱۹۹.

[۲۶۷] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۳ ـ ۱۹۴.

[۲۶۸] راجع اعيان الشيعة: ۱ / ۵۲۸ ـ ۵۳۰، وتاريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۵ ـ ۲۰۰.

[۲۶۹] نهج البلاغة الخطبة ۱۷۷، طبعة محمد عبده.

[۲۷۰] راجع سيرة الأئمة الاثنى عشر: ۱ / ۴۴۶ ـ ۴۵۱.

[۲۷۱] الأمالى: ۱۹۲.

[۲۷۲] الشورى (۲۳): ۳۳.

[۲۷۳] علاوة على الإرشاد، نُقلت الرواية فى أمالى الطوسى وتفسير فرات، كما أنّ الكثير من كتب أهل السنة نقلت ما يماثل الروايتين، راجع «ملحقات إحقاق الحق»: ۱۱ / ۱۸۲ ـ ۱۹۳.

[۲۷۴] مقاتل الطالبيين: ۳۴.

[۲۷۵] الإرشاد: ۴ / ۱۵.

[۲۷۶] أعيان الشيعة: ۴ / ۱۴.

[۲۷۷] مقاتل الطالبيين: ۳۵ طبعة المكتبة الحيدرية ـ النجف ۱۳۸۵.

[۲۷۸] تاريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۱، وتاريخ الطبرى: ۶ / ۸۶، ومقاتل الطالبيين: ۱۶، وتاريخ ابن الاثير: ۳ / ۱۷۰.

[۲۷۹] مقاتل الطالبيين: ۳۳.

[۲۸۰] مقاتل الطالبيين: ۳۳.

[۲۸۱] مقاتل الطالبيين: ۸۳.

[۲۸۲] مقاتل الطالبيين: ۵۶ ـ ۵۵.

[۲۸۳] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴ / ۱۳.

[۲۸۴] مقاتل الطالبيين: ۳۸ ـ ۳۹.

[۲۸۵] جسر منبج: بلد قديم، المسافة بينه وبين حلب يومان.

[۲۸۶] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۷۱.

[۲۸۷] صلح الإمام الحسن: ۶۵، دار الغدير للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط. ۱۹۷۳.

[۲۸۸] أعيان الشيعة: ۴ / ۱۹.

[۲۸۹] أعيان الشيعة: ۴ / ۱۹ ـ ۲۰.

[۲۹۰] المصدر السابق.

[۲۹۱] صلح الإمام الحسن: ۷۰.

[۲۹۲] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۷۶.

[۲۹۳] موضع قريب من «أوانا» على نهر الدجيل، وبها كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة / ۷۲ هـ

[۲۹۴] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱۶ / ۴۲.

[۲۹۵] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱۶ / ۴۲.

[۲۹۶] مقاتل الطالبيين: ۳۵.

[۲۹۷] مقاتل الطالبيين: ۳۵.

[۲۹۸] أعيان الشيعة: ۴ / ۲۲.

[۲۹۹] أعيان الشيعة: ۴ / ۲۲.

[۳۰۰] المصدر السابق.

[۳۰۱] صلح الإمام الحسن (عليه السلام): ۸۰.

[۳۰۲] صلح الإمام الحسن (عليه السلام): ۸۱.

[۳۰۳] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۱.

[۳۰۴] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۱.

[۳۰۵] تأريخ ابن الأثير: ۳ / ۲۰۳.

[۳۰۶] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۱.

[۳۰۷] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۱۰۶.

[۳۰۸] الإرشاد: ۱۹۰.

[۳۰۹] ينابيع المودة: ۲۹۲.

[۳۱۰] الإرشاد: ۱۹۰ ـ ۱۹۱.

[۳۱۱] تاريخ الطبرى: ۴ / ۱۲۲، وتذكرة الخواص لابن الجوزى: ۱۱۲.

[۳۱۲] بحار الأنوار: ۴۴ / ۲۱.

[۳۱۳] بحار الأنوار: ۴۴ / ۲۱.

[۳۱۴] بحار الأنوار: ۴۴ / ۲۱.

[۳۱۵] يراجع صلح الحسن، لآل ياسين: ص۲۵۹، وقد اعتمد فى نقله على اُمهات الكتب والمصادر التاريخية كالطبرى وابن الاثير وابن قتيبة والمقاتل وغيرها.

[۳۱۶] زندگانى امام حسن: ۲۲۳.

[۳۱۷] علل الشرايع: ۲۰۰.

[۳۱۸] بحار الأنوار: ۴۴ / ۱۹.

[۳۱۹] الاحتجاج للطبرسى: ۱۴۸.

[۳۲۰] بحار الأنوار: ۴۴ / ۲۲.

[۳۲۱] ينابيع المودة: ۲۹۳.

[۳۲۲] بحار الأنوار: ۴۴ / ۲۱ ـ ۲۸.

[۳۲۳] صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين: ۳۷۱ ـ ۳۷۲.

[۳۲۴] للتعرّف على عداء معاوية وموبقاته التى تمثّلت فى تعطيله الحدود الإلهية وتحريف الأحكام الشرعية وشرائه لأديان الناس وضمائرهم وخلاعته ومجونه وافتعاله للحديث وغيرها من المنكرات الفظيعة، راجع حياة الإمام الحسن: ۲ / ۱۴۵ ـ ۲۱۰.

[۳۲۵] صلح الإمام الحسن: ۲۸۵ عن المدائنى، وراجع أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴ / ۱۶، وتأريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۲.

[۳۲۶] راجع مقدمة صلح الإمام الحسن للشيخ راضى آل ياسين.

[۳۲۷] قال جابر بن سمرة: «ما رأيت رسول الله يخطب إلّا وهو قائم، فمن حدّثك أنّه خطب وهو جالس فكذّبه» رواه الجزائرى فى آيات الأحكام: ۷۵، والظاهر أن معاوية أول من خطب وهو جالس.

[۳۲۸] تاريخ اليعقوبى: ۲ / ۱۹۲.

[۳۲۹] صلح الإمام الحسن: ۲۸۵ عن المدائنى.

[۳۳۰] شرح نهج البلاغة: ۴ / ۱۶.

[۳۳۱] نقل نص الخطاب الشيخ آل ياسين فى «صلح الإمام الحسن»: ۲۸۶ ـ ۲۸۹.

[۳۳۲] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۶۷.

[۳۳۳] نفس المصدر: ۲ / ۲۶۷ ـ ۲۶۸.

[۳۳۴] نفس المصدر: ۲۶۸.

[۳۳۵] راجع لمزيد من التفصيل مقاتل الطالبيين.وحياة الإمام الحسن.

[۳۳۶] اُسد الغابة: ۱ / ۳۸۶.

[۳۳۷] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱۶ / ۱۵.

[۳۳۸] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۷۴.

[۳۳۹] مناقب ابن شهر آشوب: ۴ / ۳۵، طبعة قم.

[۳۴۰] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۷۷.

[۳۴۱] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۸۵ ـ ۲۸۶.

[۳۴۲] تحفة الأنام للفاخورى: ۶۷.

[۳۴۳] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۸۷.

[۳۴۴] تاريخ ابن عساكر: ج۱۲، صورة فوتوغرافية فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

[۳۴۵] شرح ابن أبى الحديد: ۱ / ۳۶۴.

[۳۴۶] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۸۸ ـ ۲۸۹.

[۳۴۷] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۸۹ ـ ۲۹۰.

[۳۴۸] راجع حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۹۳.

[۳۴۹] كانت سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مهر أزواجه وبناته أربعمائة درهم.

[۳۵۰] مقتل الحسين للخوارزمى: ۱ / ۱۲۴.

[۳۵۱] الظنوب: العظم اليابس من الساق.

[۳۵۲] البعير الشارف: المسنّ الهرم.

[۳۵۳] راجع حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۹۷ ـ ۲۹۹ عن الخوارزمى.

[۳۵۴] جامع أسرار العلماء، مخطوط بمكتبة كاشف الغطاء العامة.

[۳۵۵] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۳۰۳ ـ ۳۰۴.

[۳۵۶] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۳۰۶، عن روضة الواعظين للنيسابورى.

[۳۵۷] الإسراء (۱۷): ۱۶.

[۳۵۸] أعيان الشيعة: ۴ / ۳۵، وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد أيضاً: ۲ / ۱۰۱.

[۳۵۹] صلح الإمام الحسن: ۱۴۲.

[۳۶۰] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۳ / ۱۵.

[۳۶۱] صلح الإمام الحسن: ۱۵۴.

[۳۶۲] الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ۳ / ۱۶۲.

[۳۶۳] راجع: صلح الإمام الحسن: ۳۱۷، فى فصل الوفاء بالشروط، وحياة الإمام الحسن: ۲ / ۳۵۶ ـ ۴۲۳.

[۳۶۴] صلح الإمام الحسن: ۳۶۲.

[۳۶۵] صلح الإمام الحسن: ۳۶۵. وقد اشتهرت كلمة معاوية: «إنّ لله جنوداً من عسل».

[۳۶۶] صلح الإمام الحسن: ۳۶۵.

[۳۶۷] المسعودى، بهامش ابن الأثير: ۶ / ۵۵.

[۳۶۸] هى الكوة التى تؤدى الضوء إلى البيت، والباب الصغير فى الباب الكبير.

[۳۶۹] صلح الإمام الحسن: ۳۶۵ ـ ۳۶۶.

[۳۷۰] راجع طبقات ابن سعد ومقاتل الطالبيين ومستدرك الحاكم وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۴ / ۱۷، وتذكرة الخواص: ۲۲۲، والاستيعاب: ۱ / ۳۷۴، وكلّها مصادر غير إمامية.

[۳۷۱] أعيان الشيعة: ۴ / ۸۵.

[۳۷۲] أمالى الصدوق: ۱۳۳.

[۳۷۳] أعيان الشيعة: ۴ / ۷۹.

[۳۷۴] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۴۸۷ ـ ۴۸۹.

[۳۷۵] تذكرة الخواص: ۲۳، وتاريخ ابن عساكر: ۴ / ۲۲۶، وحلية الأولياء: ۲ / ۳۸، وصفوة الصفوة: ۱ / ۳۲۰.

[۳۷۶] اختلف المؤرّخون فى السنة التى توفّى فيها الإمام فقيل: سنة ۴۹ هـ ذهب إلى ذلك ابن الأثير وابن حجر فى تهذيب التهذيب، وقيل: سنة ۵۱ هـ ذهب إلى ذلك الخطيب البغدادى فى تاريخه وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة، وقيل غير ذلك، وأمّا الشهر الذى استشهد فيه فقد اختلف فيه أيضاً، فقيل: فى ربيع الأول لخمس بقين منه، وقيل: فى صفر لليلتين بقيتا منه، وقيل: يوم العاشر من المحرم يوم الأحد سنة ۴۵ من الهجرة كما فى المسامرات (ص۲۶)، وثمّة قول آخر: إنّه استشهد (عليه السلام) فى السابع من صفر.

[۳۷۷] تهذيب التهذيب: ۲ / ۳۰۱، وتاريخ ابن عساكر: ۴ / ۲۲۷.

[۳۷۸] أعيان الشيعة: ۴ / ۸۰.

[۳۷۹] تاريخ ابن عساكر: ۸ / ۲۲۸.

[۳۸۰] الإصابة: ۱ / ۳۳۰.

[۳۸۱] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۴۹۹ عن كفاية الطالب: ۲۶۸.

[۳۸۲] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۵۰۰-۲۲».

[۳۸۳] الانبياء (۲۱): ۷۳.

[۳۸۴] الجمعة (۶۲): ۲.

[۳۸۵] عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ۱۴۲.

[۳۸۶] نور الأبصار: ۱۱۰.

[۳۸۷] الأئمة الاثنا عشر: ۳۷.

[۳۸۸] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۴۳، ۳۴۶.

[۳۸۹] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۵۷.

[۳۹۰] حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل: ۱ / ۳۴۶ ـ ۳۴۷ عن كشف الغمة وإرشاد القلوب.

[۳۹۱] حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل: ۱/ ۳۴۶ ـ ۳۴۷ عن كشف الغمة وإرشاد القلوب.

[۳۹۲] المصدر السابق: ۱ / ۳۶۰ عن تحف العقول.

[۳۹۳] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۶۲ عن الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكى: ۱۶۰.

[۳۹۴] الأشدق: البليغ المفوّه.

[۳۹۵] راجع الموفقيات: ۳۵۴ ـ ۳۵۹، أنساب الأشراف: ۱ / ۳۹۰ والمختصر فى الشمائل المحمدية للترمذى: ۳۹.

[۳۹۶] بحار الأنوار: ۴۳ / ۳۵۱.

[۳۹۷] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۳۵ ـ ۳۴۰ عن توحيد الصدوق.

[۳۹۸] رسائل جمهرة العرب: ۲ / ۲۵.

[۳۹۹] مجمع البحرين: «مادة جود».

[۴۰۰] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۶۰، عن تحف العقول.

[۴۰۱] جلاء العيون: ۱ / ۳۲۸.

[۴۰۲] مروج الذهب: ۲ / ۳۰۶.

[۴۰۳] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۶۳.

[۴۰۴] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۶۵، نقلاً عن ينابيع المودّة: ۳ / ۱۵۱.

[۴۰۵] راجع معجم أحاديث الإمام المهدى (عليه السلام): ۳ / ۱۶۵ لتقف على مصادر هذا الحديث.

[۴۰۶] معجم أحاديث الإمام المهدى: ۳ / ۱۶۷.

[۴۰۷] أى: أخذه تحت حمايته.

[۴۰۸] راجع تاريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۰۶.

[۴۰۹] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۴۳.

[۴۱۰] الجواب الثانى كان على سؤال معاوية، راجع تاريخ اليعقوبى: ۲۰۲.

[۴۱۱] الإمام المجتبى (حسن المصطفوى): ۲۴۵ عن مطالب السؤول.

[۴۱۲] راجع حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۴۳.

[۴۱۳] المصدر السابق: ۱ / ۳۴۴ ـ ۳۴۵.

[۴۱۴] المصدر السابق: ۱ / ۳۴۴ ـ ۳۴۵.

[۴۱۵] المصدر السابق: ۱ / ۳۴۱ وأجاب فى نص آخر عن الذلّ واللؤم قائلاً: «من لا يغضب من الحقوة ولا يشكر على النعمة».

[۴۱۶] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۴۱ ـ ۳۴۴، عن تاريخ ابن كثير: ۸ / ۳۹.

[۴۱۷] تاريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۰۲.

[۴۱۸] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۴۵، عن نور الأبصار: ۱۱۰.

[۴۱۹] تحف العقول: ۵۵.

[۴۲۰] تاريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۰۲.

[۴۲۱] تحف العقول: ۵۵.

[۴۲۲] عيون الاخبار لابن قتيبة: ۳ / ۳.

[۴۲۳] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۵۱.

[۴۲۴] رضراض: ما صغر من الحصى.

[۴۲۵] رجال إصبهان: ۱ / ۳۳۱.

[۴۲۶] مستدرك الحاكم: ۴ / ۲۳۰.

[۴۲۷] التهذيب لابن عساكر: ۴ / ۱۹۹.

[۴۲۸] حياة الإمام الحسن: ۱ / ۳۶۸.

[۴۲۹] سنن البيهقى: ۷ / ۳۲۰.

[۴۳۰] مهج الدعوات: ۴۷.

[۴۳۱] مهج الدعوات: ۲۹۷.

[۴۳۲] تحف العقول: ۲۳۱.

[۴۳۳] راجع حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۹۸ـ ۳۰۰.

[۴۳۴] الإرشاد للمفيد: ۱۸۹.

[۴۳۵] جمهرة الرسائل: ۲ / ۳.

[۴۳۶] المصدر نفسه: ۳۷.

[۴۳۷] أعيان الشيعة: ۴ ق ۱.

[۴۳۸] بحار الأنوار: ۱۰ / ۹۵.

[۴۳۹] حياة الإمام الحسن: ۲ / ۲۶۰.

[۴۴۰] نور الأبصار: ۱۷۵.

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹